



جامعة الأزهر الشريف
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
الدراسات العليا
قسم الثقافة الإسلامية



الشيخ محمد فتح الله كولن وآراؤه الإصلاحية (دراسة تحليلية)

بحث مقدم لنيل درجة التخصّص (الماجستير) في الثقافة الإسلامية

الباحث

يحيى عبد العزيز محمد سلام

أ.م/ شرف الدين أحمد آدم د/ محمود بطل محمد أحمد

١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

جامعة الأزهر
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة



كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
قرار الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

رقم ١٧٨ بتاريخ ١٠ مايو ٢٠١٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقَالَ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ وَأَلَّا يَحِزَّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ فَيَكُونُوا لَكُمْ حِمْلًا مَّحْمُولًا ﴾

﴿ أَفَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا مُّذْهِبًا ﴾

﴿ كَثْرَةَ ضُلَالِكُمْ وَقَدْ جَاءَكُمْ فِي حُبَابٍ رَّابِيَةٍ فَاسْمِعُوا بَيْنَهُمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

سورة النمل آية (١٩)



إلى صاحب المقام الأعظم والجناب الأفخم إلى حبيبي ومولاي وسيدي رسول الله ﷺ
أهدي هذا العمل إلى مقامكم ياسيدي عسى أن يرزقني الله ﷻ به شرف الخدمة في الدنيا والصحبة
في الآخرة .

إلى جدي " رحمه الله " الذي كان سبباً في التحاقني بأعرق جامع وجامعة " جامعة الأزهر
الشريف " حصن الإسلام وقلعة العلم ، جزاك الله عني خير الجزاء وجعل حرصك على حفظي
لكتاب الله في موازين حسناتك .

إلى أبي " رحمه الله " تاج رأسي ونور عيني ، الذي لطالما تمنى من الله أن يراني في هذا
المشهد ، ولكن المنية حالت بينه وبين أمنيته ، فقد رسم لي الطريق منذ نعومة أظفاري ولم يبخل عليّ
بكافة أنواع الدعم والسند ، أسأل الله لك يا أبتى أن يعلي في العالمين ذكرك ، وأن يظلك بظله يوم لا ظلَّ
إلا ظلّه ، أهدي لك يا أبتى ثمرة من ثمار غرسك في الدنيا سائلاً ربي أن يجمعني بك في دار كرامته
ومستقر رحمته .

إلى أمي الغالية " رحمها الله " سيدتي وتاج رأسي ونور عيني وفؤادي ، التي أدبتني وعلمتني
صغيراً وصبرت وصابرت على توجيهي ونصحي وإرشادي ، أهديك يا أمي بحثي هذا ، سائلاً ربي
أن يجعل هذا العمل في موازين حسناتك .

إلى زوجتي حبيبة القلب ورفيقة الدرب ، التي تحملت معي أعباء الحياة وضحت بكثير من
حقها بغية أن أكمل دراستي وأتم رسالتي ، ومع ذلك كانت تغمرها السعادة والسرور وهي تطالع
نتائج البحث أولاً بأول ، حتى أتم الله عليّ الأمر ، فجزاها الله -تعالى- عني خير الجزاء وجمعني بها
على خير ما يجمع به عبيد صالحين في الدنيا والآخرة .

إلى قرة عيني ولديّ الغالين " محمد وإياد " أسأل الله أن يجعلهما من حملة كتابه الكريم وسنة
رسوله الأمين وأن يبارك لي فيهما ويحفظهما من كل سوء وأن يقر عيني بصلاحهما وتقواهما .

إلى شقيقتي الغاليتين حبيبتيّ قلبي " نادية وهناء " اللتين تغمر السعادة قلبيهما كلما وفقني الله
عز وجل إلى كل خير ، ولا تكتمل فرحتي إلا بوجودهما وسعادتهما ، الله أسأل أن يوفقهما وان يرزقهما
أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة وأن يجبر بخاطرهما في أبناءهما .

إلى شقيقي الأصغر " محمد " وصديقي الأوحده ، أهديك يا حبيبي بحثي هذا متمنياً من الله
لك دوام التوفيق والسداد .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأحمدك ربي حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وأصلي وأسلم على رسولك الكريم سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه ومن ولاة وبعده:

فبعد إنجاز هذه الرسالة التي أرجوا من الله ﷻ أن أكون قد نجحت في تحقيق أهدافها ، أشكر ربي أن أعانني على هذا البحث فله الحمد والمنة كما هو أهله وكما ينبغي لكريم وجهه ، وأسأله المزيد من فضله ، وما كان فيه من صواب فمن الله هو المنان به ، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان ، وليس الله ورسوله ودينه في شيء منه .

ثم أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أساتذتي الكرام وأخص بالذكر منهم أستاذي الفاضل العالمين مشرفي الرسالة : فضيلة الأستاذ الدكتور / **شرف الدين أحمد آدم** ، الأستاذ المساعد في قسم الثقافة الإسلامية مشرفاً ، ذالكم العالم المربي الفاضل ، صاحب السمات الحسنه بهجة المجالس ، التقت القلوب على محبته وأجمعت النفوس على مصافاته ومودته ، جمع متفرقات الفضائل ، وحاز أنواع الفواضل ، وبالجملة فمحاسنه أبيض من الشمس وأحسن من القمر ، لم يخل بوقته ولا بنصحه ولا بعلمه ولا بتوجيهاته الفذة المحررة ، فبارك الله عزوجل فيه وفي ذريته وجزاه الله عني وعن طلاب العلم والمسلمين خير الجزاء .

وفضيلة الدكتور : "**محمود بطل محمد أحمد**" ، المدرس في قسم الثقافة الإسلامية مشرفاً متابعاً ، العالم الجليل المبجل صاحب الطلعة البهية ، والأخلاق الزكية ، الذي شعرت معه أنه أخ أكبر وناصح أمين ، لم يأل جهداً في نصحي وإرشادي وتوجيهي ، فكان لي بحق استاذاً فاضلاً وأخاً كريماً ، فبارك الله عزوجل فيه وفي ذريته ، وجزاه الله عني وعن طلاب العلم والمسلمين جميعاً خير الجزاء .

هذا ، ومن فضل الله ﷻ علي أن قيض لهذا البحث مناقشين كريمين ، وعالمين جليدين ، شرفوا البحث وصاحبه بالقراءة والمناقشة؛ فضيلة الأستاذ الدكتور/ **المريسي محمود ابراهيم المريسي** ، أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة ، الذي أخرجني بتواضعه الجمّ وحسن استقبالي لي ، وقد تحمل مشاق السفر ، وما علم أحد بكونه مناقشا للبحث إلا وأثنى على فضيلته خيراً ، وبشرني بما يسرني .

وفضيلة الأستاذ الدكتور/ **احمد حسين يوسف** استاذ الأديان والمذاهب وعميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، العالم الفاضل المحقق المدقق، صاحب الخلق الكريم، والوجه الوضّاء. ، الذي شرفني بقبول مناقشتي، وما ألفتيه إلا حليماً كريماً، لم يشق عليّ، وإنما عاملني بكرم بالغ، وود سابغ، أسأل الله تعالى أن يحفظه وأن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يمتعه بالصحة والعافية ودوم العطاء، وأن ينفع بعلمه الإسلام والمسلمين.

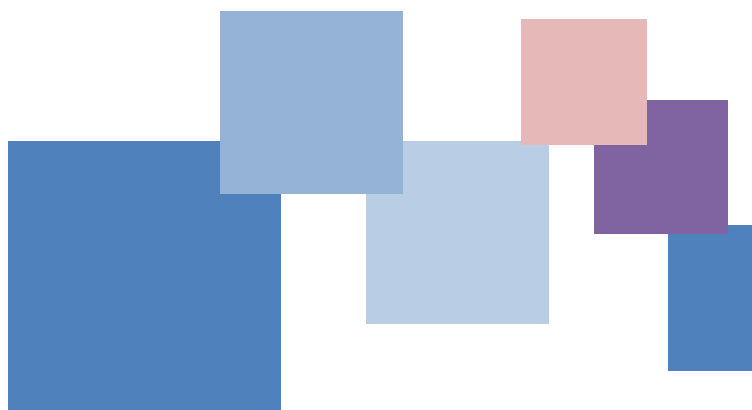
أستاذي الكريمين جزاكم الله خير الجزاء، وأجزل لكم المثوبة والعطاء في الدنيا والآخرة، وبارك لكم في دينكما وعلمكما، وإني على يقين بأن البحث سيخرج في أحسن صورة بناءً على ملاحظتكم العلمية والمنهجية .

والشكر والعرفان موصولان لدوحة العلم ومورد الخير "**جامعة الأزهر الشريف**" ممثلة في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، وأخص بالذكر السادة الأساتذة أعضاء قسم الثقافة الإسلامية بالكلية . كذلك أشكر كل من أعانني أو ساعدني من إخواني بكلمة أو توجيه أو نصيحة أو كتابة أو مراجعة أو حتى دعوة صالحة ، والمقام لا يتسع لذكرهم جميعاً، فالله ﷻ أسأل أن يجزيهم عني خير الجزاء وأن يجعل عونهم ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة .

وبعد:فإني أسأل الله العون والتوفيق وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي وحسنات قارئيه ، وأن يجعله زاداً لحسن المصير إليه ؛ إنه بكل جميل كفييل ، وهو حسبي ونعم الوكيل . وصلّ اللهم وسلم وزد وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والحمد لله أولاً وآخراً.



**ملخص الرسالة
باللغة العربية**



بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأشرفان الأزهران الأعطران على سيدنا
رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد

فهذه رسالة بعنوان

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وستة فصول
تحدثت في المقدمة عن: أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وتساؤلات الدراسة .
وتعرضت في التمهيد لبعض المصطلحات والمفردات المهمة تستوجب الوقوف عندها

قليلاً ، ليتضح المعنى المقصود ، وهي كالآتي :

___ : نبذة مختصرة عن حياة الشيخ فتح الله كولن .

___ : ما المراد بآراء الشيخ الإصلاحية ؟ .

___ : مفهوم الإصلاح في فكر الشيخ كولن .

___ : الشيخ فتح الله كولن وآراؤه الإصلاحية في تسلسل زمني .

ثم تناولت في الفصل الأول : التعريف بفتح الله كولن

وفي الفصل الثاني : ركائز الإصلاح عند فتح الله كولن

وفي الفصل الثالث: وسائل الإصلاح عند فتح الله كولن

وفي الفصل الرابع : المنهج العملي عند فتح الله كولن

وفي الفصل الخامس : معوقات الإصلاح عند كولن وكيفية تغلبه عليها

وفي الفصل السادس: منهج فتح الله كولن الإصلاحي وموقفه من قضايا عصره في الميزان

ويمكن تلخيص أهمية الموضوع فيما يأتي :-

- ١- رغبة الباحث في اعطاء صورة معاصرة لمنهج الإصلاح الذي انتهجه ذلكم العالم محمد فتح الله كولن من خلال عرض منهجه ووسائله في الحوار مع الغرب ، وفي عرض الإسلام في صورته المعاصرة التي تجعله يستطيع التعايش مع الآخر في عصر العولمة.
- ٢- عرض تاريخي لمسيرة هذا الداعية الإسلامي بتركيا ، وما حققه من نتائج طيبة انعكست على المسلمين في سلوكياتهم ومعاملاتهم وفق منهج الإسلام الصحيح .

وفكرة البحث تدور حول ثلاثة محاور:

• المحور الأول:

فتح الله كولن أَلشيخ وحركة الخدمة: وفيه يتم التعرف على معالم سيرة الشيخ فتح الله كولن وملامح فكره ورؤيته، مع الإشارة إلى خبرة الحركات الإصلاحية في تركيا وموقف الإسلام منها.

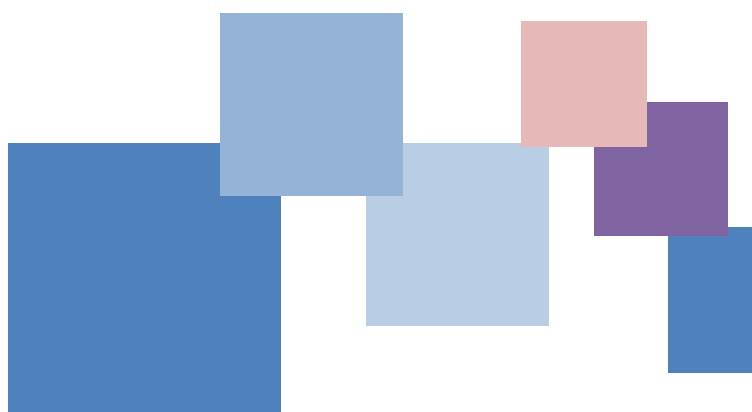
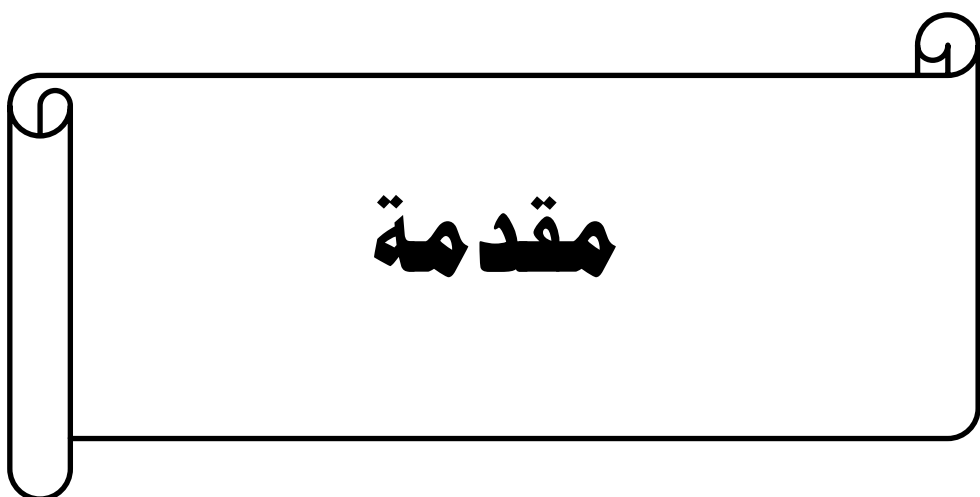
• المحور الثاني:

مجالات العمل وخبرات الممارسة من المحلية إلى العالمية: وهو الجزء الذي يستعرض محاور نشاط حركة الشيخ فتح الله كولن، والتي تتمحور حول ثلاثة مجالات رئيسة للعمل: "التعليم والحوار ومقاومة الفقر. حيث تميزت هذه الحركة أنها تجاوزت الحدود الجغرافية والموطن الإقليمي فانتشرت في أكثر من مائة وستين دولة .

• المحور الثالث:

شهادات من واقع التعرف على الفكر والخدمة، وهو المحور الذي يعرض لشهادات واقعية حية ترصد الحركة في حركتها ورؤية الشيخ كولن حال تطبيقها على أرض الواقع.

سائلاً المولى القدير أن ينفعني بها وينفع بها المسلمين
وصلى الله على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين
وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، من قاموا بحق هذا الدين وأقاموا الدين والدنيا حضارةً تُبهر الناظرين، وتقدم للعالم نموذجاً خيراً أمةً أُخرجت للعالمين.

فقضية الخطاب الدعوي: يجب أن يكون خطاباً عالمياً لا قُطرياً، وهو ما يجعل حاجتنا أشد إلى توجهات إسلامية تتبنى الإسلام باعتباره ديناً حضارياً، وتعرضه للبشرية الحائرة، لاعلى أساس فكرة العداء للغرب، وإنما على أساس فكرة الأخوة الإنسانية، فالغرب ليس فقط مجرد الأنظمة المستعمرة، أو التحالفات المتآمرة، بل هناك شعوب ظمأى لروح هذا الدين، ولرؤية أنواره على وجوه أبنائه حين يمثلونه تمثيلاً صحيحاً. ومن ثم فقدمت إلى دراسة شخصية تجلي بعض معالم الإصلاح، ووجدت شخصية تمثل بعضاً من هذه المعالم، فكان بحثي " الشيخ محمد فتح الله كولن وآراؤه الإصلاحية .
و شهد العالم الإسلامي في عقود الأخرى ، الكثير من محاولات البعث والإحياء ومشاريع الصحوة والنهوض ، لاسيما في عالمنا العربي .
وقد شهد العالم العربي الكثير من التطورات المفاجئة ، والأحداث المتلاحقة ، وكلُّ أدل دلوّه في محاولات النهوض بطرق مختلفة .
وقد اتّسمت بعض هذه الجهود بالطابع الإسلامي، واتّخذت من الإسلام منهجاً لها ، وبرنامجاً لمشاريعها .

غير إن المتأمل في هذه الجهود يجد أنها - في أكثرها - غلبت عليها النزعة السياسية واتخذت من التنافس الحزبي، والتصارع السياسي سبيلها في محاولات الإصلاح والتغيير، واختلط ما هو ديني ودعوي، بما هو سياسي وحزبي.
ومحاولات أخرى حاولت الابتعاد عن الدين كعنصر للتغيير الشامل، محاولة حصر الدين فيما هو شعائري وتعبدية فحسب .

كما أن الكثير من المحاولات أو المشاريع من هذه أوتلك، اتَّسمت بالنظرية داخل أطرمحددة من التشكيلات المغلقة على أصحابها، رافعة شعاراتها الخاصة، وطنية أو دينية، معبرة - في مجملها - عن فكر أصحابها وآمالهم ، وليست - بالضرورة - عن هموم الأمة واحتياجاتها، هذا إلى جانب الكثير من المعالجات الفكرية ، التي وإن اتسمت بالنضج الفكري ، والثراء المعنوي والبعد التنظيري ، إلا أنها افتقدت إلى الجانب العملي التطبيقي ، فأجادت في جانب الفكر وضمُرت في جانب الحركة .

كما أن بعض هذه المعالجات الفكرية، انتهجت المنهج العقلي والفكري واقتصرت عليه، وأخرى اعتمدت الجانب الروحي والوجداني واقتصرت عليه أيضا، وقَلَّ من هذه المعالجات ما اقترن فيه العقل والروح ، والفكر والعاطفة ، واستنار فيه العقل بنور الوحي ، والتقت فيه أشعة المعرفة مع شمس الوجدان .

• رحلة الباحث مع موضوع الرسالة .

كانت هذه الأفكار تدور في ذهني ، وتعمَل في خاطري حين كلفني فضيلة الأستاذ الدكتور "حسن عبد الغني حسان" - رحمه الله - استاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر الشريف ، في مرحلة الدراسات العليا بكتابة بحث عن تجربة الشيخ كولن الإصلاحية وأمرني بقراءة كتاب العلامة الفقيه الأديب الدكتور فريد الأنصاري صاحب الدراسات القرآنية والخبرة الدعوية ، الذي كتب بحثاً عن الشيخ فتح الله كولن بعنوان "عودة الفرسان" وكان هذا الكتاب آخر مؤلفات الانصاري - رحمه الله - .

فحين قرأت الكتاب جذبتني شخصية الرجل وتجرته الروحية والدعوية وآثاره العلمية وزاد من إعجابي أن يكون هذا الأمر ليس مجرد تاريخ يسطر ، ولا روايات تحكى ، وإنما هو واقع معاصر ، وتجربة حيّة بين أيدينا .

دفعني هذا إلى مزيد من البحث والدراسة ، ولفت نظري في بداية بحثي عن ماكتب عن الرجل وفكره الإصلاحية ، أن المؤرخ والمفكر الراحل الدكتور/ عبد الحلیم عويس (١٩٤٣-٢٠١١م) - رحمه الله - ، قد صدر له كتاب عن فتح الله كولن بعنوان :فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة .

كذلك فإن مؤتمراً دولياً عُقد في القاهرة، بمقر جامعة الدول العربية، وتحت إشرافها من (١٩-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩م) وكان عنوانه: (مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن)،

وقد ضم المؤتمر عدداً كبيراً من كبار المفكرين من مصر والعالم الإسلامي، من خلال أوراق بحثية رصينة عن فتح الله كولن، من حيث شخصيته وأفكاره وحركته، وكانت المحاضرة الافتتاحية لفضيلة الإمام الأكبر / الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف (رئيس جامعة الأزهر حينها).

ثم بدأت في دراسة فكر الرجل وتجربته الإصلاحية من خلال:-

- قراءة ودراسة ما ترجم من مؤلفاته .
- قراءة ودراسة ما كتب عن شخصه أو فكره أو حركته، ما كان منها لمؤلفين عرب أو أترك أو غير عرب وتمت ترجمته .
- مطالعة ومتابعة المواقع الرسمية لمؤسسات حركة " الخدمة "، أو ما يطلق عليها حركة فتح الله كولن وكذلك موقع مجلة حراء حيث يوجد العديد من المؤتمرات والندوات العلمية، مقروءة ومتلفزة، إلى جانب عشرات المقالات الافتتاحية بقلم الشيخ نفسه .
- زيارة المؤسسات التعليمية والثقافية لأبناء " الخدمة "، وتلاميذ الشيخ في مصر، ومقابلتهم مرة بعد مرة، ومناقشتهم حول أفكار الشيخ وشخصيته وما قيل وما يقال عنه، وعن حركته وما طبيعة العلاقة التي تجمعهم؟، وما دور الشيخ في إنشاء هذه المؤسسات؟ إلى غيرها من النقاشات، والزيارات التي اتضحت معها الرؤية وتبلورت الفكرة.

أولاً: أهمية الموضوع:

تنبع أهمية هذا الموضوع من ارتباطه بشخصية إصلاحية أثرت في الواقع المعاصر من خلال هذا المنهج الإصلاحي الذي قام على رصد مشكلات المسلمين والتعرف على أسباب تلك المشكلات ووضع المنهج الإصلاحي الذي من خلاله استطاع المفكر والمصلح فتح الله كولن أن يعمل على التغيير الإيجابي في مجال الدعوة والتربية والتعليم .

ويمكن تلخيص أهمية الموضوع فيما يأتي :-

- ١- حاجة الواقع المعاصر في مصر إلى عرض نموذج إصلاحى ناجح ينطلق من الدعوة وينتهي بالمجتمع والأمة .
- ٢- أن تجربة الشيخ كولن ..تجربة دعوية خالصة. .سواء في المنطلقات والغايات أو في الوسائل والأساليب، فهي ليست تنظيماً مغلقاً، أو حزباً سياسياً، ولا حركة ذات إطار محدد، أو شروط عضوية مثلاً وانما هي طريق عمومي ليس ملكاً لأحد أو حكراً على فئة بعينها.
- ٣- نجاح المنهج الإصلاحى للمفكر محمد فتح الله كولن في مجال التعليم من خلال تلك الرؤية العلمية لحل مشاكل التعليم.
- ٤- تميز المنهج التربوي للمفكر محمد فتح الله كولن في مجال التربية ورؤيته لإصلاح المجتمع من خلال التربية .
- ٥- حسن استخدامه لوسائل واساليب ومناهج الدعوة •
- ٦- قدرة المفكر فتح الله كولن على التواصل مع المجتمع الغربى ونجاحه في كثير من الدول من خلال منهجه الإصلاحى المتميز •
- ٧- أن تجربة الشيخ كولن استطاعت بنجاح الجمع بين الفكر والحركة والنظرية والتطبيق ، والعقل والعاطفة ، والتربية والسلوك، في توازن فكري وحركية مبدعة ،دون تقييد لحرية العاملين أو حصر على ابداعهم وأمتنا - اليوم - في أمس الحاجة إلى الجمع بين الفكر والحركة، وتحويل النظريات إلى نماذج حية واقعية ،والسير على درب يزاوج بين العقل والعاطفة ، والتربية والسلوك .
- ٨- من أهم الأسباب كذلك أن تجربة الشيخ كولن نجحت في أن تتجاوز الحدود الجغرافية لموطنها الأصلي لتنتقل إلى آفاق العالم الإسلامى الرحب ،دون تمييز عرقى أو طائفى او أيد لوجى، فمثلت بذلك جزءاً مهماً من طبيعة رسالة الإسلام ،فالإسلام دعوة عالمية ،لا تحده حدود جغرافية ولا تشكيلات سياسية ، وقد استطاعت حركة الإصلاح الوصول إلى كثير من دول الغرب والشرق على السواء .

ثانياً- أسباب اختيار الموضوع :

١- تناول قضية الإصلاح والنهضة من منظور جزئي لا كلي عند بعض اهل الاجتهاد في الإصلاح .
أما الشيخ كولن فقد تناولها من منظور عالمي .

فتناولوها من منظور وطني أو إقليمي أو جغرافي ، مرهون بمكانٍ محدد في زمان ما، ف جاءت نظرتهم قُطريّة محدودة وليست إنسانية عالمية .

٢- ومن منظور آخر، فقد تناول مفهوم الإصلاح باعتباره تنمية في الجانب الصناعي أو التجاري أو حتى العلمي فحسب ، أو باعتباره تفوقاً حضارياً على الغرب ، أو دخولاً معه في سباقه الحضاري واللاحق بركابه .

٣- أن بعض تجارب الإصلاح في عالمنا الإسلامي - على اختلاف توجهاتها - حين أقامت نموذجها العملي ، أهملت أو أغلقت أهم عنصر في عملية النهوض ، ألا وهو : الإنسان، فجعلته كماً مهملاً ، وأذابت شخصيته وألغت حرّيته في سياق المجموع .

لاشك أن هذا البحث يرمي الي تحقيق جملة من الأهداف العلمية لعل من أبرزها ما يأتي :-

١ - رغبة الباحث في إعطاء صورة معاصرة لمنهج الإصلاح الذي انتهجه ذلكم العالم محمد فتح الله كولن من خلال عرض منهجه ووسائله في الحوار مع الغرب ، وفي عرض الإسلام في صورته المعاصرة التي تجعله يستطيع التعايش مع الآخر في عصر العولمة .

٢ - عرض تاريخي لمسيرة هذا الداعية الإسلامي بتركيا ، وما حققه من نتائج طيبة انعكست على المسلمين في سلوكياتهم ومعاملاتهم وفق منهج الإسلام الصحيح .

٣- بيان معالم المنهج الإصلاحي للمفكر محمد فتح الله كولن .

٤- إبراز جهود فتح الله كولن في مجال التعليم والدعوة الى الله .

٥- إثراء المكتبة ببحث جديد عن شخصية ذاع صيتها في الأوساط العربية، والغربية .

٦- عرض لنموذج من نماذج الإصلاح في العصر الحديث وتحليل منهجه الاصلاحى .

٧- التعريف بهذه الشخصية العبقريّة ودورها في تأسيس وقيادة تيار الخدمة في تركيا

٨- عرض نموذج لدعوة فتح الله كولن ومنهجه الإصلاحية الذي اتسم بالاعتدال والوسطية والحوار وقبول الآخر .

٩- توفير قدر من المعرفة والقراءة التحليلية لتجربة غنية بالخبرات ، يمكن أن تشكل رافداً مهماً من روافد المعرفة والخبرة الضرورتين للحركات الإسلامية في العالم الإسلامي بعد عقود من المد والجزر ، نتيجة كثرة العقبات والمصاعب الذاتية والموضوعية.

١٠- بيان آثار المنهج الإصلاحية لفتح الله كولن في الواقع المعاصر .

بالتتبع والبحث تبين لي أن هناك الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية، التي أجريت عن فكر الاستاذ فتح الله كولن ، أو عن حركته أو عنهما معاً، أعرض بعضها منها فيما يلي :-

أولاً:- رسائل جامعية:

هناك مجموعة من رسائل الماجستير والدكتوراه، في جامعات مختلفة من العالم العربي ، وهي تكشف عن مدى الاهتمام بفكر الأستاذ فتح الله كولن ، وفيما يلي سرد لبعض هذه الرسائل العلمية في جامعات عربية مختلفة :-

١- التجديد في الفكر الديني المعاصر في تركيا ، نموذج دعوة محمد فتح الله كولن ، أبو زيد عبد الرحيم عبد العاطي ، جامعة الزقازيق ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٩ مصر .

٢- تربية الإنسان عند فتح الله كولن ، محمد أحمد عواد الزعبي ، جامعة اليرموك ، رسالة دكتوراه ، ٢٠١٣ الأردن .

٣- البراديم كولن^(١) ، باعتباره برادياً حضارياً بديلاً ، طه كوزي ، جامعة أريس الأمريكية بالتنسيق مع معهد المناهج في الجزائر ، رسالة دكتوراه ، الجزائر .

٤- الفكر التربوي عند فتح الله كولن المدارس نموذجاً (دراسة تحليلية) ، مولود بوزتاش ، جامعة الزيتونة ، رسالة دكتوراه ، تونس

٥- محمد فتح الله كولن وجهوده في العقيدة والأخلاق ، أمل نعيمات ، جامعة العلوم الإسلامية العالمية ، رسالة دكتوراه ، الأردن .

^١ -البراديم : يعنى بها النموذج والمثال .وقد كتب الاستاذ محمد بابا عمي كتاباً أسماه "البراديم " بجامعة الجزائر ' ام ٢٠٠٣م.

٦- الدور التربوي لمدارس الخدمة بتركيا، جمال حوشي، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة رسالة دكتوراه ، السعودية .

٧- الخطاب الإسلامي بين مقتضيات العصر ومشروع الحداثة والتواصل، نموذج تجربة فتح الله كولن، هشام الراس، جامعة عبد الملك السعدي ورسالة ماجستير ، ٢٠١٠م، المغرب .

٨- فاعلية الإنسان من خلال فكر جودت سعيد وفتح الله كولن ،سعاد دوفاني ، جامعة الأمير عبد القادر رسالة ماجستير ، ٢٠١٣م، الجزائر .

٩- "حركة كولن التركية وجهودها وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى"؛ للباحث: علاء علي محمود شكر المدرس المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية"مصر" ، رسالة دكتوراه، بتاريخ ٢٠١٩/٨/٢٠١

١٠- أسس منهجية لبناء شخصية إنسانية متوازنة عند فتح الله كولن ،إبراهيم الخمليش ،جامعة عبد الملك السعدي ،رسالة ماجستير ،المغرب .

١١- الاستشراف الحضاري عند فتح الله كولن .. البعد الثقافي نموذجاً، أيوب يشار، جامعة الزيتونة ،رسالة ماجستير ،تونس .^(١)

وسأتناول بعض هذه الرسائل وهي:-

أولاً- التجديد في الفكر الديني المعاصر في تركيا ، نموذج دعوة محمد فتح الله كولن ، أبو زيد عبد الرحيم عبدالعاطي ، جامعة الزقازيق ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٩م.

الفصل الأول: الأحوال السياسية والاجتماعية في تركيا ومفهوم التجديد ويشتمل على ثلاثة مباحث

- يتحدث في المبحث الأول عن الأحوال السياسية في تركيا
- ويتناول في المبحث الثاني الأحوال الاجتماعية الفكرية والخلقية .
- أما المبحث الثالث فإنه يعالج قضية التجديد في الفكر الدين المعاصر

^١ - أشواق النهضة والانبعث، قراءات في مشروع الاستاذ فتح الله كولن ، د، محمد حكيب ،ص٣٤٩، ط١، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣م.

ويأتي الفصل الثاني من هذه الدراسة بعنوان: حياة الأستاذ فتح الله كولن وفكره ويشمل ثلاث مباحث:

- المبحث الأول مولده ونشأته
 - المبحث الثاني مؤلفات الشيخ كولن
 - المبحث الثالث نماذج للرؤية الفكرية للشيخ كولن
- أما الفصل الثالث فجاء بعنوان اهداف الدعوة عند الشيخ كولن ووسائلها ومناهجها
- المبحث الأول: أهداف دعوة الأستاذ فتح الله كولن
 - المبحث الثاني: سمات دعوة الأستاذ فتح الله كولن
 - المبحث الثالث مناهج الدعوة عند الاستاذ فتح الله كولن

ويأتي الفصل الرابع بعنوان: وسائل الدعوة وأساليبها ومناهجها عند فتح الله كولن ويشتمل على مبحثين

- المبحث الأول: وسائل الدعوة عند كولن
 - المبحث الثاني: أساليب الدعوة عند الشيخ كولن
- ثانياً- حركة كولن التركية وجهودها وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى؛ للباحث: علاء علي محمود شكر المدرس المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية"مصر"، رسالة دكتوراه، بتاريخ (٢٠١٧/٨/١٩).

اشتملت خطة البحث على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة:

- المقدمة: وتحدث فيها الباحث عن أهمية اختياره للموضوع، وتركيا بين الماضي والحاضر، والطرق الصوفية وأثرها الدعوي في تركيا.
- الفصل الأول وكان بعنوان: الشيخ محمد فتح الله كولن، الشخصية والرؤية.
- الفصل الثاني بعنوان: سمات حركة كولن وأهدافها، والتحديات التي تواجهها.
- الفصل الثالث: جهود حركة كولن في الدعوة وتجديد الفكر الديني "الجانب النظري".
- الفصل الرابع أتى بعنوان: آليات ووسائل حركة كولن في الدعوة "الجانب التطبيقي".
- الفصل الخامس بعنوان: طرق الاستفادة من حركة كولن في الدعوة إلى الله تعالى.
- خاتمة: واشتملت على أهم نتائج تلك الدراسة، بالإضافة إلى توصيات الباحث.

أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة :-

١- أوجه الاتفاق :

- تناول هذه الدراسة في فصلها الأول مراحل ونشأة وإعداد وتشكيل شخصية فتح الله كولن وقد اهتمت دراسات سابقة بهذا المحور حيث تناولت شخصية كولن والعوامل المؤثرة في تكوينه الفكري والوجداني، ومراحل حياته وسيرته الذاتية .
- تتفق هذه الدراسة مع سابقتها من دراسات في محاولة اكتشاف وفهم تجربة إسلامية فرضت نفسها على الواقع المعاصر من حيث كونها حركة مجتمعية، إصلاحية ودعوية رائدة .

٢- أوجه الاختلاف :

- تختلف هذه الدراسة عن غيرها في أنها جمعت بين الشخص والفكر والحركة في دراسة واحدة، فلم تقتصر الدراسة على الحديث عن شخص الشيخ وحده باعتباره رائد الحركة، ولا بالحديث عن الجانب الفكري فقط بعيداً عن الواقع التطبيقي، بل جمعت بين الشخص والأفكار التي بنى عليها تجربته الإصلاحية، والحركة التي استلهمت من أفكاره.
- تناولت الدراسة فكر الشيخ كولن وآراءه الإصلاحية من حيث كونها نهضة مجتمعية في ساحة التربية والتعليم والحوار، فهي أولاً: تتناولها من حيث كونها آراء إصلاحية خالصة لا من حيث كونها حركة مجتمعية فقط، وهي ثانياً: تتناول تأثيرات هذه الآراء الإصلاحية على نهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الإصلاحي الميداني .

فالدراسة تنظر إلى فكر الشيخ كولن بهذا المنظار الدقيق، ذلك أن آراء الشيخ كولن ذات جوانب متعددة، لاسيما في مجال العمل الإصلاحي، فالدراسة - بهذا المنظار لا تقف عند حدود الآثار الإصلاحية للحركة التي استلهمت من فكر الشيخ كولن - على أهميتها- بل تتعداها إلى دراسة الحركة والفكر كنموذج لمحاولة النهوض الحضاري بالمجتمع والأمة من منطلق إسلامي ودعوي بعيداً عن أية تجاذبات سياسية لا علاقة لها بموضوع الدراسة .

❖ في حين تنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسية:

• المحور الأول:

فتح الله كولن: الشيخ والخدمة، وفيه يتم التعرف على معالم سيرة الشيخ فتح الله كولن وملامح فكره ورؤيته، مع الإشارة إلى خبرة الحركات الإصلاحية في تركيا وموقف الإسلام منها.

وتقوم الدراسات والمناقشات على الكشف عن دلالات مفهوم الخدمة، وهو مفهوم محوري عاكس لمرتكزات الفعالية في توجهات وفكر حركة الشيخ فتح الله كولن الإصلاحية.

• المحور الثاني :

مجالات العمل وخبرات الممارسة من المحلية إلى العالمية، وهو الجزء العارض لمحاوَر نشاط حركة الشيخ فتح الله كولن، والتي تتمحور حول ثلاثة مجالات رئيسة للعمل: التعليم والحوار ومقاومة الفقر. وجمعها أنشطة تصب في مواجهة وعلاج ما يعتبره الشيخ فتح الله كولن بمثابة الآفات الرئيسية التي يعانها العالم الإسلامي وتعيق تقدمه ونهضته، وهي: الجهل والفرقة والفقر.

• المحور الثالث:

شهادات من واقع التعرف على فكر الشيخ كولن ومنهجه الإصلاحي، وهو المحور الذي يعرض لشهادات واقعية حية ترصد الحركة في حركتها ورؤية الشيخ كولن حال تطبيقها على أرض الواقع، وذلك لتقديم صورة تعكس مدى العلاقة بين الفكر والتطبيق والرؤى والتنفيذ، من أجل تبيان قدرة حركة الشيخ فتح الله كولن الإصلاحية على تجسير الفجوة بين النظري والعملي، وهي المشكلة الرئيسية التي عانت وتعاني منها معظم -إن لم يكن جميع- حركات الإصلاح في العالم الإسلامي.

ثانياً- كتابات ودراسات علمية:

- ١- مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، مؤتمر، دار النيل، القاهرة ٢٠١٠م.
- ٢- عودة الفرسان سيرة محمد فتح الله كولن رائد الفرسان القادمين من وراء الغيب، أ. د. فريد الأنصاري، دار النيل، القاهرة ٢٠١٠م.
- ٣- البراديم كولن، فتح الله كولن ومشروع الخدمة، على ضوء نموذج الرشد، د. محمد بابا عمي، دار النيل، القاهرة ٢٠١١م.
- ٤- أرباب المستوى .. حضور معرفي في فكر الأستاذ فتح الله كولن، د. محمد بابا عمي، دار النيل، القاهرة ٢٠١٢م.
- ٥- الضاربون في الأرض، أديب ابراهيم الدباغ، دار النيل، القاهرة، ٢٠١٢م.

- ٦- الانبعاث الحضاري في فكر فتح الله كولن، أ. د. سليمان عشراقي، دار النيل القاهرة ٢٠١٢م.
- ٧- هندسة الحضارة... تجليات العمران في فكر فتح الله كولن أ.د. سليمان عشراقي، دار النيل القاهرة ٢٠١٢م.
- ٨- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة / د. فؤاد البنا، دار النيل، القاهرة ٢٠١٢م.
- ٩- ذي قربتي.. مقالات وخواطر وقصص من واقع الخدمة، د. محمد بابا عمي، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.
- ١٠- الزمن والوقت.. نصوص ومفاهيم مؤسسة على الرؤية الكونية لفكر الأستاذ فتح الله كولن، د. محمد بابا عمي، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.
- ١١- العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، د. فؤاد البنا ٢٠١٣م.
- ١٢- فتح الله كولن في شؤون وشجون، أديب إبراهيم الدباغ، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.
- ١٣- نداء الروح.. رحلة في عالم الفرسان، د. مريم آيت أحمد، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.
- فتح الله كولن رائد النهضة في تركيا المعاصرة، د. عبد الحليم عويس، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.^(١)

ثالثاً- مؤتمرات وندوات دولية:

- أما المؤتمرات والندوات التي عُقدت حول فكر الأستاذ فتح الله كولن فهي كثيرة، لاسيما في السنوات الأخيرة حيث شهدت هذه المؤتمرات العلمية تنوعاً في الموضوعات والبلدان، وفيما يلي إشارة إلى بعض تلك المؤتمرات والندوات:
- ١- مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي.. خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، جامعة القاهرة، ١٩-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩م، القاهرة، مصر.

^١- أشواق النهضة والانبعاث، قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن، د. محمد حكيب، ص٣٤٧، ط١، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.

٢- رؤى معاصرة للإصلاح الإسلامي ودورها في تعزيز السلام العالمي . تجربة فتح الله كولن التركية نموذجاً ، ١٦ يناير ٢٠١٠م، عمان / الأردن.

٣- النور الخالد: قيم كونية من مشكاة النبوة، جامعة محمد الخامس ، ٢٦ ديسمبر ٢٠١١م ، الرباط / المغرب.

٤- قراءات في كتاب ونحن نبي حضارتنا للشيخ فتح الله كولن ، جامعة الجزائر ٢٦ ديسمبر ٢٠١٢م، الجزائر.

٥- الانبعاث الحضاري في فكر الشيخ كولن، ٢٢ مايو ٢٠١٣، المغرب .

٦- "ملامح التميز المنهجي في التعامل مع السيرة النبوية من شفاء القاضي عياض إلى النور الخالد لمحمد فتح الله كولن" ، جامعة القاضي عياض ، ٢٠١٣م، مراكش المغرب .

٧- الثقافة والفكر الإصلاحي .. الجذور التاريخية والأسئلة الراهنة ، الشيخ الطاهر ابن عاشور والأستاذ فتح الله كولن نموذجاً ، مركز الفاضل بن عاشور للثقافة والفنون ، ١٠ مايو ٢٠١٣م ، تونس .

٨- فلسفة البناء الحضاري عند مالك بن نبي وفتح الله كولن ، جامعة الجزائر ، ١٨ نوفمبر ٢٠١٣م .

٩- القضية الكبرى لأمتنا.. من الإنسان الأفق إلى المجتمع المثالي ، مكتبة الإسكندرية ، ١١ نوفمبر ٢٠١٣م الإسكندرية / مصر .

١٠- إنسان العقل والفعل في فكر فتح الله كولن ، ٩ يناير ٢٠١٣م ولاية مدني :السودان .^(١)

المنهج الذي أتبعه الباحث:

وقد استخدمت في بحثي عدة مناهج ، في مواضيع مختلفة من البحث .

فاستخدمت **المنهج " التحليلي "** وهو المنهج الذي يتم من خلاله دراسة الإشكالات العلمية المختلفة من خلال عدة طرق كالتركيب والتقويم والتفكيك ، ويعد هذا المنهج ملائماً للعلوم الشرعية بشكل كبير حيث يكثر استخدامه فيها ، ويستخدم في المنهج التحليلي ثلاث

^١-أشواق النهضة والانبعاث، قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن ، د، محمد حكيب ، ص٣٥٢. دار النسل للطباعة والنشر ، القاهرة .

عمليات وهي التفسير ، والنقد ، والاستنباط ، وقد يستخدم الباحث احدى هذه العمليات أو قد يجمع بين عمليتين أو أكثر.^(١)

حيث قمت بمحاولة تحليل ، وتفسير ، ونقد ما يتعلق بموضوع البحث ، من دراسة آراء الشيخ كولن الإصلاحية ، لاسيما في كتابات الشيخ كولن ، ثم فيما كتب عن فكره وحركته ومسيرته الإصلاحية من مؤلفات ، وما عُقد من مؤتمرات .

واستخدمت أيضًا المنهج "التاريخي" في عرض التجارب السابقة ، والمدارس الفكرية في تاريخنا الإسلامي وكذا ، عرض حياة الشيخ كولن ومسيرة فكره الإصلاحي ، والمنهج التاريخي " يهتم بدراسة الظواهر والأحداث الماضية ، أو بدراسة الظواهر الحاضرة بالرجوع إلى نشأتها وتطورها "^(٢)

حيث اعتمدت على وصف للوقائع التي حدثت في الماضي وتحليلها وتفسيرها بغية اكتشاف تعميمات تساعدنا على فهم الحاضر وأحداث المستقبل .

كذلك استخدمت المنهج "الوصفي" في دراسة ظاهرة "حركة الخدمة" كما هي في الواقع واهتمت بمحاولة توصيفها فكريًا وسلوكيًا بما قد يعبر عنها ويساعد في فهمها والاستفادة منها ، ويتضح هذا جليًا عند الحديث عن حركة الشيخ كولن في الفصل السادس من الدراسة .

والمنهج الوصفي يستخدم في: "دراسة الواقع أو ظاهرة ما ويهتم بوصفها وصفًا دقيقًا والتعبير عنها كيفًا أو كمًا ، إذ التعبير الكيفي يعطينا وصفًا للظاهرة موضحًا خصائصها في حين يعطينا التعبير الكمي وصفًا رقميًا موضحًا مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ومقدار ارتباطها مع الظواهر الأخرى ، ويكثر استعمال هذا المنهج في الدراسات الإنسانية ."^(٣)

١ - البحث العلمي ، مفهومه ، أدواته ، أساليبه ، د. ذوقان عبيدات ، د عبد الرحمن عدس ، ص ٥١ ، دار إشرقات للنشر والتوزيع ، الأردن ٢٠٠٣ م .

٢ - المرجع السابق ص ١٢٥ .

٣ - مركز تطوير التدريس والتدريب ، الدورة التدريبية السابعة ، جامعة الكوفة ، د. عبد الرزاق شنين الخنابي ، ص ١٠ ، نسخة إلكترونية .

وكذلك استخدمت من أدوات البحث "الملاحظة" ، و "الدراسة الميدانية" من خلال زيارة بعض مؤسسات الخدمة ، ومقابلة أفراد منها ، والملاحظة : "عبارة عن عملية مشاهدة أو متابعة لسلوك ظواهر محددة، أو أفراد محدودين خلال فترة أو فترات زمنية محددة.

ومن أدوات البحث المستخدمة في ثنايا هذه الدراسة : "إجراء مقابلة" وذلك خلال عدد من المقابلات الفردية والجماعية بين الباحث وبين عدد من أبناء الخدمة، ومن تتلمذوا على يد الشيخ فتح الله كولن وعاشوا التجربة منذ بدايتها ، حيث تمت هذه المقابلات في مصر/ القاهرة، التجمع الخامس، شارع التسعين الجنوبي، بمقر دار النيل للطباعة والنشر .
تساؤلات الدراسة.

إن من أبرز تساؤلات هذه الدراسة ما يأتي :-

- ١- ما معالم المنهج الإصلاحي عند فتح الله كولن؟
- ٢- ما جهود فتح الله كولن في مجال التعليم ، والتربية ، والدعوة ، والإعلام؟
- ٣- ما أهم معالم الفكر الإصلاحي في فكر فتح الله كولن؟ وما أبرز تطبيقاته التربوية؟
- ٤- ما موقف الإمام فتح الله كولن من قضايا عصره ومشاكله مثل (العلمانية ، الشوري الحداتة ، القومية).

٥- ما أهم المصادر التي استقي منها المفكر كولن فكره؟

٦- ما الرؤية الفكرية لفتح الله كولن حول النقاط الآتية :

أ. المعرفة .

ب. الأخلاق .

ج. الطبيعة الإنسانية وأثرها في الإصلاح

٧- ما هو الدور الذي تقدمه حركة فتح الله كولن في الإصلاح؟ وما مدي تطبيقه علي أرض الواقع .

٨- ما أثر المنهج الإصلاحي لفتح الله كولن علي الواقع المعاصر؟

وقد أتبعْتُ في عرض البحث مايلي :-

- محاولة التقديم للفكرة، والتعقيب عليها بعد النقل، بما يدعم الفكرة موضع البحث
- أنقل من كلام المفكرين والعلماء والدعاة، بما قديدعم الفكرة التي أتحدث عنها

- التعريف بالأماكن والبلدان التي تحتاج إلى تعريف، لاسيما والكثير منها بلدان تركية.
- التعريف بالأعلام والشخصيات التي وردت في ثنايا البحث .
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وعزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها .

وقد قسّمتُ البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول:

اشتملت المقدمة على : أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وأهداف البحث ، والدراسات السابقة ، وتساؤلات الدراسة ، ومنهج الباحث . واشتمل التمهيد على التعريف بمفردات عنوان البحث وهي كالتالي:-

أولاً: نبذة مختصرة عن حياة الشيخ فتح الله كولن.

ثانياً: ما المراد بآراء الشيخ كولن الإصلاحية؟

ثالثاً: مفهوم الإصلاح في فكر الشيخ كولن .

رابعاً: الشيخ فتح الله كولن وآراؤه الإصلاحية في تسلسل زمني .

وأخيراً: محتوى الدراسة واشتمل على ستة فصول كالآتي :

❖ المبحث الأول: التعريف بشخصية فتح الله كولن وفيه ثلاثة مطالب :-

• المطلب الأول: مولده ونسبه.

• المطلب الثاني: مراحل تعليمه التي مر بها.

• المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

• المطلب الرابع: الوظائف التي شغلها.

❖ المبحث الثاني : التعريف بعصره وفيه أربعة مطالب :-

• المطلب الأول: الحالة السياسية.

• المطلب الثاني: الحالة الاقتصادية والاجتماعية.

• المطلب الثالث: الحالة الفكرية والعلمية.

المبحث الثالث : جهود فتح الله كولن العلمية وفيه مطلبان :-

- المطلب الأول : أهم مؤلفاته .
- المطلب الثاني : اللقاءات الإذاعية : والمؤتمرات العلمية .

:

- المبحث الأول : الاعتماد على القرآن الكريم .
- المبحث الثاني : الاعتماد على السنة النبوية المطهرة .
- المبحث الثالث : الجمع بين الأصالة والمعاصرة .
- المبحث الرابع : إصلاح الفرد والمجتمع .
- المبحث الخامس : محاربة الجهل ، والفقر ، والمرض .

:

❖ المبحث الأول : التربية ودورها الإصلاحي في فكر كولن .

واشتمل على ثلاثة مطالب .

- المطلب الأول : دور الأسرة ، والواقع الثقافي في التربية .
- المطلب الثاني : دور الشيخ ، والمعلم في التربية .
- المطلب الثالث : المقامات والأحوال الصوفية ودورهما التربوي .

❖ المبحث الثاني : التعليم ودوره الإصلاحي في فكر كولن .

واشتمل على أربعة مطالب .

- المطلب الأول : العمل على إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات .
- المطلب الثاني : أسس التربية في مدارس كولن .
- المطلب الثالث : مرتكزات العمل التربوي في مدارس كولن .
- المطلب الرابع : نماذج لمدارس كولن الإصلاحية في الخارج والداخل .

❖ المبحث الثالث : دور الدعوة الإصلاحي عند الشيخ كولن .

واشتمل على أربعة مطالب .

- المطلب الأول : الحوار القرآني ودعوة كولن الى تطبيقه .
- المطلب الثاني : الحكمة والموعظة الحسنة .

• المطلب الثالث : ضرب الأمثال.

• المطلب الرابع: القدوة الحسنة.

• :

واشتمل على أربعة مباحث.

❖ المبحث الأول: الخدمات الإغاثية ودورها الإصلاحية في حياة الشيخ كولن .

❖ المبحث الثاني : تحديد الأولويات وتوجيه الطاقات في حركة الخدمة .

❖ المبحث الثالث: الرحلات الخارجية ودورها التربوي الإصلاحية في مدارس الشيخ كولن .

❖ المبحث الرابع : سمات المنهج العملي في حياة الشيخ كولن.

• :

واشتمل على أربعة مباحث.

❖ المبحث الأول : الجهل وغياب الثقافة.

❖ المبحث الثاني : التعصب ، والأنانية ، والرغبة في التسلط.

❖ المبحث الثالث : الكسل ، والخمول ، وحب الظهور.

❖ المبحث الرابع : توجيه النقد للأشخاص وليس للأعمال.

• :

واشتمل على ثلاثة مباحث

❖ المبحث الأول : إقامة الشيخ فتح الله كولن في أمريكا .

❖ المبحث الثاني : موقف الشيخ فتح الله كولن وحركة الخدمة من قضايا العصر.

❖ المبحث الثالث : الشيخ فتح الله كولن ماله وما عليه .

•

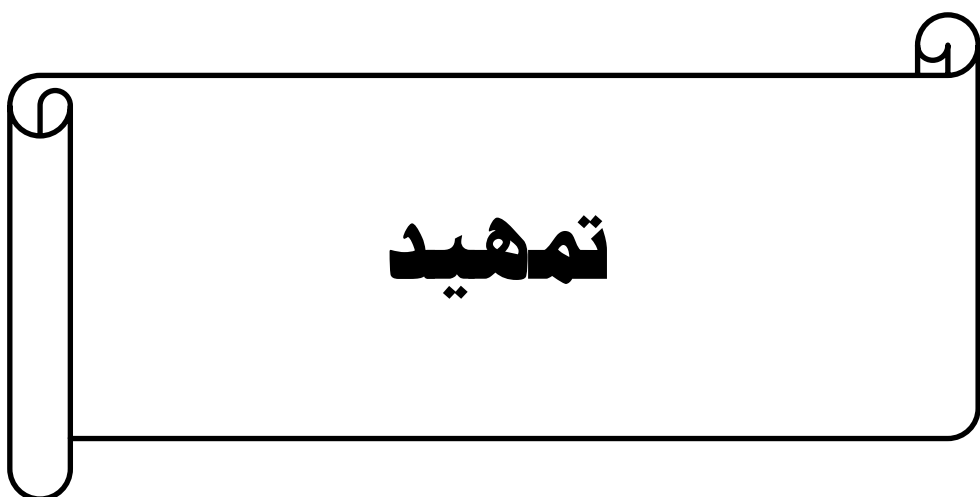
وقد أنهيتُ البحثُ بخاتمة ذكرت فيها :-

• النتائج : التي توصلتُ إليها من خلال البحث

• التوصيات : التي اقترحتها من خلال الاستفادة من محتوى هذه الدراسة

هذا ، وما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من خطأٍ أو زللٍ فمن نفسي والشيطان .

.....



التمهيد

هناك مفردات جاءت في عنوان البحث

(الشيخ محمد فتح الله كولن وآراءه الإصلاحية دراسة تحليلية)

تستوجب الوقوف عندها قليلاً، ليتضح المعنى المقصود، وهي كالتالي :

أولاً: نبذة مختصرة عن حياة الشيخ فتح الله كولن .

ثانياً: ما المراد بآراء الشيخ الاصلاحية ؟ .

ثالثاً: مفهوم الإصلاح في فكر الشيخ كولن .

رابعاً: الشيخ فتح الله كولن وآراؤه الإصلاحية في تسلسل زمني.

أولاً: نبذة مختصرة عن حياة الشيخ فتح الله كولن .

"فتح الله كولن ((بالتurكية: Fethullah Gülen)) مفكر إسلامي وداعية تركي. ولد فتح الله كولن في السابع والعشرين من أبريل، لعام الف وتسعمائة وواحد واربعين من الميلاد، في قرية صغيرة تابعة لقضاء حسن قلعة المرتبطة بمحافظة أرضروم، وهي قرية "كوروجك"، ونشأ في عائلة متدينة. التحق بمدرسة عمومية ودرس فيها لمدة ثلاث سنوات غير أنه لم يكمل فيها دراسته النظامية بسبب انتقال الأسرة إلى قرية صغيرة افتقدت للمدارس"^(١).

"تابع كولن دراساته بشكل غير نظامي ليحصل على دبلوم أولي بطريقة عصامية. في تلك المرحلة المبكرة من عمره تركزت دراسته على العلوم الإسلامية، قرأنا وحديثاً وسيرة وتصوفاً وعربية متأثراً بشيخه محمد لطفي أفندي"^(٢).

خلال الخمسينيات أكمل دراسته وكلها بإجازة غير نظامية من المشايخ الذين درس على أيديهم. وبموازاة ذلك تابع دراساته الثانوية في المواد العصرية ليكملها بنجاح وبطريقة عصامية.

"في تلك المرحلة تعرف إلى رسائل النور للشيخ النورسي"^(٣)، فتأثر بها بشكل كبير وإن لم يسعفه الحظ في ملاقاتها كاتبها. وكان لعلمه واجتهاده الأثر الواضح في حصوله على شهادة مدرس ديني أو مرشد

١ قصة حياة ومسيرة فكر: تأليف ارطغرول حكمة ترجمة خالد جمال عبد الناصر ص٧ ط الثانية، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٢ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

٣ - سعيد النورسي المعروف بـ "بديع الزمان النورسي" وهو عالم مسلم كردي من عشيرة أسباريت ولد سعيد النورسي في قرية نُورس الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام (١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م) من أبوين صالحين كرديين كانا مضرب المثل في التقوى والورع والصلاح ونشأ في بيئة كردية يخيم عليها الجهل والفقركأكثر بلاد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وإلى قرينته نورس ينسب، توفي سعيد النورسي في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٧٩ هـ الموافق ٢٣ مارس ١٩٦٠م، وتم دفن رفاتة في مدينة

رسمي من الدولة أواخر الخمسينيات ليتفرغ للتدريس والدعوة في منطقة أدرنة على الجانب الأوروبي من تركيا^(١).

في تلك المرحلة المبكرة من عمره لم يركز الرجل على العلوم الدينية بل وسع آفاقه لدراسة الفكر الغربي في الفلسفة وعلم الاجتماع.

ولكن ميوله الديني جعله عاشقاً لرواد الفكر الإسلامي القديم أمثال سيدنا "أبي حنيفة النعمان"^(٢) في الفقه و"أبو حامد الغزالي"^(٣) في الفلسفة والتصوف، و"جلال الدين الرومي"^(٤) في الجماليات والروحانيات هذا بالإضافة إلى المكانة الكبيرة التي وضع فيها رسائل النور للنورسي من المعاصرين. خلال عمله الدعوي والتعليمي

"حافظ كولن على زهده في الدنيا وكان شغله الشاغل منصباً على جانبين: إبعاد الشباب عن التطرف الديني وإنقاذهم من برائن النزعات الفلسفية المادية والإلحادية"^(٥).

أورفة. ولكن السلطات العسكرية الحاكمة لتركيا لم تدعه في قبره إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بهدم القبر ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة وبعد أن أعلنوا منع التحول في مدينة أورفة. فأصبح قبره مجهولاً حتى الآن لا يعرفه الناس (المصدر: بديع الزمان سعيد النورسي (قراءة جديدة في فكره المستنير) - تأليف الدكتور جمال الدين فالج الكيلاني بالاشتراك مع الدكتور زياد محمد الصميدعي - الناشر دار الزينقة - القاهرة ٢٠١٣).

١ - انظر، محمد فتح الله كولن، دنياي الصغيرة، وفي هذا الكتاب جوانب من السيرة الذاتية للشيخ فتح الله كولن، وخاصة في مراحل الصبا والشباب. ولم يترجم هذا الكتاب إلى العربية حتى الآن، وقد استقيت منه بعض البيانات من ترجمة بعض الأجزاء بمعرفة بعض تلامذته المقيمين في القاهرة، غير منشورة.

٢ - أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠-١٥٠ هـ / ٦٩٩-٧٦٧م) فقيه وعالم مسلم، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي. اشتهر بعلمه الغزير وأخلاقه الحسنة، حتى قال فيه الإمام الشافعي: «من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة»، ويُعد أبو حنيفة من التابعين، فقد لقي عدداً من الصحابة منهم أنس بن مالك، وكان معروفاً بالورع وكثرة العبادة والوقار والإخلاص وقوة الشخصية. كان أبو حنيفة يعتمد في فقهه على ستة مصادر هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والعرف والعادة.

توفي في بغداد سنة ١٥٠ هـ، ودُفن في مقبرة الخيزران في بغداد، وبنى بجوار قبره جامع الإمام الأعظم عام ٣٧٥ هـ. (المصدر: أبو حنيفة: حياته وعصره - آراؤه وفقهه، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ص ١٤).

٣ - أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م). كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان صوفي الطريقة، شافعي الفقه توفي يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة ٥٠٥ هـ، الموافق ١٩ ديسمبر ١١١١م، في "الطابران" في مدينة طوس. (المصدر: أبو حامد الغزالي المفكر الناثر، محمد الصادق عرجون، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، ص ٨٦).

٤ - محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي البكري (بالفارسي: جلال الدين محمد بلخي) ولد في منطقة بلخ في خراسان وما يعرف حالياً بأفغانستان في ٦ ربيع الأول ٦٠٤ هـ الموافق لـ ٣٠ سبتمبر ١٢٠٧م، عرف أيضاً باسم مولانا جلال الدين الرومي: شاعر، عالم بفقته الحنفية والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف (ترك الدنيا والتصنيف) كما يقول مؤرخو العرب. وهو عند غيرهم صاحب المثنوي المشهور بالفارسية، وصاحب الطريقة المولوية المنسوبة إلى (مولانا) جلال الدين. توفي عام ١٢٧٣م، دفن في مدينة قونية وأصبح مدفنه مزاراً إلى يومنا، وبعد مماته قام أتباعه وابنه سلطان ولد بتأسيس الطريقة المولوية الصوفية والتي اشتهرت بدراويشها ورقصتهم الروحية الدائرية التي عرفت بالسماح والرقصة المميزة. (المصدر: جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام، عناية الله أبلانغ الأفغاني، الدار المصرية للكتاب، ١٩٧٩، ص ٦٣).

"في عام ١٩٦٣ عاد إلى مسقط رأسه حيث درس فكر الشيخ الرومي وأنشأ جمعية شبابية لمواجهة المد الشيوعي. وفي ١٩٦٤م عين للتدريس في أدرنة حيث كانت محاضراته الدينية سببا في قلق الأوساط العلمانية من تأثيره ليتم نقله من قبل بعض أصدقائه النافذين إلى إزمير لإدارة مسجد هناك عام ١٩٦٦ وكان يرفض أي راتب مقابل عمله ذلك"^(٣).

ومنذ ذلك الوقت تفتقت قدراته القيادية والدعوية ليبدأ رحلاته بين المدن والقرى والمقاهي والمخيمات الصيفية داعياً ومعلماً. ولذلك يمكن القول إن عمله التنظيمي بدأ فعليا عام ١٩٦٩. في ذلك الوقت كانت محاضراته تشمل قضايا الأخلاق والسلم الاجتماعي والفلسفة الطبيعية.

"وكان لتواضعه ورفضه لمسميات القائد أو الشيخ وكذا تركيزه على القيم الإنسانية العالمية أثر في انجذاب نخبة مثقفة إلى أفكاره والتي أصبحت منتشرة بفضل تلاميذه ومحبيه في كل التراب التركي"^(٤).
تم القبض عليه بعد انقلاب ١٩٧٠ ليقضي في السجن ستة أشهر دون توجيه تهمة إليه وتوابع أعضاء جماعته ومناصره وبعد إطلاق سراحه اشترطت عليه السلطة التوقف عن إعطاء أي محاضرة.

"في عام ٢٠٠٨ حصل كولن على الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة واستقر في جبل "البوكونو" في "بنسلفانيا"^(٥) على شكل منفي اختياري"^(٦).

ثانياً: المراد بآراء الشيخ الاصلاحية؟

تعريف ومعنى آراء:-

"(الرأي) الاعتقاد والعقل والتدبير والنظر والتأمل ويقال رأيته رأي العين حيث يقع عليه البصر والرأي (عند الأصوليين) استنباط الأحكام الشرعية في ضوء قواعد مقررة"^(٧).
"(راءاه) مرآة ورءاء ورياء أراه أنه متصف بالخير والصلاح على خلاف ما هو عليه وشاوره وفلان فلانا قابله فرآه"^(٨).

١ - قصة حياة ومسيرة فكر: تأليف ارطغرول حكمة ترجمة خالد جمال عبد الناصر ص٧ ط الثانية ، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٢- أديب إبراهيم الدباغ، مسيرة فكر وحياة فتح الله كولن ، غير منشور، ص ١٢

٣- المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٤ - قصة حياة ومسيرة فكر : تأليف ارطغرول حكمة ترجمة خالد جمال عبد الناصر، ص٧، ط الثانية دار النيل للطباعة والنشر القاهرة ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٥ - تقع ولاية بنسلفانيا في شرق الولايات المتحدة، ويعود اسم الولاية تخليداً لذكرى السير ويليام بين William Penn ومعناها "غابات السيد بن". وتحتل ولاية بنسلفانيا المرتبة العاشرة من حيث نسبة عدد السكان من أصل عربي، إذ يبلغ عددهم ١٦٠ ألف نسمة

٦ - المعجم الوسيط باب الرءاء ج١، ص٣٢٠، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار) الناشر: دار الدعوة بدون تاريخ

٧ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

"(ترأى) فلان نظر إلى وجهه في المرآة ونحوها ويقال ترأى في المرآة ونحوها والقوم رأى بعضهم بعضا، وله تصدى له ليراه وله كذا ظهر والشيء أبصره وفي الحديث (ترأينا الهلال بذات عرق) وتكلف النظر إليه هل يراه أو لا وفلان فلانا قابله فرآه"^(١)

وفي المجمع الكبير "رأيته رأى العين: وقع عليه بصري"^(٢)

وفي لسان العرب، الرُّؤْيَةُ بِالْعَيْنِ تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَبِمَعْنَى الْعِلْمِ تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ؛ يُقَالُ: رَأَى زَيْدًا عَالِمًا وَرَأَى رَأْيًا وَرُؤْيَةً وَرَاءَةً مِثْلَ رَاعَةٍ. ^(٣)

ويقصد الباحث بهذا المصطلح "آراء" في هذه الدراسة: فكر الشيخ كولن، وحركته الإصلاحية وهو يدور حول ثلاثة محاور:-

- محور الشخص، وهو ما يعالجه الفصل الأول في هذه الدراسة
- محور الفكر والتنظير، وهو ما تعالجه الفصول الثاني، والثالث، والرابع.
- محور الحركة والتطبيق، وهو ما يعالجه الفصل الخامس والسادس.

أما العمل الإصلاحي فقد جاء في عنوان الرسالة قيِّداً مهماً ومحورياً في موضوع البحث، تمييزاً للحركة من جهة، وتحديدًا للمسار الذي سارت عليه حركة الشيخ كولن الإصلاحية كنموذج في نهضة مؤسسات التربية والتعليم، وبناء الإنسان.

تعريف الإصلاح

عرفه صاحب المصباح المنير: "(صلح) صلاحاً وصلوْحاً صلح فهو صلِح (أصلح) في عمله أو أمره أتى بها هو صالح نافع والشيء أزال فساده وبينهما أو ذات بينهما أو ما بينهما أزال ما بينهما من عداوة وشقاق"^(٤)

وفي التنزيل العزيز ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾^(٥).

١ - المعجم الوسيط باب الرءاء ج ١، ص ٣٢٠، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة بدون تاريخ

٢ - المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، حرف الالف ص ٤٥-٦٠، ط ١، القاهرة ١٩٨١م.

٣ - لسان العرب لابن منظور، حرف الرءاء، ج ٥، ص ١٢٠، دار احياء التراث العربي بيروت، ط ١٩٩٣م.

٤ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت ج ١ ص ٣٤٥.

٥ - سورة الحجرات: آية ٩.

"ص ل ح: (الصلاح) ضد الفساد وبابه دخل. ونقل الفراء صلح أيضا بالضم. وهذا يصلح لك . و (الصلاح) بالكسر مصدر (المصالحة) والاسم (الصلح) يذكر ويؤنث. وقد (اصطلحا) و (تصالحا) و (اصالحا) بتشديد الصاد. و (الإصلاح) ضد الإفساد. و (المصلحة) واحدة (المصالح) و (الاستصلاح) ضد الاستفساد"^(١)

"(وأصلحه: ضد أفسده) ، وقد أصلح الشيء بعد فساده: أقامه. (و) من المجاز: أصلح (إليه) أحسن). يقال: أصلح الدابة: إذا أحسن إليها فصلحت. وفي (التهذيب): تقول: أصلحت إلى الدابة، إذا أحسنت إليها. وعبرة الأساس: وأصلح إلى دابته: أحسن إليها وتعهدا"^(٢)

من خلال التعريفات السابقة يتضح أن: الإصلاح يقصد به تعهد الشيء ورعايته وحمايته من الفساد، وتقويم سلوك الفرد والمجتمع من الزيغ والانحراف .

• ثالثاً منهج الشيخ فتح الله كولن في الإصلاح:

إن من يستقرئ فكر الرجل يلاحظ أن منهج الإصلاح عند كولن منصباً في المقام الأول على تنشئة جيل جديد، وقد اعتمد في هذا الأمر على المدرسة بشكل أساسي، وكانت وسيلته إلى هذا: بناء الإنسان ومحاولة تغييره من الداخل .

يظهر هذا واضحاً جلياً لمن يطالع ما كتبه العلامة الدكتور "عبد الحليم عويس"^(٣) في كتابه "فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة - وهو المشروع الفكري للشيخ كولن - مع أهمية مؤلفاته

١ - تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرضى، الربيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين ص ١٧٨، الناشر: دار الهداية ١٩٩٩م.

٢ - القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي ٣ ص. ٥٥٠، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ٢٠٠٥م، الطبعة الثامنة.

٣ - عبد الحليم عبد الفتاح محمد عويس (١٢ يوليو ١٩٤٣م - ٩ ديسمبر ٢٠١١م)، ولد في الحلة الكبرى محافظة الغربية بدلتا مصر. حصل على ليسانس اللغة العربية والدراسات الإسلامية (١٩٦٨م)، وعلى الماجستير (١٩٧٣م) عن أطروحته دولة بني حماد في الجزائر، والدكتوراه (١٩٧٨م) عن أطروحته ابن حزم الأندلسي مؤرخا في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

عمل أستاذاً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سبعة عشر عاماً، ورقي فيها إلى درجة أستاذ (١٩٩٠م). درس في العديد من الجامعات الإسلامية وأشرف على عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه في العديد من الجامعات الإسلامية، وناقش الكثير منها. انتدب أستاذاً في جامعة الزقازيق بمصر وبالجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية وهو عضو مجلس أمناء الجامعة. عمل نائبا لرئيس جامعة روتردام الإسلامية بهولندا. عمل مستشاراً لرابطة الجامعات الإسلامية. أنجز موسوعة في الفقه الإسلامي، وتفسير القرآن للناشئين، وأشرف وأسهم في كتابة موسوعات في التاريخ، وتاريخ الإدارة، والحضارة الإسلامية. صاحب أكثر من ١٠٠ مرجع وكتاب وبحث علمي في التاريخ والحضارة والثقافة والعلوم الإسلامية، إضافة إلى مئات المقالات والبحوث المنشورة. توفي في مساء الجمعة ١٣ محرم ١٤٣٣ هـ الموافق ٩ ديسمبر عام ٢٠١٢ عن عمر ٦٨ عام (المصدر: مجلة البيان (١٤٣٢ هـ).. العدد ٢٨٨. ص ٣٤).

الأخرى^(١) التي أثرت في حياة تلاميذه ومحبيه تأثيرًا عميقًا، وظلت تؤثر على نفوسهم وعقولهم زمنا طويلاً .

وقد تميزت معالجات كولن للإصلاح بصفات عديدة منها :

أولاً: العمل على إيجاد جيل جديد من العلماء والمربين.

ثانياً: وضع منهاج جديد للتربية والتعليم .

ثالثاً: محاربة المادية الجارفة والعمل على تهذيب النفوس.

رابعاً: العمل الإغاثي المتمثل في محاربة الفقر، والجهل، والمرض .

وكذلك اعتماده على النقد الذاتي سواء كان هذا النقد ذاتياً بمعنى انشغال الإنسان بخاصة نفسه، وتركيزه على إصلاحها قبل إلقاء اللوم على الآخرين، أو نقدًا ذاتيًا جماعيًا تمارسه الأمة في مجموعها، قبل أن تلقي اللوم على أعدائها من الخارج، وبناء على ذلك: "لم يجعل كولن منطقته الأول هو البدء بالإصلاح السياسي أو العسكري أو ما شابه ذلك، وإنما جعله في الإصلاح الفكري والنفسي"^(٢).

وهذا مبدأ قرآني واضح ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا

فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾^(٣)

رابعاً: الشيخ فتح الله كولن وآراؤه الإصلاحية في تسلسل زمني.

- ١٩٣٨م: في ١٠ نوفمبر، ولد فتح الله كولن في قرية "كورجك" بمحافظة "أرضروم" شمال شرق هضبة الأناضول التركية، لأسرة معروفة بالتدين والصلاح .
- ١٩٤٣م: تلقى دروسه في حفظ القرآن الكريم على يد والدته "رفيعة هانم".
- ١٩٤٥م: التحاقه بأول مدرسة ابتدائية فتحت في قريته.
- ١٩٤٦-١٩٥٥م: صحبة الشيخ العالم "الإمام الألوارلي" والتلمذ على يده.
- ١٩٥٦م: تعلمه علوم اللغة والبلاغة والأدب والفقه وأصوله على يد الشيخ عثمان بكتاش والذي يعتبر الشيخ الرسمي الوحيد الذي يمكن أن نقول إلى حد ما، أن كولن قد تخرج على يديه رغم قصر المدة التي لازمه فيها.

١ - فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة ، د. عبد الحليم عويس، ط الثانية، ص ٣٣ ، دار النيل للطباعة والنشر، بالقاهرة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤ م.

٢ - أشواق النهضة والانبعث، قراءات في مشروع فتح الله كولن، محمد جكيب، ص ١٢٢، ط ٣م، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر، ٢٠١٤م.

٣ سورة الرعد: الآية ١١.

- ١٩٥٧م: تعرفه على رسائل النور وتأثره بها وبشخصية صاحبها الاستاذ النورسي وهو في الثامنة عشر من عمره.
- ١٩٥٨م: تعيينه إمام مسجد في مدينة "أدرنه" وهو في العشرين من عمره على إثر فوزه بالرتبة الأولى في مسابقة لإمامة المساجد الفارغة على مستوى المحافظة .
- ١٩٦١م: انخراطه الفعلي الخدمة العسكرية ، حيث تم تعيينه في إحدى الثكنات الكبرى ، والتي امتدت لمدة سنتين عاش فيها تجربة شاقة صقلت من معدنه الصقيل .
- ١٩٦٢م: البدايات الأولى في النشاط الدعوي التجميعي بحيث أصبح عضواً بجمعية " دار الشعب " التابعة لحزب الشعب الجمهوري آنذاك.
- ١٩٦٦م: انتقل للعمل في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بجامع "كستانة بازاري" في مدينة إزمير غرب تركيا .
- ١٩٦٨م: يشارك مع بعض رفاقه في إصدار جريدة "الإتحاد" الأسبوعية في إزمير.
- ١٩٦٨م: يخطو أول خطوة في اتجاه تأسيس المخيمات الإسلامية في تركيا.
- ١٩٧٢م: يتعين من جديد واعظاً بمدينة "أدرميت" بعد قضاءه حوالي سنتين مدة اعتقال داخل السجن .
- ١٩٧٣م: بناء أول مدرسة خاصة بإزمير والتي ستكون الحلقة الأولى لسلسلة من المدارس الخصوصية الأخرى في جميع تركيا وخارجها.
- ١٩٧٧م: يسافر خارج الحدود لمخاطبة الأتراك العاملين في ألمانيا .
- ١٩٧٧م: بدأ في الاشتغال بكتابة المقال الرئيسي لعدد من المجلات التي أصدرها طلابه في مختلف التخصصات والمستويات .
- ١٩٨٩م: يلقي درساً تاريخياً بمسجد السيلمانية في إسطنبول، حيث شجع رجال الأعمال ورجال الدعوة المساندين على نقل خدماتهم الإيمانية إلى جمهوريات آسيا الوسطى ، مثل : كازاخستان ، وأذربيجان ، خاصة وأن هذه الدول كانت قد استقلت من أغلال الإتحاد السوفيتي .
- ١٩٩٦م: يرحل من مدينة إزمير إلى مدينة إسطنبول بصفة نهائية ، حيث استطاع أن يبدأ في تدشين حركة حوار كبرى كان لها أثر كبير في تخفيف الضغط على الدعوة الإسلامية .
- ١٩٩٨م: لقاءه الشهير وحواره مع البابا جون بول الثاني بابا الفاتيكان - حينها -.
- ١٩٩٩م: يؤسس مع زمرة من المثقفين مؤسسة " وقف الصحفيين والكتاب ".

- ١٩٩٩م: يقرر الرحيل إلى منفاه الاختياري بأمريكا بولاية " بنسلفانيا".
- ٢٠٠١م: على إثر هجمات الحادي عشر من سبتمبر يصدر مقالاً نُشر في صحيفة "الواشنطن بوست" يدين فيها تلك الهجمات ويبرئ فيها الإسلام من ثقافة الإرهاب .
- للشيخ كولن أكثر من خمسة وستين كتاباً تناول فيها القضايا الكبرى في الفكر الإسلامي ومشكلات العصر ، بعض كتبه مترجم من التركية إلى خمسة وثلاثين لغة ، وله آلاف الخطب والمحاضرات والمواعظ المسجلة ، بالإضافة إلى مئات المقالات المنشورة في المجلات والصحف داخل تركيا وخارجها .

أهم أحداث الشيخ كولن عام ٢٠٠٨م

- ١- تم نشر كتابه إكسير الخلود من خلال مؤسسة الصحفيين والكتاب.
- ٢- بعث كلمة إلى منتدى "مكافحة الإرهاب: الدين والحوار بين الثقافات"
- ٣- كما بعث كلمة إلى منتدى الاتحاد الدولي لمكافحة الإرهاب IAU المقام في كييف عاصمة أوكرانيا تحت عنوان "ضد الإرهاب: الدين والحوار بين الثقافات"
- ٤- بعث كلمة إلى حفل "جوائز الحوار والسلام" الذي نظّمته مؤسسة نياجرا في شيكاغو، الولايات المتحدة الأمريكية.
- ٥- أجرى فتح الله غولن مقابلة مع مجلة السياسة الخارجية ذات الشهرة العالمية. أثناء الإجابة على أسئلة المجلة ، قال إنه ليس لديه هدف سياسي في حياته ، ولن يفعل ذلك مرة أخرى.
- ٦- بعث كلمة إلى حفل الإفطار الذي نظّمته مؤسسة الصحفيين والكتاب مع شعار "من أجل مستقبل مليء بالسلام والسلام".

أهم أحداث الشيخ كولن عام ٢٠٠٩م

- ١- أرسل كلمة للمؤتمر المنعقد في أربيل تحت عنوان "البحث معاً عن السلام والمستقبل"
- ٢- ألقى بعدد من الصحفيين والأكاديميين الروس من مجلة أورسيا للحوار،
- ٣- أجرى حوار صحفي مع أشهر مجلة شهرية في أوكرانيا مجلة فافوريت.

- ٤- أرسل كلمة للإفطار السنوي الذي ينظمه وقف الصحفيين والكتاب بتركيا.
- ٥- أرسل كلمة للمؤتمر المنعقد في روسيا تحت عنوان "روسيا والعالم الإسلامي، العمل معا من أجل الاستقرار".
- ٦- أرسل كلمة إلى المؤتمر المنعقد في القاهرة داخل مبنى الدول العربية وكان المؤتمر تحت عنوان "مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي: خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية"
- ٧- أرسل كلمة إلى المؤتمر المنعقد في تنزانيا تحت عنوان "فتح الله كولن الفكر والفاعلية".

أهم أحداث الشيخ كولن عام ٢٠١٠م

- ١- تبرع بالمال للمتضررين من زلزال هايتي.
- ٢- تبرع بالمال للمتضررين من زلزال مدينة أليزاغ بتركيا.
- ٣- أرسل كلمة لحفل توزيع جوائز السلام والحوار، الذي نظمته مؤسسة وقف نياجارا.
- ٤- أجرى حوار مع الصحيفة الأمريكية الشهيرة وول ستريت جورنال.
- ٥- تبرع بالمال للمتضررين من الزلزال الذي ضرب باكستان.
- ٦- أرسل كلمة للمؤتمر الذي نظمته وقف العلم والثقافة تحت عنوان "المؤتمر الدولي التاسع عن بديع الزمان سعيد النورسي" في تركيا.
- ٧- أرسل كلمة للمؤتمر الذي نظمته كلا من مجلة حراء ومجلة "يني أوميت" تحت عنوان "طريق النبي صلى الله عليه وسلم" في تركيا.
- ٨- حصل على جائزة Emansipasyon البلجيكية.
- ٩- أجرى حوارا مع مع المجلة الأمريكية الشهيرة نيويورك تايمز.
- ١٠- تبرع بالمال لضحايا السيول التي أصابت البلقان.
- ١١- أجرى حوارا مع الجريدة الإيطالية الشهيرة أوسيس

أهم أحداث الشيخ كولن عام ٢٠١١م

- ١- أجرى حوارا مع مجلة ريفيو التركية
- ٢- تبرع بالمال لضحايا الزلزال الذي ضرب اليابان
- ٣- حصل على جائزة السلام من مركز الشرق والغرب (EWI)

- ٤- أرسل كلمة للمؤتمر الذي نظمته كلا من مجلة "سيزينتي" و"يني أوميت" و"حراء" في ترؤكيا تحت عنوان "المؤتمر الدولي للقرآن والحقائق العلمية".
- ٥- أجرى حوارا لموقع الأخبار التركي والذي يصدر باللغة التركية والألمانية من ألمانيا (DTN).
- ٦- تبرع بالمال لضحايا التصحر والمجاعات في أفريقيا.
- ٧- أرسل كلمة للإفطار السنوي لوقف الصحفيين والكتاب التركي.
- ٨- تبرع بالمال لضحايا الزلزال الذي ضرب مدينة وان التركية.

أهم أحداث الشيخ كولن م ٢٠١٢م

- ١- أصدر كتاب جديد تحت عنوان "الحياة المثالية".
- ٢- أرسل كلمة للمؤتمر الذي نظمه وقف الصحفيين والكتاب تحت عنوان "المحركات الرئيسة لمشروع الخدمة، الحياة المثالية هدفا".
- ٣- كتب تعليقا على الهجوم الذي شنه عليه بعض الصحفيين الأتراك أنه مع حرية التعبير وحرية الرأي حتى ولو كان هذا يستخدم ضد شخصه وبدون وجه حق، ولكن يظل الحق مكفول لكل الشخص في الانتقاد وإبداء رأيه والتعبير عنه بحرية.
- ٤- أرسل كلمة للمؤتمر الدولي الذي نظمته كلا من مجلة حراء ومجلة يني أوميت في مدينة غازي عنتاب في تركيا تحت عنوان "معالجة المشكلات الاجتماعية من خلال السيرة النبوية".
- ٥- أرسل كلمة للمؤتمر المنعقد باثيوبيا في مقر الإتحاد الأفريقي تحت عنوان "المؤتمر الدولي للحوار".
- ٦- أرسل كلمة للإفطار السنوي الذي تنظمه مؤسسة وقف الصحفيين والكتاب.
- ٧- تبرع بالمال لضحايا المسلمين في دولة مينامار من خلال مؤسسة "هل من مجيب؟".
- ٨- ندد بالفيلم المسيء للرسول صلى الله عليه وسلم
- ٩- أرسل كلمة للمؤتمر المنعقد في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان إحلال السلام عبر التعليم".
- ١٠- نشر مقالة في الصحيفة الأمريكية الشهر التايمز حول الفيلم المسيء للرسول صلى الله عليه وسلم والتأثير السلبي الذي أحدثه والمقالة نشرت تحت عنوان "لا مكان للعنف في سنة نبينا".

١١- نشرت مقالته المنشورة في مجلة التايمز الأمريكية في الصحف النيجيرية وأفردت لها صفحة خاصة في الجريدة القومية النيجيرية.

١٢- تبرع بالمال لضحايا إعصار ساندي الذي ضرب الولايات المتحدة الأمريكية.

١٣- أرسل كلمة إلى المؤتمر المنعقد بجامعة البنجاب بباكستان .

١٤- كان من ضمن الشخصيات الإسلامية الأكثر تأثيرا في العالم ، وذلك في الكتاب الذي أصدره

مركز الدراسات الإسلامية الإستراتيجية بالمملكة الأردنية والكتاب بعنوان "٥٠٠ شخصية

إسلامية الأكثر تأثيرا في العالم".

١٥- أجرى حوار صحفي مع الصحيفة الألمانية "فرانكفورت ألامينا زيتونج".

أهم أحداث الشيخ كولن عام ٢٠١٣م

١- أرسل كلمة إلى المؤتمر المنعقد بالعاصمة السنغالية داكار والذي نظمته كلا من مجلة إبرو التركية والمركز الثقافي السنغالي التركي تحت عنوان " في ظل العولمة البحث عن القواسم المشتركة، جهود حركة فتح الله كولن".

٢- تسلم جائزة كوريا الجنوبية للسلام، لجهوده في احلال السلام حول العالم.

٣- أرسل رسالة لحفلة توزيع جوائز مسابقة كتابه "النور الخالد.. محمد صلى الله عليه وسلم" والمقامة في الهند.

٤- أدخلته المجلة الأمريكية الشهيرة في قائمة أكثر ١٠٠ شخصية تأثيرا في العالم.

٥- أرسل كلمة للمؤتمر الدولي المنعقد في مدينة اسطنبول بتركيا تحت عنوان والذي نظمته كلا من مجلة حراء ومجلة يني أوميت تحت عنوان "الإجماع والوعي الجمعي".

٦- أرسل كلمة للمؤتمر المنعقد في العاصمة الأثيوبية اديس أبابا بمبنى الإتحاد الأفريقي تحت عنوان "المحافظة على ثقافة التسامح المتبادل والعيش المشترك".

٧- أجرى حوار مع صحيفة روداو الناطقة بالكردية ومركزها مدينة أربيل.

٨- أجرى حوار مع مجلة أطلانتيك الأمريكية.

٩- تبرع بمبلغ الجائزة الكورية للسلام التي تسلمها المؤسسة وقف الصحفيين والكتاب من أجل تنظيم مشاريع للسلام والحد من العنف والحروب حول العالم.

- ١٠- تسلم جائزة السلام الدولية من قبل دولة الفلبين، لجهوده لإحلال السلام.
 - ١١- أرسل كلمة للمؤتمر الذي نظمه وقف العلم والثقافة بتركيا تحت عنوان "دور النبوة في البحث عن الحقيقة، منهج رسائل النور".
 - ١٢- أصدر كتابه الجديد باللغة التركية تحت عنوان "ونحن نبحث عن روحنا" وهو يعد الكتاب التاسع من سلسلة "الموشور".
 - ١٣- تبرع عن طريق مؤسسة "هل من مجيب؟" لضحايا الأزمات الطبيعية في دولة الفلبين.
- أهم أحداث الشيخ كولن عام ٢٠١٤م

- ١- أجرى حوارا مع أكثر ثاني جريدة انتشارا في ألمانيا جريدة "سودوتشه زيتونج".
- ٢- أصدر كتابا جديدا تحت عنوان "تهجي الإعجاز".
- ٣- أرسل كلمة للمؤتمر الذي نظمته كلا من مؤسسة وقف الصحفيين والكتاب و مؤسسة المركز السويسري للحوار وجامعة جنيف تحت عنوان " جهود المجتمع المدني لإنشاء السلام".
- ٤- صرح بالتنديد الشديد لما تقوم به داعش من إرهاب بأسم الدين وأدان كل أفعالهم الوحشية بشدة وتناقلت هذه التصريحات الصحف الكردية المختلفة.
- ٥- الصحف الألبانية مثل بانوراما، ومابو، وجريدة شيكباترا نشرت تنديده وإدانته لداعش وما تقوم به من إرهاب.
- ٦- كذلك نشرت الصحف الأوروبية المعتبرة تنديده بما تقوم به داعش مثل صحيفة اللوموند الفرنسية، وصحيفة دي مورجان البلجيكية وفولسكرانت الهولندية.
- ٧- نشرت أهم الصحف الأمريكية تنديده بداعش وما تقوم به مثل صحيفة النيويورك تايمز وصحيفة واشنطن بوست وصحيفة شيكاجو تيبرون، وصحيفة وول ستريت جورنال، وصحيفة لوس أنجلوس تايمز.
- ٨- نشرت تنديده بداعش أهم صحف كوريا الجنوبية.
- ٩- أجرى حوار مع الجريدة الإيطالية الشهيرة "الريبابليك".
- ١٠- أجرى حوار مع جريدة الشرق الأوسط واسعة الانتشار بالعالم العربي.
- ١١- أجرى حوارا مع جريدة زمان التركية وهي الأكثر توزيعا في تركيا.

١٢- أجرى حوارا تلفزيونيا مع قناة ال بي بي سي البريطانية.

١٣- أجرى حوار مع جريدة وول ستريت جورنال.

أهم أحداث الشيخ كولن عام ٢٠١٥م

١- نشرت صحيفة اللموند الفرنسية مقالا له تحت عنوان "يجب على المسلمين محاربة التطرف"

٢- أرسل كلمة لحفل توزيع جوائز السلام لعام ٢٠١٥ م ، الذي نظمه مركز توركواز هارموني في دولة جنوب أفريقيا.

٣- نشر مقالا في الصحيفة الأمريكية الشهيرة وول ستريت جورنال تحت عنوان "يجب على المسلمين مكافحة سرطان التشدد".

٤- أرسل كلمة لجامعة ديكين الأسترالية بمناسبة إفتتاح الجامعة "كرسي فتح الله كولن للعلوم الإسلامية" بالجامعة.

٥- أرسل كلمة لإفطار وقف الصحفيين والكتاب السنوي.

٦- خرج في بث مباشر على قناة "إيرماك تي في" التركية في رمضان ببرنامج "سحور وقتي".

٧- أرسل كلمة إلى المهرجان ١٣ للغة والثقافة المقام بالمانيا.

٨- حصل على جائزة غاندي للسلام لعام ٢٠١٥م.

٩- كتب مقالة في الصحيفة الأمريكية الشهيرة نيويورك تايمز تحت عنوان "زوبان الديمقراطية التركية".

خلال كل تلك السنوات ندد وأدان الأستاذ فتح الله كولن بكل العمليات الإرهابية التي قام بها إرهابيون في مختلف أنحاء العالم، كما قدم التعازي الخاصة لكل أهالي ضحايا تلك الهجومات الإرهابية. تضامن الأستاذ فتح الله كولن مع كل ضحايا الزلازل والأعاصير والآفات الطبيعية وأرسل تعازيه الخاصة للشعوب التي وقعت بها تلك الكوارث البيئية. نشر رسائل تعازي لكل الشخصيات الهامة على المستوى الإنساني من صحفيين وكتاب وغيرهم ممن أفادوا العالم.

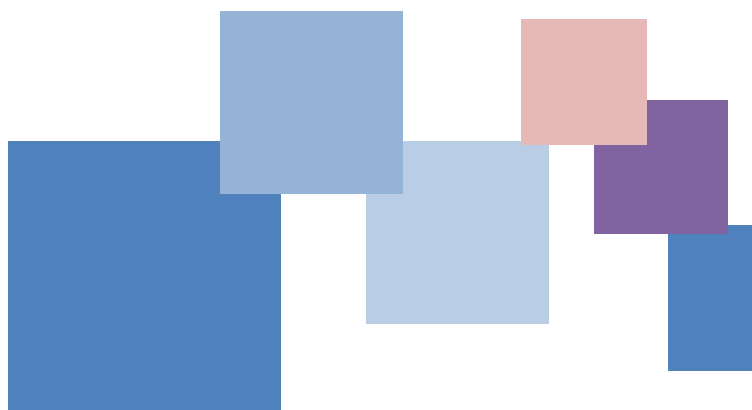
الفترة من اعتبارا من يوليو ٢٠١٦م إلى ٢٠١٨م

جمعت كل حوارات الأستاذ كولن التي أجراها في مختلف الصحف والمجلات العربية والدولية في

كتاب تحت عنوان "مواقف في زمن المحنة".



الفصل الأول



وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بشخصية فتح الله كولن
واشتمل على أربعة مطالب.

- المطلب الأول : مولده ونسبه.
- المطلب الثاني : مراحل تعليمه التي مر بها.
- المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه.
- المطلب الرابع : الوظائف التي شغلها.

المبحث الثاني: التعريف بعصره

واشتمل على أربعة مطالب.

- المطلب الأول : الحالة السياسية.
- المطلب الثاني : الحالة الاقتصادية
- المطلب الثالث : الحالة الاجتماعية.
- المطلب الرابع : الحالة الفكرية والعلمية.

المبحث الثالث: جهود فتح الله كولن العلمية. وفيه مطلبان

- المطلب الأول : أهم مؤلفاته.
- المطلب الثاني : اللقاءات الإذاعية والمؤتمرات العلمية.

توطئة :-

لاتكاد تنفصل تجربة الأستاذ فتح الله كولن الإصلاحية عن حياته الدعوية على اختلاف مراحلها وتعدد فصولها ، فمن يريد التعريف بالرجل بصدد البحث في فكره الإصلاحي وأثره على المجتمع والأمة وسبل الإستفادة منه في العمل الدعوي ، والتربوي ، لاسيما في عالمنا الإسلامي المتعطش إلي الفكر الإصلاحي ، لايمكنه الفصل بين الشخص والفكرة والحركة^(١).

والباحث في فكر الشيخ كولن الإصلاحي يجد أمامه شخصًا متعدد المعارف واسع الاطلاع يجمع بين مختلف الثقافات، فهو شاعر وفيلسوف، مفكر وحركي، خطيب مفوه، ومحاور لايشق له غبار كاتب عميق وأديب بليغ وهو مع كل هذا صاحب إنجازات حضارية ناجحة.

والمقصد في هذا الجزء من البحث هو رسم المعالم الرئيسة لشخصية "فتح الله كولن" باعتباره أحد رموز الإصلاح 'التي أسهمت بطريقة منهجية وعلى نحو فعال في العمل الإصلاحي ، ورسم الطريق نحو نهضة إسلامية شاملة تجمع بين الفكر والحركة وبين النظرية والتطبيق وبين العقل والعاطفة وبين التربية والسلوك من دون ذاك الفصام الذي عانت منه أمتنا الإسلامية ولا تزال ! من أجل ذلك فقد اخترتُ تعريف الشيخ فتح الله كولن من خلال محورين رئيسيين :-

الأول : يدور حول شخصه وحياته الخاصة من حيث النشأة ، ومراحل التعليم التي مر بها ، وحالته الاجتماعية والاقتصادية التي أثرت عليه .

الثاني : يقوم بتقديم "كولن" من خلال مؤلفاته وكتاباتة ، وجمعه بين الحكمة والفلسفة من جانب وبين الأدب والشعر من جانب آخر .

١- حركة الخدمة :هي جماعة إسلامية تنسب للحركة الصوفية، قام كولن بتشكيل نواتها الأولى أوائل عام ١٩٧٠ بمدينة إزمير، قيل أن تتوسع لتصبح حركة لها أتباعها داخل تركيا وخارجها. وتعتمد في مرجعيتها على الفكر والقائد معا، وأهم ما يميزها أنها اجتماعية وقومية، تركز على مسلمي تركيا وتنزوي عن باقي الهويات الإسلامية، ولديها انفتاح على الغرب خاصة، وقد تحدثت عنها مفصلاً في ثنايا البحث .

المبحث الأول

التعريف بشخصية فتح الله كولن

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مولده ونسبه.



المطلب الثاني : مراحل تعليمه التي مر بها.



المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه.



المطلب الرابع : الوظائف التي شغلها.



المطلب الأول

مولده ونسبه

هو : محمد فتح الله كولن " الأناضولي" ^(١) الموطن ، واسمه إلى جده الرابع :محمد فتح الله ، بن رامز أفندي، بن شامل، بن الملا أحمد، بن خورشيد، بن خليل .واسم فتح الله كولن يوافق أسلوب التسمية الذي جاء مع قيام الجمهورية،^(٢)

"و محمد فتح الله " اسم مركّب ، ولذا فقد غلب عليه اسم "فتح الله"

أما "كولن " فهي بالتركية "GUien" ومعناها "البسام" أو الضحّاك"^(٣)

"وُلد "محمد فتح الله كولن" سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٣٨م، ليكون سابع سبعة خمسة أبناء هو أكبرهم، وبتتان، إحداهما أكبر منه سنًا، وقدّر الله له أن يصاحب جده وجدته أكثر من ستة عشر عامًا، وأن يعايش والديه لسنوات عديدة؛ بلغت ستًا وثلاثين عامًا من عمر أبيه، وحوالي ستين عامًا من عمر والدته التي توفيت في ٢٧ من ذي الحجة ١٤١٣هـ - ١٨ من يونيو ١٩٩٣م.^(٤)

ومثل هذه المدة الطويلة تتيح للولد أن يتشبع من خصال آبائه وأجداده، وبقية أقاربه الذين عاصروهم في محيط العائلة، وأن يرتوي تمامًا من أخلاقهم، وأن يتطبع بكثير من طباعهم. حيث كانت الأم هي مدرسته الأولى، وكان الأب هو معلمه الأول.

ويتم تعريب الاسم في العربية إلى "جولن" أو "غولن" أو "كولن"، وقد غلب في الترجمة إلى العربية الاسم الأخير، لأن كل الكتابات المترجمة للشيخ مصدرّة بهذا التعريب، سواء من مؤلفاته، أو من الدراسات التي كتبت عنه باللغة العربية، أو ترجمت من اللغات الأخرى.

١ - الأناضول، منطقة جغرافية وتاريخية قريبة من شرق أوروبا تشكل شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا على البحر المتوسط، ويعرف الأناضول أيضا بآسيا الصغرى، وقد فتحها المسلمون عام ١٠٧٤م(المصدر: تاريخ الدولة العثمانية، ج١ص٢١١، المؤلف يلماز أوزتونا، ترجمة عدنان محمود سليمان، ط١، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول. ١٩٨٨م، نسخة الكترونية)
٢ - أشواق النهضة والانبعاث، قراءات في فكر الشيخ فتح الله كولن، د. محمد حكيب، ص١٢٨، ط١، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣
٣ - المرجع السابق، نفس الصفحة .
٤ - أشواق النهضة والانبعاث، قراءات في فكر الشيخ فتح الله كولن، د. محمد حكيب، ص١٢٩، م.س.

- "تنحدر أصول الأستاذ فتح الله كولن من مدينة "أخلاق" (١)، وهذه المدينة لها مكانة في التاريخ الإسلامي، فهي بوابة الإسلام إلى الأناضول، وأول رقعة مباركة في الأناضول يُرفع فيها الأذان ويُذكر فيها اسم الله ورسوله (ﷺ)" (٢).

أولاً: الأصول الاجتماعية وأثر النشأة في الأناضول.

"لقبه العائلي "كولن" ومعناه بالعربية "البسّام". يظهر في خطبه ودروسه القديمة -المسجلة في السبعينيات والثمانينيات غالباً- بلا لحية، مرتدياً الزي التقليدي للأئمة والخطباء الأتراك: عمامة، ومعطف، أو عباءة غاية في البساطة. وفي الأشرطة والفيديوهات والسيديات المسجلة حديثاً؛ يظهر بلا لحية، وبلا عمامة، مرتدياً بدلة "سفاري"، دون رابطة عنق، تجمع في آن واحد بين البساطة والأناقة" (٣).

نسب الشيخ كولن :

اسمه إلى جده الرابع هو: محمد فتح الله، بن رامز أفندي، بن شامل، بن الملا أحمد، ابن خورشيد بن خليل، الأناضولي موطناً. و"كولن" هو لقب عائلته، . ويشتهر باسم ثنائي أيضاً هو "فتح الله كولن".

"وهذا الاسم الثنائي يوافق النظام الذي فرضه كمال أتاتورك لاستعمال الأسماء الثنائية، ضمن الإجراءات التي اتخذها لإحداث "انقلاب اجتماعي" في تركيا بعد أن أعلن الجمهورية في ٢١ من ربيع الأول سنة ١٣٤٢هـ - ١١/١/١٩٢٣، وألغى نظام الخلافة رسمياً في ٢٦ من رجب ١٣٤٢هـ - ٣/٣/١٩٢٤م. وقد شملت إجراءات ذلك الانقلاب "الشؤون السياسية، والتشريعية، والقضائية، والاقتصادية، والأدبية والعلمية"، (٤).

وكان من تلك الإجراءات في الجانب الاجتماعي؛ أن يقتصر تسجيل الأسماء على "اسم الشخص ولقبه" فقط، تقليداً للنظم الأوربية الحديثة .

١ - هي مركز تابع لمحافظة "بئليس" في منطقة شرق الأناضول، وهي تقع على الساحل الشمالي الغربي من "بحيرة وان" (بتركيّا) المصدر : المعجم الكبير ، الجزء الأول ، حرف الهمزة ، ص.٢١٠، ط١ ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٨٠م)
٢ - فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ، أرطغرول حكمة ، ص ٣٤، ط٤، ٢٠١٤م دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة .
٣ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .
٤ - لمزيد من التفاصيل عن التحولات التي شهدتها تركيا بعد إلغاء الخلافة انظر: عزيز خانكي، ترك وأتاتورك القاهرة: المطبعة العصرية، ب. ت ص٣٣، وانظر من ص ٢٩-٧٥ قائمة الإجراءات التي وصفها عزيز خانكي بأنها "انقلاب اجتماعي" وأشاد بها.

• الجذور الأولى لعائلته :

ترجع جذور عائلته إلى تلك المدينة "أخلاق"^(١)، ولكن خليل أغا، الجد الأكبر لفتح الله كولن، هجر أخلاق واستقر هو وأسرته في قرية كوروجك "بأرضروم"^(٢) "وتعتبر أرضروم كنزاً تاريخياً بالغ الثراء بالمساجد والحصون والأبراج التي تعود إلى عهد السلاجقة منذ ظهور دولتهم في القرن الخامس الهجري"^(٣).

"ولا تزال تلك الآثار الخالدة تقف شاهداً على عراقية المدينة، وأصالة أهلها. ومن معالمها الحديثة "جامعة أتاتورك" التي تعتبر من أهم المؤسسات التعليمية العالية في تركيا الحديثة"^(٤).

• كان جده الأكبر لأبيه "خورشيد بن خليل" فلاحاً من أهالي قرية "كوروجك" المعروفين بحب العلم والتقوى والورع. يحكى أهل قريته بعض آثاره: "أنه في آخر ثلاثين عاماً من عمره لم يُر نائماً وهو مضطجع على الأرض، فقط كان يضع يده اليمنى على خده لينام قليلاً، وكان يقضى معظم أوقاته في العبادة والعمل في مزرعته"^(٥).

"عاش محمد فتح الله طفولته وصباه في كنف جده "شامل" وجدته "مؤنسة"، وعندما توفيا معاً في يوم واحد سنة ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م، كان هو قد بلغ سن السادسة عشر. وإذا كان "الطبع" - في جانب منه على الأقل - يؤخذ بالمخالطة"^(٦).

١ - مدينة أخلاق ، كانت ولا تزال ذات نسيج سكاني شديد التنوع؛ فهي مزيج من أقوام شتى وفدت إليها منذ أزمان موعلة في القدم. سكنها علماء وأولياء، وقادة عسكريون، وهاربون من الأخطار والمظالم، وسادة أشرف من ذراري آل الرسول (ﷺ)؛ فكل هؤلاء وجدوا في "أخلاق" المنية ملاذاً آمناً يلجأون إليه، ويستقرون فيه.(المصدر: المعجم الكبير ، الجزء الأول ، حرف الهمزة ، ص٢٣٠، ١ط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٨٠م)

٢ - أرضروم: هي مدينة تركية في شرق الأناضول، سماها السلاجقة في القرن الحادي عشر: أرض الروم وقد عانت هذه المنطقة من الزلازل والثورات والحروب (المصدر المعجم الكبير، الجزء الأول ، حرف الهمزة ، ص٢٠٧، ١ط ، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٨٠م)
٣ - لمزيد من التفاصيل حول دولة السلاجقة ودورها في التاريخ الإسلامي عامة انظر: إسناي بول ،طبقات سلاطين الاسلام، بيروت ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ، ص١٤٠-١٤٨.

٤- الانبعاث الحضاري في فكر فتح الله كولن ، سليمان عشراي ، ط٣، ص٥٥، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ٢٠١٣م
٥ - التجديد في الفكر الديني المعاصر في تركيا نموذج دعوة محمد فتح الله كولن رسالة ماجستير، غير منشورة، أبو زيد عبد الرحيم عبد العاطي، ص٢٠٩، معهد البحوث والدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٩ م

٦- محمد فتح الله كولن، دنياي الصغيرة ، ص١٣ ، وفي هذا الكتاب جوانب من السيرة الذاتية للشيخ فتح الله كولن، وخاصة في مراحل الصبا والشباب. ولم يترجم هذا الكتاب إلى العربية حتى الآن، وقد استقيت منه بعض البيانات من ترجمة بعض الأجزاء بمعرفة بعض تلامذته المقيمين في القاهرة.

فيبدو أنه أخذ من جده شامل طبع الجدوية، والوقار. وأخذ من جدته رقة القلب، ورهافة الإحساس، وغزارة البكاء من خشية الله، وأخذها أيضًا من أمه وأبيه.

تحدث "الشيخ كولن" عن تأثيره بجدته مؤنسة هانم، وعن فرط حبها له، ولفت نظره أنها "لا تتكلم كثيرًا" - بخلاف أغلب ربات البيوت - وقال إنها: "كانت تعيش حياة روحية خاصة؛ فهي كثيرة التفكير والبكاء، وتحترم المشايخ والعلماء الكبار، وكانت تهتم بي اهتمامًا خاصًا، لم أرها مرة واحدة تنظر إليّ نظرة غضب، كانت رقيقة القلب لينة الطبع، لها عمق كالبحر المحيط، مؤمنة بربها، ورعة تقية، وشخصية أصيلة"^(١).

وتركت هذه الخصال آثارًا واضحة في شخصية "الشيخ كولن". فقد بكى كثيرًا عندما وصله خبر وفاة جده شامل، وجدته مؤنسة في ليلة واحدة، وشعر بغربة شديدة بعد مفارقتها الحياة. يقول كولن: "إن جدي شامل كان كل حياتي، أما جدتي "مؤنسة هانم" فما كُنْتُ أتخيل أني أستطيع مواصلة حياتي من دونها.... وإذا بي أفقدتهما معا في يوم واحد، فكيف أقوى على تحمل حزني وأساي على فراقهما؟ حتى إني تضرعت إلى الله "إلهي توفني وألحقني بهما"....."^(٢).

"أمضى الجد شامل حياته فلم يترك قرينته "كوروجك"، شأن الأغلبية الساحقة من أهلها. "أما الوالد "رامز أفندي" فقد واصل العمل في زراعة الأرض مثل والده، ولكنه تنقل بين عدد من المدن والقرى؛ حيث عين برتبة "شاويش" عندما التحق بالخدمة العسكرية في الجيش التركي في بدايات عهد الجمهورية، وكان يقوم بتعليم القراءة والكتابة للجنود الأميين"^(٣).

"وقد تمكن من إتمام حفظ القرآن الكريم وهو في الثلاثين من عمره على يد الشيخ "خليل أفندي"، ومن ثم عُين خطيبًا رسميًا لمسجد قرية "ألوار" وانتقل للإقامة فيها هو وأسرته الصغيرة بضع سنين،... وقد عكف الشيخ كولن في هذه الفترة على مراجعة دروس "خليل أفندي" كي يجيد اللغتين العربية والفارسية، إلى جانب لغته التركية العثمانية"^(٤).

١ - محمد فتح الله كولن، دنياي الصغيرة، ص ١٣، م.س.

٢ - محمد فتح الله كولن، دنياي الصغيرة، ص ١٤..... بتصرف م.س.

٣ - معلومات منشورة على موقع فتح الله كولن على شبكة الإنترنت <http://er:Fgulen.com> - تاريخ الزيارة ٤-٥-٢٠١٥

٤ - الانبعاث الحضاري في فكر فتح الله كولن، سليمان عشراي، بتصرف، ص ٧٣، ط ٣، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة

٢٠١٣ م.

عاش والده رامز أفندي نحو سبعين عامًا، "حيث ولد سنة ١٣٢٣هـ-١٩٠٥م وتوفي في يوم الأربعاء ٣ من رمضان ١٣٩٤هـ الموافق ٢٠/٩/١٩٧٤م. وقد ورث الوالد عن أبيه "شامل" سلوك المحافظة، وسمت الوقار، فكان مثله لا يضع العمامة العثمانية من على رأسه"^(١).

وإضافة إلى أن لبس العمامة الكبيرة هو تقليد عثماني كما يظهر في صور سلاطين آل عثمان وأمرائهم، فإن التمسك بالعمامة هو تقليد عربي أيضًا يدل على المروءة؛ حيث كان العرب يعتبرون عدم لبس العمامة نقصًا من مروءة الرجل، كما يدل على "الستر" بمعناه الاقتصادي؛ حتى إن بعض العلماء كالإمام الغزالي اعتبر عدم امتلاك الرجل لعمامة مؤشّرًا من مؤشرات الفقر. ويبدو أن محمد فتح الله قد ورث الكثير من الطباع والخصال الحميدة عن جدته مؤنسة هانم، وعن والده رامز أفندي، وكذلك عن والدته السيدة "رفيعة هانم" ومنها: حب القرآن قراءة وحفظًا، ورقة الشعور، وكثرة البكاء، والتدين العميق، والمحافظة على الصلاة في أوقاتها.

كان والده رامز أفندي محبًا للشعر أيضًا، وكان كثيرًا ما يردد قصيدة "البردة" للإمام البوصيري في مدح الرسول (ﷺ): ومنها قول البوصيري في بث الأمل وعدم اليأس من رحمة الله:

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت ****
لعل رحمة ربي حين يقسمها ****
إن الكبائر في الغفران كاللّمَمِ ****
تأتي على قدر العصيان في القَسَمِ!

يقول الشيخ كولن: "إنه حَفَظَ بردة البوصيري من كثرة استماعه لوالده وهو ينشدها، كما حفظ عنه أشعاراً أخرى كثيرة باللغتين العربية والفارسية. واستوعب منه بعض المواعظ التي كان يلقيها في المساجد، أو في مجالس العلم التي اهتم بها؛ إذ كان يحرص على استضافة العلماء في بيته كل يوم"^(٢).

- إلى جانب الصبر على طلب العلم وتحمل المشقة في سبيل تحصيله، كان الأثر الأكبر الذي تركه الوالد في ولده فتح الله هو حُبه الشديد لصحابة رسول الله (ﷺ). وقد ترك هذا أثرًا بالغ الغور في وجدان فتح الله، وفي وجدان شقيقه، فأحبَّ الصحابة تأسياً بوالدهم.

١ - المرجع السابق، الانبعاث الحضاري في فكر فتح الله كولن، سليمان عشراطي، ص ٧٤.

٢- عودة الفرسان: سيرة محمد فتح الله كولن، د. فريد الأنصاري، "ص ٣٢، ط ١، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

يقول فتح الله كولن : "كنا نحبههم وكأنهم أفراد عائلتنا، وعندما يتحدث أبي عن الصحابة كان ينهمر في البكاء وكأنه يعيش في عصرهم".....^(١)

- تأثر "محمد فتح الله" بوالدته "رفيعة هانم"، حيث إنها تنحدر من أصول عربية شامية، قدمت بصحبة عائلتها مهاجرة إلى "أرضروم" واستقرت في بداية وصولها في قرية "صغرى"، وكان خالها آنذاك يشغل منصباً قضائياً مهماً في بلاد الشام^(٢). ومن سيرتها التي حكاها "كولن" نفسه، نعرف أنها كانت تتمتع بخصال تشبه خصال والده رامز أفندي، من رقة المشاعر، والتمسك بتعاليم الدين، وحب الخير ومساعدة المحتاجين من أهل القرية، والعطف على المساكين، والتعلق بالرسول (ﷺ)، واتباع التقاليد التي درج عليها مسلمو الأناضول؛ بما في ذلك لبس النقاب عند الخروج من المنزل، حتى إنه عندما تيسر لها الذهاب إلى الحج بعد أن بلغت الثمانين من عمرها، كانت - كما يقول الشيخ كولن- تردد: "لو لم يكن كشف النقاب عن الوجه من شعائر الحج لكنت أكثر راحة، حيث كانت تشعر بالخرج من كشف وجهها وهي في الإحرام"^(٣).
- ويبدو أنه ورث من والدته أيضاً كثرة البكاء، وكثرة التضرع إلى الله تعالى، ومداومة الذكر. يقول: (كانت تضع مجموع "حزب أنوار الحقائق النورية"^(٤)، عند رأسها على السرير، وهي تحتتم قراءته كل يوم)^(٥).

تكشف سيرة أسرته والده ووالدته، وكذلك سيرة عائلته الممتدة إلى جده الأعلى السيد "خليل"، عن أن الخصال الطيبة، والتدين، وحسن السيرة بين الناس، هي القيم التي شكلت "المشترك العائلي" لمحضنه الاجتماعي الأول الذي نشأ فيه، وتأثر به في مراحل الطفولة والصبا ومطالع مرحلة الشباب. وينسجم هذا "المشترك العائلي" بنزعه للتدين والمحافظة مع "المشترك الأناضولي" - إن جاز التعبير- الذي يتسم هو الآخر بذات النزعة التي تشمل الغالبية العظمى من

١- خلاصة أحاديث حول سيرة "فتح الله كولن" مختصر ، أجريتها مع عدد من محبيه وتلامذته الأتراك المقيمين في القاهرة، سبتمبر ٢٠١٤م.

٢- أديب إبراهيم الدباغ، سيرة حياة فتح الله كولن، غير منشور، ص ١٢.

٣ - المرجع السابق ، ص ١٣.

٤ - "حزب أنوار الحقائق النورية" عبارة عن كتاب للشيخ سعيد النورسي -مؤسس حركة النور التركية الشهيرة- وهو يحتوي على مجموعة من الأذكار والأوراد والأدعية.

٥- أديب إبراهيم الدباغ، سيرة حياة فتح الله كولن، غير منشور، ص ١٩.

مسلمي هضبة الأناضول منذ شرع أهلها يعتنقون الإسلام عندما فتحها المسلمون سنة ٣٣هـ/ ٦٥٣م، في خلافة سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وكان الأناضول ولا يزال موطناً رحيباً لكثيرين من العلماء والأولياء ومشايخ الطرق الصوفية الكبار .

وفاة جدّه وجدّته

وفيها عدا صدمته بما وصفه القرآن الكريم "مصيبة الموت" عندما مات جده شامل وجدته "أنيسة" في ليلة واحدة .

"كانت سنوات نشأته الأولى من سن الطفولة إلى بلوغ سن الشباب عادية، ومرت بهدوء؛ إذ كانت تنقلاته محدودة فيما بين مسقط رأسه في قرية "كوروجك"، وقرية "الوار"، حيث عمل والده وأقام فيها بضع سنوات..."^(١).

انتقل بعد ذلك إلى مدينة أروم، قبل أن يسافر إلى أدرنه، وإزمير^(٢)، في أقصى غرب البلاد. ولم يتعرض في تلك المراحل الأولى لصدمة اجتماعية كبيرة؛ إذ كان مسرح تحركه متجانساً في محيط الأناضول الشرقي. ولكنه عانى من شعور عميق بـ"الاغتراب والشعور بالوحشة لبعده عن أصدقائه وأقاربه" عندما غادر الأناضول إلى أدرنه وإزمير وغيرهما من مدن في غرب تركيا. وقد حاول "كولن" أن يعالج هذا الشعور باللجوء إلى المساجد، والاعتكاف فيها لساعات طويلة، حتى إنه افترض شرفات نوافذ بعضها وأثر عدم النزول للشارع إلا لضرورة^(٣).

من خلال ماسبق يتضح أن: ثمة روافد اجتماعية رئيسية أثرت وشكلت حياة الشيخ فتح الله كولن:-

أولاً: تأثيره بالوالد وعمله كواعظ لأبناء قريته.

ثانياً: تأثيره بوالدته ومساعدتها للناس حيث ظهر هذا الأثر في حياته الدعوية فقام بتأسيس جمعية إغاثية أطلق عليها "جمعية هل من أحد؟" لتقدم المساعدات للمحتاجين والمنكوبين والمرضى وغيرهم .

ثالثاً: الأثر الروحي والصوفي الذي ورثه الشيخ كولن عن جده في جو التكايا والساحات الصوفية ، وتأثره أيضاً بجدته التي كانت تحب مجالس الذكر ومجالس العلم .

رابعاً: الرافد الفكري والمعرفي والأخلاقي الذي ورثه كولن عن شيخه الشيخ محمد لطفي، والشيخ خليل أفندي .

١- شاهدت بعض تلك التسجيلات، ويمكن الاطلاع على نماذج منها على الموقع الرسمي للشيخ فتح الله على الإنترنت هو: ar.fgulen.com/content/view/98/114 والموقع يبيث مواد ثلاث وعشرين لغة منها اللغة العربية، تاريخ الزيارة (١٢-٥-٢٠١٦م)

٢- تقع مدينة إزمير جنوب غرب تركيا وتطل على البحر المتوسط ، وتعد أهم المصايف الجاذبة للسياحة الخارجية والداخلية (المصدر : المعجم الكبير ، الجزء الأول ، حرف الهمزة ، ص٣١١، ط١ ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٨٠م) .

٣- أديب إبراهيم الدباغ، سيرة حياة فتح الله كولن، غير منشور ، مرجع سابق، ص ٥٧، ٥٨ .

المطلب الثاني

مراحل تعليمه التي مر بها

تمهيد:-

ثمة مصادر أسهمت - بدرجات متفاوتة- في تكوينه الفكري والثقافي: أولها - هو نظام التعليم الذي انخرط فيه والتحق به في قريته، ثم في أرضروم. وثانيها: هو تأثيره ببعض أساتذته وكبار معاصريه من المفكرين والعلماء على نحو خاص، وذلك بقراءته مؤلفاتهم، أو إعجابه بأعمالهم وأفكارهم. أما ثالثها: فهو قراءاته الحرة في مصادر المعرفة المتنوعة التي أتاحت له، وشغف هو بها. وأما رابعها: فهو المناخ الثقافي العام للمجتمع التركي، وقضايا العصر الذي عاش فيه وتأثر به، وخاصة أن وعيه قد تشكل منذ صباه الباكر في سياق الأحداث التي كانت تمر بها تركيا بعد رحيل أتاتورك مؤسس الجمهورية سنة ١٩٣٨م، واحتدام الصراعات الدولية إبان الحرب العالمية الثانية، ثم الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وصولاً إلى تحديات العولمة.

• من التعليم الرسمي إلى غير الرسمي

"كان حظ محمد فتح الله من التعليم النظامي "الرسمي الأتاتوركي" قليلاً مقارنةً بحظه من التعليم غير الرسمي؛ فهو لم ينتظم في التعليم الحكومي إلا مدة سنتين ونصف السنة من المرحلة الابتدائية فقط، أمضاها في مدرسة متواضعة بقريته "كوروجك" في نهاية الأربعينيات من القرن الماضي. وكانت العلمانية الأتاتورية المتشددة ضد الدين لا تزال في عنفوانها آنذاك"^(١)..

و في تلك الفترة، وفي منتصف العام الثالث له بالمدرسة الابتدائية قرر والده رامز أفندي أن يمنعه من الذهاب إلى المدرسة، نظرًا لما كان يلاقيه من عنت من أجل أداء الصلاة. ويروي فتح الله كولن عن والده أنه قال في تلك المناسبة "إنني لا أريد أن يعلموا ابني الكفر، ليصبح في النهاية جاحدًا"^(٢).

انتقل "فتح الله كولن" مع والده إلى قرية "ألوار" التابعة لمدينة أرضروم.

١- رجال ولا كأي رجال ، فريد الأنصاري ، ص٥٥ ، ط٣، دار النيل للنشر ، القاهرة ، ٢٠١٥م.

٢- المرجع السابق ، نفس الصفحة .

"وهناك واصل فتح الله كولن دروسه على أيدي عدد من معلمي التكايا والمدارس التقليدية، الذين كانوا يترددون على بيت والده، أو الذين كانوا يقومون بالتعليم بطريقة غير رسمية"^(١).

ومن تتلمذ عليهم في تلك الفترة الحاج "صدقي أفندي" الذي تلقى على يديه بعض الدروس في تجويد وحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى الشيخ "سعيد أفندي"، ومنه إلى عدد آخر من المدرسين والمشايخ الذين كانوا يزورون والده، ومنهم الشيخ محمد لطفي، والشيخ عثمان بكتاش الذي درس على يديه النحو والبلاغة والفقه والأصول والعقائد والأدب"^(٢).

■ كانت الخطوات الأولى التي مشاها فتح الله كولن عادية، سواء تلك التي مشاها في طريق التعليم الرسمي، أو في تعليمه غير الرسمي. وكانت استجابته لنظام التعليم ممتازة بمعايير زمنه. فقد حفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة من عمره تقريباً، وكان مواظباً على قراءة الكتب التي يقررها الأساتذة والشيخوخ، وكان يقرأ أكثر مما يقرره عليه الأساتذة والمعلمون، ويستعير من زملائه ما لا يستطيع شراءه من الكتب.

كان "محمد لطفي الألوارلي" هو الأكثر تأثيراً في تكوينه الروحي والمعرفي، مقارنة ببقية الأساتذة الذين درس على أيديهم خارج المدرسة.

يقول الشيخ كولن: "كنت أتذوق كلامه كمن يتذوق شهيداً خالصاً. كنت إذا تحدث، أنصت إليه، وكأن على رأسي الطير، فكلامه ينفذ سريعاً إلى أعماقي، كنت أشعر أنني بإزاء عالم عظيم الشأن،... والذي ووالدي كان ارتباطهما به ارتباط مريدين بشيخهما، وكنت جزءاً من هذا الكل الروحاني"^(٣).

بقي الأثر الذي تركه الشيخ محمد لطفي الألوارلي حاضراً في وجدان تلميذه فتح الله، وفعه الله به، كما نفع آخرين. يقول الشيخ كولن عنه إنه "رغم مرور السنين لا زلت أشعر بأثر لمسات

١ - رجال ولا كأي رجال ، فريد الأنصاري ، ، ص ٥٥ ، ط ٣ ، دار النيل للنشر ، القاهرة ، ٢٠١٥ م

٢ الإسلام الاجتماعي في تركيا، "فتح الله كولن أنموذجاً" ناثر جاسم، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٩/٧/٣ على موقع "دنيا الرأي" Donia Al-Raai - pulpit@alwatanvoice.com تاريخ الدخول ١٢ - ٢٠١٤ في تمام الساعة التاسعة صباحاً .

٣- أديب إبراهيم الدباغ، سيرة حياة فتح الله كولن، غير منشور، ص ١٦ م.س.

الشيخ محمد لطفي الحانية على أذني، وهو يقول لي: "ألن أذنيك، وأصغ جيداً لكي يفتح ذكاؤك وتقوى فراستك"^(١).

- وقد تعلم الشيخ كولن الرفق، ومراعاة، مشاعر الآخرين، والتلطف في نصحهم من الدروس التربوية التي تشرها من والده ومن شيخه محمد لطفي. وأثمرت هذه الدروس ثماراً طيبة، تجلت - فيما بعد- في منهجه الدعوي والإرشادي وفي كتاباته المتنوعة،.....^(٢).
- وأضحت سمة مميزة له ولتلامذته الذين يتربون في مدرسته. "تذكرنا هذه العلاقة الراقية بين الأستاذ وتلميذه النجيب، بقصة الإمام محمد عبده مع الشيخ درويش الذي لولا رفقه به وهو يوجهه لترك طريق العلم والتعلم، وطوته الأيام، وحُرمت الأمة من علمه واجتهاداته، ولما كان عندنا "الإمام محمد عبده"، -رحمه الله-"^(٣).

كان في مقدمة أساتذته -من محيطه العائلي- جده شامل، وجدته أنيسة. ومن أقواله عنهما، يتضح أنه لم يتلق على أيديهما دروساً بالورقة والقلم، وإنما تعلم من سلوكهما القويم وسيرتها الحسنة، ومعاملتها الطيبة للناس. وتعلم دروساً عملية وسلوكية مماثلة من والديه: "رامز أفندي"، و"رفيعة هانم" إضافة إلى أن والده كان معلمه الذي تلقى على يديه أول دروسه في اللغة العربية، وكان يحفظ معه القرآن، ويقراً معه أيضاً بعض الكتب؛ مساهمة في تعليمه، وتشجيعاً له في الوقت ذاته.

أما والدته فكانت - كما يقول-: "معلمته الأولى التي لقتته أول دروسه في "حب القرآن الكريم" وحفظه؛ إذ كانت تقوم بتحفيظ القرآن الكريم لנסاء القرية وأطفالهم، وحفظ هو على يديها قصار السور وهو في سن الرابعة؛ الأمر الذي ساعده على إكمال حفظ القرآن كاملاً في الثامنة، أو في التاسعة من عمره"^(٤).

- واجه الشيخ فتح الله كولن في رحلته العلمية عقبات كثيرة بسبب السُكن، فعانى أيماً معاناة؛ حيث التحق بعدة مدارس منها علي سبيل المثال: "المدرسة الابتدائية في قرية كوروجك بمدينة أرضروم استمر فيها لمدة ثلاثة أعوام تقريباً إلا أنه تركها عام ١٩٤٩ م عندما عين والده رامز أفندي إماماً في قرية

١- أديب إبراهيم الدباغ، سيرة حياة فتح الله كولن، غير منشور، ص ١٦ م.س.

٢- الموازين، أوأضواء على الطريق،..بتصرف، ترجمة أورخان محمد علي، ص ١٤٥، ط٣، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٩ م.

٣- معالم في سيرة الأستاذ الإمام محمد عبده: الأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي، إبراهيم البيومي غانم، ص ٧٩-٨٢ م: دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية، القاهرة ٢٠٠٩ م

٤- فتح الله كولن: تحاور مع الآخر تفهم. محمود خليل، بحث منشور على شبكة الإنترنت موقع "إسلام أون لاين. نت. ص ٢ تاريخ

الدخول ٢١-٧-٢٠١٤ العاشرة صباحاً

ألوار، ثم استكمل الابتدائية في أرضروم بالانتساب . ثم التحق في مدرسة فُرشُنلوا عام ١٩٥٣م، وقد استقر مدة دراسته في المدرسة بالمسجد الذي كان وقفا للمدرسة آنذاك^(١)

رحل الشيخ كولن إلي مدارس عدة في المساجد حيث كان أهل الخير والصلاح يخصصون حجرة أو حجرتين في كل مسجد للدراسة والتعليم نظراً للتضييق الذي كان يحدثه النظام التاتوريكي آنذاك.

• مما سبق يتضح ، أن ما حصَّله الشيخ كولن في مراحل طفولته وشبابه الباكر، لم يخرج عن الإطار العام للفكر التقليدي، ونظام القيم المحافظة الموروثة بمرجعيتها الإسلامية. ولكن إذا كان من شأن المناخ التقليدي المحافظ الذي شب فيه كولن ، أن يدفعه للانغلاق والاكْتفاء بالتفكير والعمل، كل ذلك دفعه للبحث عن مصادر أخرى لتحصيل المزيد من العلم والمعرفة في شتى مجالات الحياة. وأخذ يبحث ويلتمس المعرفة والحكمة أنى وجدها؛ في سبيل كبار العلماء وقادة الإصلاح والتجديد الذين عاصر بعضهم وخاصة الأتراك منهم.

١ - فتح الله كولن، قصة حياة ومسيرة فكر ، تأليف: أرطغرولحكمة، ترجمة خالد جمال عبد الناصر، ص٢١، ٢٢، ٢٣ ، ط الثانية دار النيل للطباعة والنشر، بالقاهرة ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م .

المطلب الثالث

شيوخه وتلاميذه

أولاً: رجال تأثر بهم الشيخ فتح الله كولن -

إلى جانب الدروس التي تعلمها من أساتذته ، استفاد الشيخ كولن من أفكار واجتهادات عدد كبير من علماء عصره ورواد الإصلاح والتجديد خلال القرن الماضي . وهو قد التقى ببعضهم ، وسمع وقرأ لبعضهم الآخر دون أن يلتقيهم .

وعادة ما يأخذ التأثر بأمثال هؤلاء صورًا متعددة، تتراوح بين الإعجاب بهم وتبني أفكارهم، أو السعي لوضع أفكارهم موضع التنفيذ.

وفي مقالة له بعنوان " إنسان الفكر والحركة " تحدث عنهم حديثًا يعبر عن تعدد وجوه تأثره بهم؛ " فهو معجب بهم ومعتز بفضلهم جميعًا، وداع إلى اقتفاء آثارهم، بعد دراسة أفكارهم بتعمق، وتعريف الأجيال الجديدة بهم ، واتخاذهم قدوة في الجِد والتفاني في خدمة دينهم ووطنهم"^(١) .

وقد وصفهم بأنهم " رجال في استقامة مديدة يشعون ضياءً "، وأنهم أيضاً من " أبطال الحقيقة"^(٢) .

تحدث الشيخ كولن في مقاله تلك عن مجموعتين من رواد الفكر والإصلاح الذين تأثر بهم^(٣):

المجموعة الأولى تضم: أحمد حلمي فيليبي لي، وفريد قام، ومصطفى صبري، وأحمد نعيم بابان زاده، ومحمد حمدي يازر، ونجيب فاضل، وسليمان أفندي.

والمجموعة الثانية تضم: عددًا آخر وصفهم بأنهم من "مُنوِّري النصف الثاني من القرن العشرين"، وهم:

نور الدين طوبجي، وسزائي قاره قوج، وأسعد أفندي، وسامي أفندي، وحضرة الأرواسي، وعلي حيدر أفندي، ومحمد زاهد قوطقو، وإمام "ألوار" محمد لطفي، وشيخ سيّدا "سردهل"، ومحمد راشد أفندي. ورواد الإصلاح المذكورون أعلاه، وغيرهم ممن ينتمون للتوجه

١- مقال بعنوان " إنسان الفكر والحركة " مجلة "الأمل الجديد" التركية بتاريخ ١/١٠/١٩٩٤. ص٤٣، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة

٢- المرجع السابق، ص٦٤. ونلاحظ أنه استخدم تعبيرًا صوفيًا بليغًا عندما وصفهم بأنهم "أبطال الحقيقة"؛ أي أنهم في نظره كانوا من المخلصين الذين يتفانون في أداء واجباتهم، المتجردين من أنانية أنفسهم.

٣- مقال بعنوان " إنسان الفكر والحركة " مجلة "الأمل الجديد" التركية بتاريخ ١/١٠/١٩٩٤. ص٤٣، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة .

نفسه، وجميعهم من منتسبي المرجعية الإسلامية، والمدافعين عنها، والمجددين انطلاقاً منها، لا يعبر فقط عن تأثيرهم في تكوينه الفكري والثقافي، وإنما يعبر كذلك عن اعتزازه بهويته الإسلامية.

• أحمد حلمي فيليبه:

"بلغاري الأصل. من رعايا الدولة العلية، أشاد به الشيخ كولن، وقال عنه إنه: "رفع راية فكر "الاتحاد الإسلامي"، وأصدر مجلة بهذا الاسم لنشر أفكار الجامعة الإسلامية، وبعد ذلك جريدة "الحكمة" اليومية، وتصدى لجمعية "الاتحاد والترقي". قتل بالسم في عمر يحسب على الشباب من قبل أعدائه الألداء الماسونيين بالظن الغالب"^(١).

• فريد قام:

"كان أستاذاً للغة الفرنسية. اشتغل بالفلسفة حتى أوقعته في قلق لمدة قصيرة، ثم لجأ إلى التصوف، نشر أفكاره في مجلتي "الصراط المستقيم" و "سبيل الرشاد" ... ودرس في "دار الفنون" جامعة إسطنبول و "مدرسة السليمانية"، وانتسب إلى "دار الحكمة الإسلامية" هيئة من كبار علماء الإسلام. تعرض لكثير من المحن بسبب آرائه وأفكاره الإصلاحية حتى لقي ربه"^(٢).

• مصطفى صبري بك:

"ولد في الثاني من ربيع الأول لعام ١٢٨٦هـ - ١٢/٦/١٨٦٩م، وتوفي سنة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م. هو آخر من تولى منصب "شيخ الإسلام" في الدولة العثمانية.... وصفه بأنه "ابن الأناضول الطاهر"، و"إنسان الكفاح" بكل معاني هذه الكلمة.... عمل رجل الحركة هذا في خدمة الإسلام في بلاد المسلمين الأخرى. أمضى حياته في كفاح مرير ومكافحة شديدة"^(٣).

• أحمد نعيم بابان زاده:

"بغدادى المولد. نهل من معارف إسطنبول أيام الخلافة، كان ذا أفق غني، واسع في عالمه الحسي والفكري. تولى مناصب رفيعة في الدولة، وهو في رأي الشيخ كولن "نبع مهم ارتشف منه

١ - مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية جامعة الدول العربية القاهرة ١٩-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩، ص٢٤٤، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ط١، -٢٠١١ م .

٢ - أشواق النهضة والانبعث، قراءات في فكر الشيخ فتح الله كولن، د. محمد حكيب... مختصر، ط١، ص١٢٨، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م

٣ - المرجع السابق، نفس الصفحة..... بتصرف .

المجتمع التركي فكرًا وروحًا... وترك من خلفه ميراثًا غزيرًا من العلم والعرفان للأجيال القادمة".....^(١)

• سليمان أفندي:

وصفه الشيخ كولن بأنه "رجل كفاح قل مثيله، ممن لا يعرف الكلل في عمله الحركي، كان في عمره كله منافحًا صادقًا وثابتًا عن فكر أهل السنة والجماعة.... ، في عصر تعرض فيه الفكر الديني إلى هجمات متكررة... فلم يثن ولم يفتر عن غايته هذه ورسالته حتى رحيله".....^(٢).

• نجيب فاضل:

"جذور عائلته في "مرعش" من حواضر الأناضول. ولد في إسطنبول وعاش فيها حتى وفاته. ويذكر الشيخ كولن إلى أن، الشيخ - نجيب فاضل - قد وجه انتقادات لنظام التعليم الموروث في تركيا، وكذلك لعملية التغريب السطحية التي خضعت لها البلاد بدءًا من عهد التنظيمات وصولاً إلى عهد الجمهورية، ودحض حجة القائلين بأن الإسلام سبب التخلف، وشدد على قوة الصلة بين الشؤون الكونية والشؤون الاجتماعية في الرؤية الإسلامية^(٣).

وجميع هذه الأفكار تعمقت لدي فتح الله كولن، وتحولت بفضل توجيهاته إلى تطبيقات عملية في أرض الواقع، ووجدت طريقها إلى كثيرين من الأجيال الجديدة في تركيا. ولا تزال أفكار وأشعار نجيب فاضل مصدر إلهام لكثيرين من رواد الفكر والثقافة .

• بديع الزمان النورسي:

هو أكثرهم تأثيرًا في "الشيخ كولن". وقد أسهب في الحديث عنه، ليوضح أبعاد تأثيره به، وبيان معالم جهاده في حمل دعوة الإسلام وتجديدها في القرن الأخير. يقول عنه في كتابه نحو حياة القلب والروح إنه: "قلب مخططات دنيا الكفر والإلحاد رأسًا على عقب بإيانه وفكره وعمله الحركي المدهش... عاش حياته كلها بمنطقية وعقلية، في ظل الكتاب والسنة، وبموازين التجربة

١ - أشواق النهضة والانبعث، قراءات في فكر الشيخ فتح الله كولن ، د. محمد حكيب ،... بتصرف، ص ١٢٨، ط ١، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣ م

٢ - المرجع السابق ... بتصرف .

٣- مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية جامعة الدول العربية القاهرة ١٩-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩، ص ٢٤٧، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ط ١، ٢٠١١ م .

والمنطق، ويضيق صدره بغضاً على الكفر والظلم والضلالة، ويجارب الاستبداد أتى كان، عاش ملتزماً في رسالته ودعوته بفلك الكتاب والسنة لا يغادره"^(١).

❖ هذه السلسلة المتصلة من العلماء ورواد الإصلاح في تركيا الحديثة والتي ينتمي إليها الشيخ محمد فتح الله كولن، وهي التي يعتز بها، يرى أنها رسمت معالم المناخ الثقافي والفكري الإيجابي في تركيا الحديثة، وهو يحفز الهمم على أن تتعرف عليها وتنهل من معين أفكارها وتبني عليها. وقد كان لبعض أولئك العلماء ورواد الإصلاح الذين تأثر بهم "الشيخ كولن" واستفاد من أفكارهم؛ حضور قوي في المجال العام في نهايات عهد الدولة العثمانية مثل "أحمد حلمي فيليبيه لي"، وأغلبهم امتد تأثيره من تلك الفترة، إلى عهد الجمهورية، ليصل إلى ما بعد منتصف القرن العشرين الماضي، وعلى رأسهم بديع الزمان سعيد النورسي، وبعضهم عاش إلى قرب نهاية القرن الماضي، مثل الشاعر نجيب فاضل، ومنهم من لا يزال على قيد الحياة مثل المفكر والفيلسوف والشاعر الكبير "سيزاي قراقوش".

❖ القراءات الحرة ومجالات الاهتمام

شكلت القراءات الحرة مصدراً رئيساً من مصادر بناء ووعي محمد فتح الله وتكوينه الفكري والثقافي منذ وقت باكر جداً من حياته. وزادت وتيرة هذه القراءات واتسع نطاقها الموضوعي حتى استوعبت النظريات الفلسفية والعلمية والسياسية والاجتماعية التي أنتجتها أكبر العقول في الحضارة الغربية الحديثة.

فمن يطالع حياة الشيخ كولن العلمية يرى، "أنه لم يمكث إلا فترة وجيزة لم تتجاوز الستين ونصف السنة في التعليم النظامي الرسمي. وبتحرره من "الإلزامية" التعليمية، ومع حبه للقراءة وتحصيل العلم، اتسعت أمامه ساحة المطالعة والقراءة الحرة، إلى جانب القراءات التي كان عليه الوفاء بها أمام شيوخه وأساتذته"^(٢).

١- حياة القلب والروح للشيخ كولن وهي عبارته عن مقالات ومحاضرات، ألقاها الشيخ متفرقة، وقد رتبها بعض مريديه في كتيب أسماه باللال الزمردية وترجمه، إحسان قاسم الصالحي، ص ١٢٢، ط ٢٠١٢م. القاهرة دار النيل للطباعة والنشر .
٢- أشواق النهضة والانبعاث، قراءات في فكر الشيخ فتح الله كولن، د. محمد حكيم، ص ١٣٠، ط ١، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م

وتكشف السيرة الحياتية لكثير من أعلام العلماء وكبار المفكرين عن أن "القراءة الحرة" كان تأثيرها أكبر مقارنة بالقراءات النظامية في المؤسسات التعليمية التي تعلموا فيها، وأن "التعلم" لا يتوقف فقط على التعليم الأكاديمي بل يتجاوزه بكثير^(١).

إن من يطالع سيرة "الشيخ كولن" يجد أنه كان شغوفاً منذ صغره بالقراءة وتحصيل المعرفة من مصادر متنوعة. ولكن، أيًا كانت قوة شغفه هذا، فإن اختياراته كانت محصورة في بدايات حياته بما هو متاح أمامه من كتب، وقد كان أغلبها كتباً تراثية، منها ما هو في اللغة، ومنها ما هو في الفقه والأصول والسيرة النبوية.

ساعده على ذلك مكتبة والده المتواضعة التي تحتوي على بعض كتب سيرة رسول الله (ﷺ) وصحابته الكرام، وكانت تلك الكتب هي أول ما شد انتباهه وهو طفل صغير، حيث كان يرى والده يُكثر القراءة فيها حتى بدت ممزقة من كثرة قراءته فيها.

ورث الشيخ عن والده وأعضاء أسرته ومشايخه - كما سلف - حب الرسول (ﷺ) والصحابة؛ حتى إنه ينخرط تلقائياً في البكاء كلما مر بذكر اسم الرسول (ﷺ) أو أحد من الصحابة، وكلما تقدم خطوة في العمر، وأخرى على طريق التعلم؛ زاد شغفه للقراءة في سيرتهم، حتى أتى على أمهات كتب السيرة وتراجم الصحابة، وترك ذلك كله أثراً قوياً في وجدانه وعقله، وأضحى شديد التعلق بالرسول وصحابته كأنه يعيش معهم، مثلما أضحى شديد التمسك بالكتاب والسنة^(٢).

وبفضل المصادر التي انفتح وعيه عليها: القرآن، والسنة، وسيرة الرسول (ﷺ) والصحابة؛ تشكلت مرجعيته العليا في التبليغ والإرشاد، وفي التربية والتعليم، وفي تجديده للخطاب الإسلامي، وفي رؤيته الكلية للعالم والحياة، وأثمر حبه للقرآن والرسول وصحابته أيضاً مؤلفات رصينة، نذكر منها كتابين رئيسيين^(٣)، وهما:

١- تشبه تجربة الشيخ فتح الله كولن مع القراءة الحرة تجربة الإمام محمد عبده، انظر: إبراهيم البيومي غانم، معالم في سيرة الإمام محمد عبده، الأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي، ص ٨٤-٢٠٠٥ القاهرة: دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- قصة حياة ومسيرة فكر، محمد فتح الله كولن، ترجمة أرطغرول حكمة، ص ١٤٣، ط٤، دار النيل للنشر، القاهرة ٢٠١٥م.

٣- صدرت أربع طبعات بالعربية من الكتابين، عن دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة، بترجمة الأستاذ أورهان محمد علي. والطبعة الرابعة من كل منهما بتاريخ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

أ- كتاب "أضواء قرآنية في سماء الوجدان" ٣٥٦ صفحة، وفيه اجتهادات لافتة بمنهج غير مسبوق في فهم آيات القرآن الكريم.

ب- كتاب "النور الخالد": محمد مفخرة الإنسانية "٧٥٧" صفحة، وهو في سيرة الرسول الأعظم (ﷺ)، وبه قسم في علم الحديث وأصوله، وقسم في سيرة الصحابة الكرام. اختط الشيخ في هذا الكتاب منهجاً جديداً أيضاً في التعريف بالرسول، ويبين كيف يمكن للمسلم المعاصر أن يقتدي به وبصحابته الكرام في حياته اليومية، دون أن يعزل عن الزمان والمكان الذي يعيش فيه.

- "إلى جانب تلك القراءات، كانت "كليات رسائل النور" للعلامة بديع الزمان وهي أول قراءاته الحرة من المؤلفات الحديثة التي تفتح وعيه عليها. يتذكر الشيخ أنه كان يسابق والده في الحصول على كتب جديدة ومفيدة لقراءتها"^(١).

وانتقل تأثير "رسائل النور" - وغيرها من مؤلفات بديع الزمان - من "الشيخ كولن" إلى أنصاره وتلامذته ومحبيه، الذين يشكلون حركة شديدة المرونة من الناحية التنظيمية. وتغذت هذه الحركة، فكرياً ومعنوياً لفترات طويلة على تلك الرسائل، دون أن تتوقف عندها؛ بل شيدت عليها نماذجها التطبيقية الخاصة بها"^(٢).

وبالتالي فإن مساهمة رسائل النور في حركة فتح الله كولن كانت مساهمة روحية ومعنوية.

■ ومن العسير استقصاء جميع الكتب التي قرأها "الشيخ كولن"، وأسهمت في تكوينه المعرفي والوجداني، ويكفي أن نشير إلى أنها تشمل مراجع أساسية في العلوم والمعارف الإسلامية ومن أهمها:-

"علوم القرآن التفسيري، والتجويد، والأحكام، ومناسبات النزول،.. إلخ، وعلم الحديث دراية ورواية وخصوصاً الكتب الستة وشروحاتها، وأصول الفقه، وأصول الدين وعلم الكلام وفرقه المتعددة، والسيرة النبوية، وسيرة الصحابة، وكتب الطبقات، ومدونات الفقه، ومقارنة الأديان، ومراجع التاريخ الإسلامي، وأسفار أقطاب التصوف وأشعارهم، وخاصة: جلال الدين

١- أديب إبراهيم الدباغ، كتاب عن حياة الأستاذ فتح الله كتاب غير مطبوع، ص ١٠.

٢- أديب إبراهيم الدباغ،... مختصر، مرجع سابق، ص ٢٥.

الرومي، والقشيري، والشاه النقشبندي، والحارث المحاسبي، والإمام الغزالي. وغيرهم من نجوم
الفقه والفكر وأقطاب الأولياء وأعلام النبلاء.

ومن المعلوم أنه ١- لا توجد قائمة بعناوين الكتب التي قرأها، ولكن مؤلفاته ومقالاته وسيرته
الذاتية "دنياي الصغيرة"، تتضمن الإشارة إلى عديد منها، وقد تعقبت تلك الإشارات والإحالات
المرجعية، وصنفتها على النحو التالي، علوم الدين للغزالي، ورسائل القشيري، والمحاسبي، ومثنوي
جلال الدين الرومي، والمثنوي العربي النوري للنورسي، والمكتوبات للسرخس هندي... إلخ. تصنيفاً عاماً
على النحو الوارد بالمتن. وبعض مؤلفاته مثل "النور الخالد"، و"أسئلة العصر المحيرة"، و"أضواء
قرآنية" و"التلال الزمردية" و"روح الجهاد"، تتضمن قوائم بالمراجع وإحالات إلى أهم مراجعه التي
استند إليها، أو قرأ فيها. ومنها على سبيل المثال: تفسير القرطبي، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي،
وروح المعاني للألوسي، وظلال القرآن لسيد قطب وعلوم الحديث لابن الصلاح، والكفاية في علم
الرواية للبغدادي، ومعرفة علوم الحديث للنيسابوري. وسيرة ابن هشام، والإصابة في تمييز الصحابة
لابن حجر، وحياة الصحابة للكاندهلوي، والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، وصفة
الصفوة لابن الجوزي، والرسول لسعيد حوى، وطبقات ابن سعد. ومقالات الإسلاميين
للأشعري، وأصول البزدوي، وأصول الدين لعبد القادر البغدادي، والمسيرة في علم الكلام لابن
الهمام، وأصول السرخسي. والفقه على المذاهب الأربعة، وحاشية ابن عابدين، وكشف الخفا
للعجلوني، والكامل في التاريخ لابن الأثير..... إلخ.^(١)

❖ وإلى جانب تلك المصادر الكبرى للمعرفة والثقافة الإسلامية، فالشيخ كولن، له قراءات في
فلسفات العصر كالوضعية والماركسية، والوجودية، ومن قرأ كتبهم: "سارتر، وماركس،
وشوبنهاور، وكانط، وديكارت، وبرجسون، وجوته، ونيتشه، ودارون، وفرويد. وآخرين

١- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، الاستاذ فؤاد البنا، ص ٢٨. ط ١، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة
١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

غيرهم، وأفاد من بعضهم، ونقد وفنّد البعض الآخر، وأشار إلى المنحى الإيماني والروحي عند آخرين"^(١).

و نظرة عامة على مجمل قراءة الشيخ كولن وعلاقتها بمجالات اهتمامه الفكري والعملية، يتضح لنا الآتي:-

أ. قراءاته الغزيرة المتنوعة في تراث التصوف وأقطابه، إلى جانب تجربته الخاصة في هذا الميدان، أكسبت خطبه، ومواعظه، وأحاديثه العامة بعداً روحياً. إضافة إلى أنه أضاف لمكتبة التصوف مؤلفاً رائعاً من أربعة مجلدات ضخمة بعنوان "التلال الزمردية"... وينطبق ذلك أيضاً -وبدرجات متفاوتة- على مؤلفات أخرى صدرت له منها كتاب "ونحن نقيم صرح الروح"، وكتاب "ترانيم روح وأشجان قلب"، و"الموازن" و"طرق الإرشاد في الفكر والحياة"^(٢).

ب. قراءاته المتعمقة في مصادر التراث الفقهي والأصولي، ومن أهم مؤلفاته في هذا المجال: كتاب "القدر في ضوء الكتاب والسنة"، وكتاب "روح الجهاد وحقيقته في الإسلام"^(٣)، وكتاب "أصول الإيمان الإسلامي"^(٤)، ورغم أنه لم يفرّد كتاباً خاصاً باجتهاداته الفقهية فقه العبادات، وفقه المعاملات، وفقه الجنائيات/العقوبات، إلا أن كثرة اجتهاداته الفقهية بالمعنى الاصطلاحي الدقيق، وهي متناثرة في دروسه وخطبه المسجلة، ومقالاته المنشورة؛ هذه الاجتهادات دفعت أكبر أساتذة الفقه الإسلامي في تركيا، ورئيس قسم الفقه بكلية الإلهيات جامعة سقاريا، د. فاروق بشر، إلى تأليف كتاب ضخم عن تلك الاجتهادات، بعنوان "محمد فتح الله فقيهاً"^(٥).

ج. قراءاته المتعمقة للنظريات الفلسفية والاجتماعية والعلمية الوضعية التي أنتجها العقل الغربي الحديث، جعلته يعي أهم المشكلات الوجودية والإيمانية التي يعاني منها الإنسان المعاصر، على سبيل المثال :

١ - تصريح للشيخ كولن نسخة عبر موقعه الرسمي على شبكة الانترنت، تاريخ الدخول ١٢-٦-٢٠١٦م
٢ - خلال السنوات الأخيرة، صدرت الكتب المذكورة مترجمة إلى العربية عن دار النيل للطباعة والنشر، بالقاهرة. وأعيد طبعها عدة مرات لكثرة الإقبال عليها.
٣ - صدرت الكتب المذكورة مترجمة للعربية عند دار النيل بالقاهرة أيضاً، وأعيد طبعها عدة مرات.
٤ - هذا الكتاب مترجم من التركية إلى الإنجليزية، بعنوان: Essentials of The Islamic Faith ولم يترجم إلى العربية حتى الآن.
٥ - معلوماتي عن هذه الدراسة هي عن طريق حوارات أجريتها مع عدد من تلامذة "الشيخ كولن" بالقاهرة" أكتوبر ٢٠١٤ م

كتاب "أسئلة العصر المحيرة" ويقع في مجلدين كبيرين، وكتاب "حقيقة الخلق ونظرية التطور" (١)، وهو عبارة عن مسامرات ومحاضرات ألقاها في نهاية الستينيات من القرن الماضي. وفي هذا الكتاب تنفيذ منطقي وعلمي وديني لهذه النظرية التي شغلت العالم ردحًا من الزمن. وله في هذا الميدان أيضًا كتب أخرى منها كتاب "العصر الميتافيزيقي للوجود"، وكتاب "في ظلال الإيمان"، وكتاب "الإنسان في تيار الأزمات" ... إلخ.

ثانيًا: تلاميذ الشيخ فتح الله كولن .

- لم تذكر المراجع ترجمة كاملة لتلاميذ الشيخ فتح الله كولن ولم تكتب بصورة أكاديمية . وقد حصل الباحث على بعض أسماؤهم من خلال مقابلات شخصية ، فعلي سبيل المثال:
- **خليل مزيك :** "وهو من أوائل تلاميذ الشيخ وكان رابع أربعة أرسلهم الشيخ عقب وصوله من أزمير لمتابعة الخدمة التي تبناها في "أدرنه" من قبل"^(١).
 - **الاستاذ جمال ترك:** " من تلاميذ الشيخ كولن ، وهو أحد المتطوعين في الحملات الإغاثية التي تقدمها حركة كولن"^(٢).
 - **نواز صواش:** أحد تلاميذ الشيخ كولن ، ورئيس تحرير مجلة حراء ، وهو مقيم في القاهرة ، وقد التقيت به مرات عديدة .
- وللشيخ كولن تلاميذ في القاهرة منهم ، "الأستاذ شكري ، الأمين العام لمركز دار النيل للطباعة والنشر.... والأستاذ سنان مساعد الأمين العام والأستاذة انجي مصطفى ، والأستاذ خالد جمال عبد الناصر ، وعبد المولى على ، وغيرهم ..."^(٣).

١ - صدر ترجمة عربية للكتابين: "أسئلة العصر المحيرة-جزء الأول"، و"حقيقة الخلق ونظرية التطور"، عن دار النيل بالقاهرة، وتكررت طبعاتهما أكثر من مرة

٢ - حوار أجراه الباحث مع الأستاذ نواز صواش ، رئيس التحرير بمجلة حراء ، ٢٩-٨-٢٠١٦م.

٣ - مقابلة شخصية للباحث ، ١٢-٩-٢٠١٦م

٤ - حوار أجراه الباحث مع الأستاذ شكري ، الأمين العام لدار النيلمختصر ، ٣٢-١١-٢٠١٦م .

المطلب الرابع

الوظائف التي شغلها

بعد محاولات عدّة استطاع الشيخ كولن الحصول على وظيفة رسمية في مدينة "أدرنة" التي تقع في القسم الأوربي من تركيا ، وهناك تعرض الشيخ كولن لابتلاءات ومحن كثيرة ، لكنه استعصم بالله فنجاه الله .

• **طُلب الشيخ كولن في أثناء عمله لأداء الخدمة العسكرية في "أنقرة واسكندرون"** وعندما انتهى منها عاد إلي "أدرنة" مرة ثانية، وبقي فيها فترة وعندما اتسع تأثيره وكثر معارفه؛ اشتد عليه التضييق فطلب من بعض معارفه في الإدارة الدينية في أنقرة مساعدته للانتقال من أدرنة" (١)

"انتقل عمله بعد ذلك إلى مدينة "إزمير" (٢) ، ثم عين مديراً لمدرسة دينية تابعة لأحد المساجد في "إزمير" ، وهي تتبع الحكومة رسمياً ، ولكن تمويلها كان يأتي من جمعية خيرية شكّلها الأهالي لهذا الغرض" (٣) ، ومن هنا التفت كولن إلي أهمية الأهالي في تمويل مشاريع الخدمة التي أسسها فيما بعد .

• تأثر بالشيخ كولن في "إزمير" تلاميذ كثيرون من طلبة الجامعة والتجار ، ويبدو كأنه بدأ معهم عملاً منظماً عام ١٩٧١م وهو العام الذي تعرض فيه للاعتقال ، بعد الإنذار الذي وجهه الجيش للحكومة ، بحجة وجود محاولات من داخلها وخارجها للانتقاص من العلمانية الأتاتورية .

• قام في إزمير بحملة نشطة لبناء عدد من المساكن الطلابية ، وانتقل بعدها إلى إيجاد معاهد الإعداد للجامعة، ولما أصبح خريجي هذه المعاهد والمساكن من أفضل الكوادر الطلابية ،

١- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، الاستاذ فؤاد البناء، ص٢٨. ط١، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

٢- تقع مدينة إزمير جنوب غرب تركيا وتطل على البحر المتوسط ، وتعد أهم المصايف الجاذبة للسياحة الخارجية والداخلية (المصدر : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ص٢٢١، المؤلف يلماز أوزتونا ، ترجمة عدنان محمود سليمان ، ط١، مؤسسة فيصل للتمويل ، استانبول .١٩٨٨م، نسخة الكترونية)

٣- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، الاستاذ فؤاد ، ص٢٨، م.س.

فقد توسعت في أنحاء تركيا خلال سنوات حتى وصلت إلى كل الأطراف ، فضلاً عن اسطنبول وانقرة"^(١)

• "قام الشيخ كولن في عام ١٩٧٠ بعدة نشاطات حيث بدأ بتشكيل مخيمات صيفية للطلاب ، بالتعاون مع بعض من تأثر به وأحبه وآمن بأفكاره وطريقته في إصلاح الشباب ، وانتقل هذا النشاط إلى تركيا كلها فيما بعد...."^(٢)

أصبح خلال هذه الفترة واعظاً متجولاً في كل مناطق جنوب غرب تركيا ، إضافة إلى بعض المناطق الأخرى ، وألقى خلالها آلاف الدروس العامة والخاصة ، والمحاضرات ، والمواعظ ، وخطب الجمعة.

بعد هذه الفترة " صدر للشيخ كولن قراراً بتعيينه واعظاً أول بأدرمنت عام ١٩٧٢ م ، فظل الشيخ كولن يخطب ويعظ لمدة ثلاثة أشهر وسرعان ما ألغت الأوقاف إذن الوعظ للشيخ كولن وبعض رفاقه"^(٣)

• أمضى الأستاذ "فتح الله" سنتين وأربعة أشهر في أدرميت، ثم عُيِّن في ٢٩-٦-١٩٧٤م واعظاً أول في مَغْنِيسَا، والأمر فيها أصعب مما عليه في إزمير، يقول: "أقبل كثيرون على المواعظ، فالمسافة اقتربت والعوائق ارتفعت، لكن مَغْنِيسَا لم تتحمس للخدمة؛ ولم تأت لها بجديد، فكل ما فيها من وعظ وصحبة ومخيمات وغيرها امتداد للماضي....."^(٤)

توفي والده رامز أفندي، فأثر هذا الحدث عليه ، وبدا هذا في وعظه وحديثه عن هذا الحدث في مذكراته، يقول :عن حقه ما قبل الحدث بقليل "أجل، كان عام حزن عندي، فيه مات صديقي العزيز القاضي نجم الدين كُونلي في أدرميت، وبعده بنحو شهر توفِّي والدي؛ وقبيل وفاتها رأيت رؤيا، رأيت مرة أو مرتين أنّ طائرتين تبهران في أعماق السماء حتى اختفتا، وها قد غاب الفرقدان في شهر، فبلغهما اللهم رضاك"^(٥)

١ - عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، الاستاذ فؤاد البنا ص ٢٩ م.س .

٢ - المرجع السابق ،.....بتصرف، نفس الصفحة .

٣- فتح الله كولن ، قصة حياة وسيرة فكر ، أرطغرول حكمة ،ترجمة خالد جمال عبد الناصر ، ص٨٥ ط الثانية ،دار النيل للطباعة والنشر القاهرة ١٤٣٥هـ-٢٠١٤ م .

٣ - عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، الاستاذ فؤاد البنامختصر ، ص٣٣.م.س.

٤- فتح الله كولن ، قصة حياة ومسيرة فكر ، أرطغرول حكمة ،ترجمة خالد جمال عبد الناصر ، ص٨٩.م.س.

ومضى الشيخ كولن يعظ في أماكن كثيرة في المساجد ويدرس الطلاب، ويحاضر في مجالات عدة داخل الوطن وخارجه، وفي مقاهي المدن عامّة وأزمير خاصّة.

مما سبق يتضح أن ثمة محاضن تربوية قد احتضنت الشيخ كولن وتأثر بها، ويقصد بالمحاضن التربوية هو ذلك المحيط المؤثر في الإنسان، في مهده، وطفولته تلك المؤثرات التي تنطبع في وجدان الإنسان في مراحلها الأولى فتشكّل شخصيته الوجدانية والروحية.

• المحضن الأول: شخصية جده "شامل أغا" الذي احتضن الشيخ كولن في فترة صباه

• المحضن الثاني: جدته "مؤنسه هانم" فعندما طُلب من الشيخ كولن أن يتحدث عن أكثر الناس تأثيراً فيه؟ أخبر قائلاً: "لو تحدثنا عن تأثير لأحد علي فقد كان من جدتي "مؤنسه هانم"^(١).

• المحضن الثالث: "والده رامز أفندي".

• المحضن الرابع: والدته "رفيعة هانم" معلمة القرآن.

• المحضن الخامس: الإمام الألواريّ^(٢) الشيخ المرابي والذي كان له أثر بالغ في حياة الشيخ فكرياً، وروحياً.

١ - عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، الاستاذ فؤاد البنا، ص٣٤، م.س.

المبحث الثاني

التعريف بعصره وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول: الحالة السياسية.
- المطلب الثاني: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للشيخ كولن.
- المطلب الثالث: الحالة الفكرية والعلمية.



المطلب الأول

الحالة السياسية

اتسمت المرحلة التي عاصرها "الشيخ كولن" - منذ تفتح وعيه في الخمسينيات ، وما تلاها إلى مطلع القرن العشرين - بعدم الاستقرار وكثرة الأزمات الفكرية والفلسفية والسياسية.

"حيث عانت تركيا كثيرًا من ويلات هذا الصراع وعدم الاستقرار؛ فتركيا ما كادت تتنفس بعض نسيمات الحرية وتسترد شيئًا من هويتها الإسلامية عقب وصول "عدنان مندريس" (١) إلى السلطة في انتخابات سنة ١٩٥٠م، حتى دخلت في سلسلة من الانقلابات العسكرية عام ١٩٦٠م، ١٩٧٠م، ١٩٨٠م، ١٩٩٧م" (٢). وكان "تعريض النظام العلماني للخطر" حجة أساسية من الحجج التي استند إليها الانقلابيين في كل مرة.

"يذكر أن أصحاب التوجه الإسلامي في تركيا على رأس قائمة المتهمين وضحايا الانقلاب في كل مرة أيضًا... وتمت محاكمة فتح الله كولن في انقلاب ١٩٧٠، وحكم عليه بالسجن ستة أشهر، وكان مطلوبًا للمحاكمة مرة أخرى على أثر انقلاب ١٩٨٠م، فاختفى عدة سنوات، إلى أن صدر عفو عام." (٣)

مع زوال الاستقطاب الدولي بانحياز الاتحاد السوفيتي في مطلع التسعينيات من القرن الماضي، هدأت الصراعات الفكرية والتناحرات التي كانت محطمة إبان الحرب الباردة، وبدأت صراعات أخرى تغذيها أطروحات تتحدث عن "نهاية التاريخ"، و"صدام الحضارات"، و"العولمة".

واصل كولن انشغاله بهذه القضايا المستجدة، وانخرط في النقاشات الدائرة حولها. وردًا على تلك الأطروحات، بادر بفكرة "حوار الحضارات" في مطلع التسعينيات عقب زوال الكتلة

١ - عدنان مندريس (بالتركية: Adnan Menderes) - ولد في أيدين في عام ١٨٩٩ - وتوفي في بورصة في ١٧ سبتمبر ١٩٦١) . كان رئيساً لوزراء تركيا في الفترة ما بين ١٩٥٠-٦٠. وهو سياسي تركي، ورجل دولة وحقوقى. وهو من مؤسسي حزب الديمقراطية، رابع حزب معارض ينشأ بصفة قانونية في تركيا في عام ١٩٤٦. وأول زعيم سياسي منتخب ديمقراطياً في تاريخ تركيا. أزيح عن السلطة بانقلاب عسكري عام ١٩٦٠ نفذه الجيش التركي والقي القبض عليه وأعدم شنقاً مع اثنين من أعضاء مجلس وزرائه في ١٧ سبتمبر ١٩٦١. وهو أول رئيس وزراء يعدم في تركيا. وقد أعاد البرلمان التركي الاعتبار لعدنان مندريس مع الذين أعدموا معه بقانون صدر في عام ١٩٩٠. (المصدر، محنة الشيخ كولن في تركيا، سليمان عشراي، ص٤٥، ط١، دار النيل للنشر، القاهرة ٢٠٠٣م)

٢ - مواقف في زمن الحن، حوارات إعلامية مع فتح الله كولن، جمعها ورتبها، نواز دصواش، صابر المشرفي، ص١٢٢، ط١، دار النيل للنشر، القاهرة ٢٠١٦م.

٣ - معالم في سيرة فتح الله كولن للدكتور إبراهيم البيومي غانم ص٢١٦، ط ٢٠١١ الأولى، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

السوفيتية، وحث أنصاره من أجل تنشيط دوائر هذا الحوار، محلياً وعالمياً؛ بديلاً عن استخدام العنف والشدة في معاملة الخصوم، والدعوة للحب والتسامح، بديلاً عن الكراهية والتعصب للذات ونزد الآخر.

"انتقل كولن للإقامة في الولايات المتحدة ابتداءً من سنة ١٩٩٨ م - للعلاج، ولتجنب الملاحظات القضائية بتهمة تهديد أسس الدولة العلمانية في تركيا- ... شعر أن الحوار بين الحضارات وأتباع الديانات؛ الذي سبق أن نادى به منذ مطلع التسعينيات، بات ضرورة لا تحتمل التأخير، وأيقن أن دعوة الإخاء العالمي والتسامح والحب لا بد أن تشكل أساس "العولمة الجديدة"، وليس العدوان وغطرسة القوة التي يمارسها الأقوياء ضد الضعفاء والمستضعفين، وترسخ اقتناعه بهذه التوجهات العالمية، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر وما تلاها من أعمال عدوانية باسم "الحرب على الإرهاب" عبر العالم....."^(١)

غادر الشيخ كولن بلاده إلى أمريكا بعد أن بلغ الستين من عمره. "وكانت أغلب قراءاته في المشكلات العالمية عبارة عن متابعات وتأملات مستندة إلى مخزونه المعرفي وخبرته الثرية في النظر إلى معضلات الإنسان المعاصر، وقد أصدر كتاباً رصيناً"^(٢)، عالج فيه مشكلات العولمة، والعنف، والإرهاب، والظلم الدولي، وناقش قضايا الحب الإنساني، والرحمة، والتسامح، والحوار، وألقى بنظرات صوفية في هذه القضايا"^(٣).

- كما طرح رؤية تجديدية عن علاقة الجهاد بحقوق الإنسان، وبالإرهاب، وكيف يمكن بناء نظام عالمي جديد على أسس الحب والتسامح؟. وسرعان ما حول أنصاره تأملاته وتوجيهاته إلى إجراءات عملية في حدود طاقتهم، ومن خلال مؤسساتهم التعليمية والإعلامية والفنية.

• وكان للشيخ كولن رأي في السياسة .

يعبر الأستاذ فتح الله عن وجهة نظره في السياسة فيقول: "إن السياسة في الأصل هي فن إداري متعدد الرؤى والاتجاهات مثل التفكير بالتساوي في اليوم مع الغد، والغد مع اليوم الذي

١- معالم في سيرة فتح الله كولن للدكتور إبراهيم البيومي غانم،..... بتصرف، ص٢١٦، ط١، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

٢- صدرت الطبعة الأولى من الكتاب بالإنجليزية سنة ٢٠٠٤ بعنوان: نحو حضارة عالمية للحب والتسامح، وترجم إلى العربية سنة ٢٠١٤.

٣- معالم في سيرة فتح الله كولن للدكتور إبراهيم البيومي غانم،..... بتصرف ص٢١٦، ط١، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

يليه، ومراعاة مرضاة الله مع إرضاء الناس ولكن في وقتنا الحالي تفهم السياسة على أنها فقط عبارة عن أحزاب وانتخابات وصراع السلطة والدعايات"^(١).

يستنكر الشيخ كولن ألعيب السياسة فيقول: "أين السياسة التي تتكامل مع فكرة الحق والعدل، أين دجل الشوارع الذي يكون معظمه عبارة عن تزوير وكذب، مع الأسف فإن قسماً كبيراً من الناس في الوقت الحالي يفهمون السياسة على أنها إظهار غير المشروع على أنه مشروع في صراع المنفعة والسلطة والإضلال والخداع في ألعابهم السياسية اليومية"^(٢).

يقول الشيخ كولن: "وبسبب هذا الفهم والتفسير الخاطئ؛ وقفت بعيداً عن كل الحركات السياسية من أجل علاقتي مع الله، واستقامة أفكاري وحياتي القلبية، وبعد هذا أرى أنه من الضروري أن أظل بعيداً"^(٣).

لذلك تأثر رجال الخدمة واستفادوا من الأستاذ فتح الله وآرائه، على أن تقتصر علاقتهم بالسياسة في وقت الانتخابات، وأن يختار الجميع بإرادتهم الحرة، ثم يستمرون في طريقهم.

١ - عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، فؤاد البنا ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر ص ١١٢ .

٢ - المرجع السابق نفس الصفحة .

٣ -، عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، فؤاد البنا ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر ص ٢١٣ .

المطلب الثاني

الحالة الاقتصادية والاجتماعية للشيخ كولن

كان الوضع الطبقي الاقتصادي والاجتماعي هو أحد العوامل المؤثرة في التكوين الفكري والثقافي للشخص، وفي رسم معالم رؤيته للحياة، فقد نشأ محمد فتح الله كولن في أسرة مستورة تنتمي بالكاد إلى الطبقة المتوسطة.

والطبقة المتوسطة في أغلب المجتمعات المعاصرة هي مستودع القيم، وهي الأمانة على العادات والتقاليد، وفيها تزدهر أيضاً النزعات الساعية للتغيير والإصلاح.

وينطبق هذا السمات العام "للطبقة المتوسطة" على الوضع العائلي والأسري للشيخ فتح الله؛ فعائلته، ومن ثم أسرته، "ذات - جاه اجتماعي - تستمد من تدينها، وحبها للعلم، وتمسكها بالقيم ومكارم الأخلاق الحميدة... وهذه القيم هي أهم ما ورثه محمد فتح الله من عائلته الممتدة؛ إذ لم يرث ممتلكات تذكر من الأراضي الزراعية، أو العقارات المبنية، أو الودائع البنكية"^(١).

فمن يستقرى حياة الشيخ الاجتماعية يجد - أن لأسرته ولعائلته مكانة أعلى بكثير من وضعها الطبقي - الاقتصادي - وهو نفسه له "مكانة" أعلى بكثير من وضعه الاقتصادي؛ حيث لا تُعرف له أملاك خاصة به، ولم يشغل مناصب رفيعة في الدولة؛ وهذه هي الأمور التي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته وهو يشرح معنى "الجاه"^(٢) وإنما أساس المكانة العالية له هو ما توافر له من "الجاه" المركب من العلم، ومكارم الأخلاق، وكثرة الأنصار والمحبين، وذيوخ الصيت والسيرة الحسنة. يشهد له بذلك أنه وقف حياته للدعوة والتفقه في الدين وإرشاد الناس إلى الله تعالى، وعزف عن الزواج بشكل نهائي.

▪ لماذا لم يتزوج!!؟

فرق كبير بين من يختار "العزوبة" اختياراً شخصياً محضاً وبين من يزعم أن العزوبة دين !!

١ - معالم في سيرة فتح الله كولن للدكتور إبراهيم البيومي غانم ص ٢٢٠، ط ٢٠١١، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .
٢ - عرف ابن خلدون قديماً مفهوم "الجاه" بأنه يعني القدرة الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع، والتسلط بالقهر والغلبة، وغالباً ما يكون ذلك بالاستناد إلى ثروة وأملاك، أو منصب ورياسة. (المصدر: مقدمة ابن خلدون القاهرة أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون،: مطبعة الشعب، كتاب الشعب، ب.ت ص ٣٥٢).

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - ^(١): "نحن نعلم أن عيسى ويحيى - عليهما السلام - لم يتزوجا، لكن الرسولين الكريمين لم يُشَنَّا حرباً على الزواج، ولم يَسُنَّا مسالك الرهبانية المتوحشة، لأنهما لم يُبعثا لدمار الحياة، وعدم زواجهما هو لظروف تخصصهما وحدهما، وقد عاش ابن تيمية عازباً، وكذلك جمال الدين الافغاني، ولم يؤثر عن احدهما أنه دعا إلى عزوبة". ^(٢)

وعندما سُئِلَ كولن عن ذلك قال: "إن الزواج أمر فطري وقد أمر به الرسول الكريم (ﷺ)، ولكنني على ثقة بأنني لا أستطيع أن أكون عادلاً مع المرأة التي سأتزوجها، وربما كنت عالماً عليها بينما المفروض أن أكون أنا المُعِيل لها...، ولهذا السبب أصبحت عازباً عن الزواج" ^(٣)

وهذه وجهة نظر الشيخ ربما أصاب وربما أخطأ.

كان بيت "رامز أفندي" والد الشيخ كولن، مفتوحاً لجميع العلماء والمتصوفين المعروفين في تلك المنطقة لذا تعود الشيخ كولن مجالسة الكبار والاستماع إلى أحاديثهم فيما قام والده بتعليمه اللغتين العربية والفارسية.

وتشير بعض المصادر إلى أن كولن درس في المدرسة الدينية في طفولته وصباه وكان يتردد إلى (التكية) أيضاً حيث تلقى تربية روحية إلى جانب العلوم الدينية والعلوم الوضعية والفلسفة.

كما تعرف خلال دراسته على رسائل النور الخاصة بحركة بديع الزمان سعيد النورسي وقد تأثر بها كثيراً، "كتب النورسي هذه الرسائل وهو في السجن أو المنفى من عام ١٩٢٦ حتى عام ١٩٥٠م وشملت تفسيرات قيمة لآيات القرآن وتوجيهات دعوية لإرشاد المسلمين باللغة التركية

١ - الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا، ولد في ٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ/هجري، الموافق ٢٢ من سبتمبر ١٩١٧ ميلادية، في قرية "نكلا العنب" التابعة لمحافظة البحيرة بمصر، وسمّاه والده بـ"محمد الغزالي" تيمناً بالعالم الكبير أبو حامد الغزالي المتوفي في جمادى الآخرة ٥٠٥ هـ. التحق بعد ذلك بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي وظل بالمعهد حتى حصل منه على شهادة الكفاءة ثم الشهادة الثانوية الأزهرية، ثم إنتقل بعد ذلك إلى القاهرة سنة (١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م) والتحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف وتخصص بعدها في الدعوة والإرشاد حتى حصل على درجة العالمية سنة (١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م) وعمره ست وعشرون سنة، وبدأت بعدها رحلته في الدعوة من خلال مساجد القاهرة، وقد تلقى الشيخ العلم عن الشيخ عبد العظيم الزرقاني، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد أبو زهرة والدكتور محمد يوسف موسى وغيرهم من علماء الأزهر الشريف. أنرى المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب: مثل - هموم داعية، خلق المسلم، الحق المر ومع الله.. وغيرها، توفي - رحمه الله - عام ١٩٩٦م ودفن بالقبعة. (المصدر: مجلة الأدب الإسلامي ص ١٥ عام ٢٠٠٣م)

٢ - المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الشيخ / محمد الغزالي، ص ١٤٣، ط ٤، دار الشروق ٢٠٠٤ م.

٣ - أديب إبراهيم الدباغ، سيرة حياة فتح الله كولن، غير منشور، ص ٢٧.

وزاد عددها عن مائة وثلاثين رسالة وجمعت في كتاب تحت عنوان (كليات رسائل النور) ولم تطبع في المطابع حتى عام ١٩٥٤م^(١).

بدأ الشيخ كولن عمله الدعوي في سن مبكرة "فقد تم تعيينه إمامًا لأحد المساجد وهو في العشرين من عمره ثم انتقل لمدرسة لتحفيظ القرآن، ثم عمل واعظًا متجولاً في الأناضول وكان يؤثر أن يبني في المسجد لا يغادره إلا للضرورة"^(٢).

وفي دعوته لم تقتصر جهود كولن على تربية النفوس وتزكيتها" إذ حرص أيضا على أن يستحث أتباعه على إنشاء العديد من المدارس والأقسام الداخلية وإصدار الصحف وإنشاء المطابع وتأليف الكتب وبث المحطات الإذاعية والتلفزيونية التي تعمل على نشر أفكاره وهو ما كان له أثره الكبير في بلدان آسيا الوسطى التي عانت من الاحتلال الروسي"^(٣)

مما سبق يتضح أن الحالة الاقتصادية للشيخ كولن شكلتها بعض الروافد:-

- أولاً: الأسرة القروية المحافظة على القيم والتقاليد .
 - ثانياً: التكية وجوها المؤثر الذي ظهر على حياة الشيخ كولن .
 - ثالثاً: تعيينه مبكراً وهو في سن العشرين ومكوته في المسجد الذي يخطب فيه .
- وسط محافظ، وأسرة أكثر محافظة على الدين والتقاليد، وملزمة بالقيم، كل هذه المكونات الإيجابية، أثرت على أسلوب تحصيل فتح الله كولن للعلم والمعرفة.

ومن جوانب أخرى قد يشترك فيها مع أغلب أقرانه ممن ينتمون إلى الفئة الاجتماعية نفسها، وخاصة في الوسط القروي الذي ترعرع فيه، ومن ذلك أنه كان يمكنه الانتظام في سلك التدريس الرسمي، وأن يشق طريقه كما يشقه شخص مميز في ذكائه ورجاحة عقله، فتكون الحصيلة هي غير حال الأستاذ فتح الله كولن اليوم، لكن القدر أراد له مساراً يكون فيه التحصيل الأول على الصورة التقليدية ونموذجها المكتمل. ولهذا فإن جو التكية وجو المدارس التقليدية كان تدبيراً إلهياً من أجل تهيئة الشيخ كولن للدعوة والإصلاح .

١ - أديب إبراهيم الدباغ، سيرة فكر حياة فتح الله كولن، غير منشور، ص ٣٣.

٢ - معالم في سيرة فتح الله كولن للدكتور/ إبراهيم البيومي غانم ص ٢٢٠، م.س.

٣- أشواق النهضة والانبعاث قراءات في مشروع الأستاذ/ فتح الله كولن، د. محمد حكيب، ص ١٢٦ ط الأولي ٢٠١٣ م دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

المطلب الثالث

الحالة الفكرية والعلمية

توطئة:-

كان من الضروري أن نتناول بشيء من التفصيل منهاج الشيخ فتح الله كولن حتى يتبين مدى استقلال شخصيته بالنسبة لأستاذه الذي كان له الأثر القوي في توجيهه: كانت شخصيته ذات تركيب نفسي خاص فيها اعتدال ولكنها قابلة للتطرف أحياناً، فيها مرونة إلى حد ما ، وتكره المغامرات العنيفة، خلاف أستاذه الشيخ لطفي ، فقد كان يريد الإصلاح بعد أن رأى المأساة الإسلامية المفجعة ، واختلال الحياة السياسية، وانحراف السلطة عن تطبيق الشريعة وقواعد العدل، وتخلف الفكر، والروح، واليد، في حين شاهد في الجانب الآخر- جانباً أوروباً قوة جبارة، وإشعاعاً فكرياً، وتماسكاً قوياً، غير أن الفكرة الإصلاحية لم تكن أول الأمر خطوطاً مستقرة تطمئن إليها نفسه، وتتحمس لها جوارحه^(١).

والمراحل الأخرى؛ تظهر في شخصيته وكتابات ومواعظه وخطبه، فهذه الجوانب موجودة في شخصية الأستاذ كولن لا يمكن إنكارها. وأما الجوانب الأخرى الكسبية فتكشف بأن الرجل قد كُتب له في طفولته أن يتحصل معرفة تقليدية رصينة ساهم فيها العديد من مشايخ المدارس المنتشرة في بوادي الأناضول، والتي كانت تقدم المعارف الإسلامية بأسلوب عتيق وتقليدي، وساهم فيها الأسرة وخاصة الجد القوي الشخصية والجددة كذلك صاحبة الروحانية العالية.. ثم الوالد الذي أبى إلا أن يكون أباً وصديقاً لفتح الله كولن وأن يصاحبه في طلب العلم ويشجعه عليه.. أما الأم فلم تدخر جهداً في أن يتقن الطفل فتح الله القرآن الكريم منذ سن مبكرة. والحاصل أن فتح الله كولن، قد أُتيح له أن يتربى تربية إسلامية أصيلة رغم الظروف القاسية التي كانت تسيطر على الواقع وتحاصره.

١ - أشواق النهضة والانبعاث الحضاري قراءات في مشروع فتح الله كولن ، محمد حكيب ، ص٣٧ط٣ ، دار النيل للنشر ، ٢٠١٦م ، القاهرة.

❖ وتظهر الملامح الفكرية واضحة للشيخ كولن في النقاط التالية :

أولاً: التعدد المعرفي في شخصية فتح الله كولن.

"بالنظر إلى مختلف المصادر المعرفية التقليدية التي درسها على شيوخه، أو التي درسها وحده، فقد أكسبه هذا كله استحقاق صفة "العالم". ولذلك فإن فتح الله كولن، عالم من علماء الشريعة المجتهدين، جلس للإفتاء ودرس العلوم الشرعية وتخرج على يده ثلثة من الطلبة والعلماء هم اليوم في الحركة التي تأسست بفضل صدقه وإخلاصه"^(١).....

والشيخ كولن إلى جانب كل هذا كاتب لا يتوقف قلمه، فهو مؤلف " يحتل المقام الأول في مجاله من خلال كتابته للمقال الرئيسي في العديد من المجلات والصحف، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والمؤلفات، يزيد عددها عن ستين كتابا ترجم بعضها إلى لغات أخرى، كالإنجليزية والألمانية والروسية والفرنسية. وبالنسبة للعربية فقد ترجمت بعض كتبه التي اختصت بنشرها وطباعتها دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة."^(٢)

وبالإضافة إلى ما تقدم فإن لفتح الله كولن: آراؤه المميزة في علم الاجتماع وفي علم النفس وفي السياسة والاقتصاد، والفلسفة المعاصرة والقديمة، الإسلامية وغير الإسلامية، بالإضافة إلى معرفة دقيقة بتاريخ الأمم والحضارات، .. وهو عندما يتحدث في المجال تحسبه مؤرخا متخصصا في تاريخ الحضارة والمدنية والعمران.

وكولن فوق كل ذلك رجل تربية وتعليم، وصاحب تجربة عميقة في هذا المجال؛ فقد مارس التعليم بصنوفه المختلفة العصرية والتقليدية، وألف في هذا المجال، وكتابه التعليمي "تعليم العربية بطريقة حديثة" أكبر دليل على أنه رجل تعليم، يستحق أن يصنف كذلك، دون إغفال تلك الأفكار الناضجة التي يثيرها حول التعليم والتربية في مقالاته وكتبه"^(٣).

١ - انظر في هذا الإطار ما كتبه فريد الأنصاري عن الأستاذ كولن في "عودة الفرسان .. سيرة محمد فتح الله كولن، رائد الفرسان القادمين من وراء الغيب".....مختصر ص٥٢، دار النيل، القاهرة ٢٠١٠ م؛ وانظر كذلك البحث الذي قدمه إبراهيم البيومي غانم، في مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم

الإسلامي، معالم في سيرة "حوجا أفندي: محمد فتح الله البسام الأناضولي"، القاهرة،

٢١-١٩ أكتوبر ٢٠٠٩. دار النيل، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م، ص: ٢١٥ - ٢٥٦.

٢- أشواق النهضة والانبعثات قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن، د محمد حكيب، ص١١٣، ط الأولى، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠١٣ م.

٣- أشواق النهضة والانبعثات قراءات في مشروع الأستاذ / فتح الله كولن، د. محمد حكيب ص١١٣، ط الأولى ٢٠١٣ م، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

ثانياً- الشيخ كولن العالم المفكر:

من يتتبع مؤلفات كولن يتضح له هذا الأمر جلياً ، فالشيخ كولن له كتاب في أربعة أجزاء، وهو محوري في نتاجه الفكري، بعنوان " التلال الزمردية: نحو حياة القلب والروح " تُرجم منه إلى العربية جزء واحد؛ وهو كُله في الأخلاق بمفردات وقاموس "صوفي" ظاهراً؛ لكنه في الواقع طرح "حضاري-عملي" مختلف عن الطرح التقليدي المؤلف؛ وضمن الكتاب فصل بعنوان: "الخلق". ومن الأخلاق التي شرح معناها، وصاغ تطبيقاتها، ضمن الفصل الأول نذكر: "الاستقامة، والتواضع، والصبر، والإحسان"^(١).

وفي "النور الخالد" فصول طويلة عن "الأخلاق" وعلاقتها بالدين والحضارة؛ "لكن بمنهج تاريخي متجاوز للسرد والحدث، موغل في الدعوة والتوجيه؛ من ذلك فصل "خصائص الأنبياء"، الذي تعرّض فيه إلى "ربانية" دعوتهم عليهم السلام؛ ثم نبّه إلى "التجرد والتوجه إلى الله وحده"، وهو معيار لا يخطئ في الحكم على الصدق من غيره؛ ثم تناول خلق "الإخلاص"، علماً أنه أفرد له عنواناً خاصاً في "التلال الزمردية" .. "...."^(٢).

ومما قاله في هذا الشأن: "إن كان العمل جسداً فروحه الإخلاص، وإن كان العمل جناحاً فجناحه الآخر هو الإخلاص. فلا جسد بلا روح، ولا يوصل إلى مكان بجناح واحد"^(٣). ثم في "باب: صفات الأنبياء ومكانتها من سيد الأصفياء" بسط فصلاً عن "الصدق"؛ مبيّناً أن خلق "الصدق هو محور النبوة، ومدار ارتكازها"، وفصلاً آخر عن "الأمانة" ربط فيه بين الإيثار والأمانة، وذهب إلى أنهما لا ينفصمان.

لذا يقول الشيخ كولن "إننا إذا تفهّمنا الحركية التي أوجدتها العقيدة الإسلامية في القلوب المؤمنة، فسنفهم الأسباب والدوافع الحقيقية للهبوط والصعود على مستوى الفرد أو المجتمع، بل

١- فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرفاته الحضارية، محمد أنس أركنه، (ترجمة: أورخان محمد علي)، ص ١٩ دار النيل، ط ١، القاهرة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٢- أشواق النهضة والانبعاث قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن، د. محمد حكيم ٠٠٠ بتصرف، ص ١١٠، ١١١، ط الأولى، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠١٣ م.

٣- التلال الزمردية، محمد فتح الله كولن، القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر، ص ١٠٦، ١٠٤.

وسندرك الأسس المهمة التي نجمع بها شملنا ونرجع بها إلى وعينا ونلحق بالقافلة التي تأخرنا عنها"^(١).

بما أن الأخلاق لا تكتسب إلا بالتربية، وبما أن رسالة فتح الله كولن التي صبغ بها حياته هي التربية، وبما أن النور الخالد إنما أُلّف لعرض الخدمة على معايير النبوة والخلافة الراشدة لا بغرض التعليم المنهجي التقليدي، أو الدرس الوعظي... "اعتبارًا لكل ذلك عقد فتح الله جزءًا كاملاً للتربية عنوانه بـ "النبي مربيًا"^(٢)

حيث ذكر في هذا الجزء الجانب التربوي في حياة حضرة النبي محمد (ﷺ) ذكر فيه جوانب تربوية عديدة لسيدنا محمد (ﷺ) منها على سبيل المثال: النبي كرئيس عائلة، والجو العام للتربية في بيته الكريم 'أمثلة من نظام تربيته (ﷺ) وغيرها من الجوانب التي ذكرها لشيخ كولن في هذا الجزء.

ثالثًا: مصادر بناء معالم شخصية الأستاذ فتح الله كولن .

يحددها الدكتور إبراهيم بيومي في ثلاثة مصادر أساسية، أو بالأحرى يحدد ثلاثة معالم أساسية تدل على العالم المصلح يقول: "ثلاثة يعرفوننا على الداعية الإسلامي: محمد فتح الله كولن... والثلاثة يأتون بهذا الترتيب من حيث الأسبقية، والشهرة في ساحات الواقع بأبعاده المتعددة، ومشكلاته المتكاثرة، وتحدياته المتجددة.... وبحسب الترتيب الزمني، كانت كلمات وكتابات" فتح الله كولن هي الأسبق ظهورًا، تلاها تلامذته ومحبه، ثم ظهرت بعد ذلك مؤسسات "الخدمة" ومشروعاتها بالعشرات في مجالات متنوعة"^(٣)

ومن هنا فإن الدليل الأول للتعرف على قوة الأستاذ فتح الله المعرفية والحركية، يكون بالنظر في شخصية وأخلاق وسمت وعلم تلاميذ الأستاذ فتح الله كولن، وهؤلاء قد بدأوا في الانتشار عبر مختلف مناطق العالم شرقًا وغربًا، إلى تحقيق مفهوم الخدمة، و"الخدمة" فلسفة خاصة يقيم عليها الأستاذ فتح الله، والمقتنعون بفكره فعاليتهم وحركتهم، فهم يأتون إلى الناس بخدمة يقدمونها بكل

١- المرجع السابق نفس الصفحة

٢- النور الخالد "محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية" محمد فتح الله كولن، القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر ص٧٧.

٣- معالم في سيرة "كولن: محمد فتح الله البسام الأناضولي"، إبراهيم البيومي غانم، مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩ - ٢١ أكتوبر ٢٠٠٩. ص: ٢١٥ - ٢٥٦ طبعة ٢٠١١ م دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

حب وإخلاص ، في شكل عمل تربوي وتعليمي ، وفي شكل أعمال إغاثية ، وفي شكل عمل ثقافي ، وفي شكل تنمية بشرية ومحاربة الفقر ومساعدة ذوي الحاجة ، أو في شكل حوار بين أتباع الديانات المختلفة وغير ذلك من أنواع "الخدمة".

وبناء على ما تقدم فإن دراسة الشيخ فتح الله من الناحية الفكرية والعلمية ، تفرض الوقوف

على أهم العناصر التي أسهمت في تكوين شخصيته ، وتنقسم هذه العناصر إلى:

- أهم المحطات في حياته الفكرية والثقافية ، كموروث الأسرة ، وتأثره بشيوخه ، وغير ذلك من هذه الراوفا الفكرية التي تشكل فكر الإنسان وتكوينه المعرفي .
- أهم المصادر التي أثرت في تكوين شخصيته .
- شخصيته الحركية وأهم الجوانب التي تمثل هذه الحركية وتوجه
- الحركة التي تأسست حول رؤيته الفكرية .

المبحث الثالث
جهود فتح الله كولين العلمية

وفيه مطلبان :-

- المطلب الأول : أهم مؤلفاته.
- المطلب الثاني : اللقاءات الإذاعية والمؤتمرات العلمية .



توطئة:-

اتسم فكر الشيخ محمد فتح الله، بالنموذجية في تقديم الشخصية المسلمة العصرية المعتمدة على العلم والحركة والقائمة على الأخلاق والمثل والمبادئ الإسلامية التي يزخر بها ديننا القويم ويصل بها إلى درجة عالية من الرقي الروحي والاجتماعي معاً من خلال نسق متوازن وسليم. إنه الفكر الذي يقوم على إرساء روح التسامح بين البشر، واحترام جميع الأديان والأفكار والفلسفات من منطلق التعاليم الإسلامية التي تقضي بضرورة تأمين حرية العقيدة لكل فرد، وحرية إقامة شعائره دون أي موانع أو عقبات، وتلك هي روح الإسلام العالمي الشامل. ويتمثل فكر العالم فتح الله كولن: في رؤية جديدة للمسلم الذي يجب أن يأخذ مكانه، بثقة وعزم في الصفوف الأولى من العالم في كل مسألة منطلقاً من المبادئ والقيم التي وضعها له دينه، فيصبح بإيمانه وثباته مرشداً للعالم إلى الفضيلة والأخلاق القويمية التي يقوم عليها ديننا، ويرى أن المسلم يجب أن يكون القدوة والأسوة الحسنة أمام العالم بفضل دينه وقيمه العليا.

المطلب الأول

أهم مؤلفاته

لم يكن الأستاذ فتح الله كولن رجلاً عادياً ، ولم يقتصر دوره على أنه داعية فحسب ، يصعد المنابر ، ويلهب الحماس في قلوب محبيه فقط ، فمن يبحث أو يقرأ عن شخصية الشيخ يجد أنه يجمع بين حسن الإلقاء والتخاطب مع الجماهير، والقدرة الفائقة على الإبداع في التأليف التي تنم عن شخصية علمية مبهرة .

وقد قدم الأستاذ فتح الله كولن للمكتبة العلمية العديد من المؤلفات التي تُرجم بعضها ولم يُترجم الجزء الأكبر منها.

أولاً-الكتب المترجمة إلى اللغة العربية :

"المرجم من كتب الشيخ كولن إلى العربية قليل بالنسبة لما ألفه، فالكتب المترجمة قد لاتلبي سوى جزء يسير من أفق انتظار المثقف العربي ،لأن المترجم من فكر الشيخ كولن يجب على جزء مهم من أسئلة القارئ العربي ، ولذلك فإن ترجمة كل تراث الشيخ كولن سيفتح آفاقاً أوسع يستفيد منها القارئ العربي بكل تأكيد"^(١)

• تصنيف مؤلفات الشيخ كولن :

يمكن تصنيف هذه الكتابات - ماتم ترجمته حتى الآن - من حيث الموضوعات التي تناولتها يأتي التصنيف على النحو التالي :-

١- مؤلفات في " العقائد " : مثل

- القدر في ضوء الكتاب والسنة
- حقيقة الخلق ونظرية التطور
- سلسلة أسئلة العصر المحيرة (مترجم منها ثلاثة أجزاء) وهي عبارة عن ستة أجزاء .

٢- مؤلفات في السيرة النبوية المطهرة : مثل

(كتاب النور الخالد محمد ﷺ) مفخرة الإنسانية) وهو في سبعة أجزاء .

١- فتح الله كولن، قصة حياة ومسيرة فكر، أرطغرول حكمة، ترجمة عبد المولى جابر، ص١٢٢، ط٣، دار النيل للنشر، القاهرة ٢٠١٤م

٣- مؤلفات في التفسير : مثل

كتاب "أضواء قرآنية في سماء الوجدان "

٤- مؤلفات في الانبعاث ونهضة المجتمع والأمة :

- ونحن نقيم صرح الروح
- ونحن نبني حضارتنا
- الموازين أو أضواء على الطريق
- طرق الإرشاد في الفكر والحياة
- ترانيم روح وأشجان قلب
- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام
- من سلسلة الجرة المشروخة " الجزء الأول : شد الرحال إلى غاية سامية الموشور
- من البذرة إلى الثمرة (تربية الأبناء وبناء شخصية كاملة)
- الاستقامة في العمل والدعوة
- لمسات في إصلاح المجتمع
- جيلنا وإشكالاته العصرية
- نفخة البعث

٥- مؤلفات في التصوف والسلوك : مثل

- سلسلة التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح
- القلوب الضارعة "أوراد وأدعية "

٦- أشعار : ألوان وظلال في مرايا الوجدان

(وهي تأملات لتجليات أسماء الله وصفاته في مظاهر الكون والوجود)

ثانياً: الكتب غير المترجمة إلى اللغة العربية :

١- سلسلة "الجيل والعصر"

وهي سلسلة مقالات الشيخ كولن الافتتاحية في مجلة "سيزنتي" من عام ١٩٧٩م وحتى اليوم (في تسعة أجزاء)

- العصر والجيل
- الإنسان في دوامة الأزمات
- نحو الجنة المفقودة
- شريحة الزمن الذهبية
- أيام تتنفس أنساما ربيعية
- أفكار في طور الاخضرار
- أفق يلوح منه النور
- حركة نماذجها من ذاتها
- دوي الصمت

٢- سلسلة "الجرة المشروخة"

وهي سلسلة دروس الشيخ كولن المسائية في الولايات المتحدة الأمريكية مفرغة من التسجيلات في اثني عشر جزءاً

- الجزء الأول: الجرة المشروخة
- الجزء الثاني: صحبة الحبيب
- الجزء الثالث: آفاق الغربية
- الجزء الرابع: فنار الأمل
- الجزء الخامس: غيث الأصيل
- الجزء السادس: نداء البعث
- الجزء السابع: إكسير الخلود
- الجزء الثامن: بشرى الوصال

- Kalb İbres الجزء التاسع: بوصلة القلب •
- Cemre Beklentisi الجزء العاشر: في ارتقاب الجمرة •
- Yenilenme Cehdi الجزء الحادي عشر: السعي إلى تجديد النفس •

٣- سلسلة المنشور الضوئي

(مجموعة من دروس الشيخ كولن المسائية مفرغة في ثمانية أجزاء)

- Prizma الجزء الأول: المنشور الضوئي •
- Prizma الجزء الثاني: المنشور الضوئي •
- Prizma الجزء الثاني: المنشور الضوئي •
- Prizma الجزء الثاني: المنشور الضوئي •
- Kendi İklimimizi الجزء الخامس: مناخنا نحن •
- Yol Mülâhazaları الجزء السادس: ملاحظات على الدرب •
- Zihin Harmanı الجزء السابع: يبدر الفكر •
- Çizgimizi Hecelerken الجزء الثامن: في تهجي خط سيرنا •

٤- سلسلة "التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح":

(في أربعة أجزاء، ترجم الأول وجاري ترجمة الأجزاء الثلاثة الأخرى)

- Fasıldan Fasıla Serisi سلسلة الفصول ٥-

(من الدروس المسائية في خمسة أجزاء)

٦- سلسلة تعليم العربية بطريقة في خمسة أجزاء

- Kırık Mızrap ريشة العزف المكسورة ٧-

(ديوان شعري جُمع فيه جملة ما كتبه الشيخ من قصائد وأشعار)

- Kur'an'ın Altın في عالم القرآن الذهبي ٨-

- Enginliğiyle Bizim عالمنا الفسيح ٩-

- Küçük Dünyam دنيای الصغيرة ١٠-

- Varlığın Metafizik البعد الميتافيزيقي للوجود ١١-

وبعد : فإن للشيخ كولن أكثر من خمسة وستين كتابا تناول فيها القضايا الكبرى في الفكر الإسلامي ومشكلات العصر . بعض كتبه مترجم من التركية إلى أكثر من خمسين لغة منها : العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية وبعض اللغات الحيّة^(١) .

١ - حصل الباحث على قائمة بالكتب التي ألفها الأستاذ فتح الله كولن المترجم منها وغير المترجم مع ترجمة لأسماء الكتب غير المترجمة أثناء زيارته العلمية لمركز دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة بالتنجيم الخامس بتاريخ ٢١-٣-٢٠١٤م

المطلب الثاني

اللقاءات الإذاعية والمؤتمرات العلمية

تلعب وسائل الإعلام في العصر الحاضر دورًا فاعلاً في تشكيل الرأي العام ، بل في تحديد سلوكيات الأفراد والجماعات ، و تثقيف المجتمعات ، ونشر الافكار والترويج للديانات . فهي أداة خطيرة يمكن عن طريقها بث ونشر التقاليد والمعتقدات التي يراد للجماهير اعتناقها . ولقد فطن الشيخ كولن للدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه وسائل الإعلام في إحياء رسالة الإسلام السمحة وتعريف البشرية بخالقها .

وقد اهتم الشيخ كولن ببعض هذه الوسائل واستخدمها في منهجه الإصلاحى، منها:-

أولاً - التلفاز والإذاعة:

من أهم وسائل التأثير المسموعة والمرئية التلفاز والإذاعة ، "لذا سعى الشيخ كولن لإقناع العديد من رجال الخير بأهمية هذه الوسيلة في نشر دين الله فكان من نتيجة ذلك أن تم إنشاء محطة تلفزيونية اسمها (ctv)samanolu)) وتعني مجرة درب التبانة . وتبث هذه المحطة قنواتها داخل تركيا وفي أغلب بلدان العالم ، وتحتضن ثمان قنوات تلفزيونية ، وثلاث إذاعات وتغطي مائة وعشرون دولة في أوروبا وأستراليا وأفريقيا والشرق الأقصى"^(١).

أما القنوات: "فمنها قناة ثقافية دينية ، وقناة إخبارية تبث الأخبار طوال اليوم ، وقناة للأطفال ، وقناة تغطي أخبار آسيا الوسطى ، وقناة تبث لأوروبا ، وأخرى لأمريكا، وانطلقت قناة أخرى في يناير ٢٠٠٩م قناة تبث بالألمانية والانجليزية"^(٢).

أما الإذاعات الثلاث: فأحداها إخبارية ، والثانية إذاعة شباب ، وأخرى ثقافية ودينية ، "وطبيعة البرامج المذاعة والمشاهدة تستهدف الفرد السليم مع التركيز على المبادئ الإيانية ، والانفتاح على العصر والتسامح"^(٣).

١- حصل الباحث على هذه المعلومات أثناء زيارته العلمية لمركز دار النيل للطباعة والشر ومقابلة مع احد المسؤولين عن حركة الشيخ كولن بالقاهر ١٢-٣-٢٠١٤م

٢- حصل الباحث على هذه المعلومات أثناء زيارته العلمية لمركز دار النيل للطباعة والشر ومقابلة مع احد المسؤولين عن حركة الشيخ كولن بالقاهر ١٢-٣-٢٠١٤م

٣ - المرجع السابق .

ثانيًا :المجلات والجرائد

• مجلة الرشحة

"وهي مجلة باللغة التركية ، انطلقت عام ١٩٧٩م في شهر فبراير،(شباط)وهي مجلة علمية أدبية توصف من قبل قرائها بالحب والتسامح في مقالاتها"^(١)
وهي مقسمة إلى عدة أبواب : "باب العلم - تكنولوجيا - طب - بيولوجي -علم النبات فسيولوجيا -علم الفلك -جغرافيا الأرض-التاريخ-الأدب -علوم الاجتماع -علم النفس . وهي مجلة شبابية تهتم بفصيل الشباب وتلعب دورًا أساسيًا في تعميق الإيمان برهم عن طريق مقالات الشيخ كولن، وتصدر المجلة كل شهر ويطلع منها أكثر من ١٠٠٠٠٠ ألف نسخة"^(٢) .

• مجلة الأمل الجديد .

"صدرت هذه المجلة في يوليو (تموز) عام ١٩٨٨ وهي مجلة دينية تحاول أن تكون مترجمة لمنهج أهل السنة والجماعة ، تقدم تفسير القرآن الكريم والأحاديث الشريفة على صفحاتها"^(٣) .

وتشمل الأبواب التالية :

علم الاجتماع - الأخلاق -العقائد-التصوف -التفسير - فقه - حديث - شخصيات إسلامية . ويبيع منها حوالي ٢٠٠٠٠٠ ألف نسخة .

• جريدة زمان .

والتي تم انشائها في شهر نوفمبر(تشرين ثاني) عام ١٩٨٨م، ويصدر من جريدة زمان يوميا حوالي ١٨٠٠٠٠ ألف نسخة وهي جريدة عالمية، يطلع منها أعداد في بلاد أخرى مثل - رومانيا،

١ - فتح الله كولن، قصة حياة ومسيرة فكر، أرطغرول حكمة، ترجمة عبد المولى جابر، ص٧٣، ط٣، دار النيل للنشر، القاهرة ٢٠١٤م
٢ حصل الباحث على هذه المعلومات أثناء زيارته العلمية لمركز دار النيل للطباعة والشر ومقابلة مع احد المسؤولين عن حركة الشيخ كولن بالقاهر ١٢-٣-٢٠١٤م
٣ - موقع الشيخ كولن على شبكة الانترنت ، تاريخ الزيارة ، ٢٢-٦-٢٠١٥م

وبلغاريا ، وتطبع الجريدة في تركيا في خمسة مراكز منها اسطنبول - أدرنة - طرابزون - أنقرة،
وتطبع خارج تركيا في حوالي خمسة عشر دولة^(١) .

• مجلة الغيث

"صدرت في أكتوبر(تشرين أول) ١٩٩٨م" باللغة التركية توصف هذه المجلة بأنها
منبع الحياة عبر الكلمات وهي أدبية ، فنية ، فكرية وهي تمثل الأدب التركي والثقافة التركية"^(٢) .

• مجلة حراء^(٣)

وهي مجلة علمية ثقافية شهرية تعني بالعلوم الطبيعية ، والاجتماعية ، والإنسانية وتحاو
آفاق أسرار البشرية ، وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور القرآني الإيماني في تآلف وتناسب بين
العلم والإيمان .

وقد صدرت هذه المجلة في شهر مايو(أيار) عام ٢٠٠٥ م - باللغة العربية .

أبوابها

الصفحة الرئيسية ويكتبها الأستاذ فتح الله كولن .

والكتابات فيها تدور حول عدة محاور

علوم : وتحاول فيه الربط القوي المحكم بين الدين والعلم .

علم النفس : وتبحث في هذا الباب عن أسرار النفس البشرية والعقلية .

تربية وأسرة : وترسخ فيه مفاهيم القيم الجمالية والخلقية في الفرد والأسرة .

المرأة : وفيه تبرز مكانة المرأة في الإسلام وحقوقها .

المجتمع : وفيه يدرس علم الاجتماع الديني ثم مشاكل الشباب في العصر الحاضر .

أدب وفنون : ودراسات إسلامية ، وقضايا فكرية معاصرة بالإضافة لفقهِ الدعوة وأخيرا

التاريخ

١ التجديد في الفكر الديني المعاصر في تركيا (نموذج دعوة محمد فتح الله كولن) رسالة ماجستير للباحث ، ابو زيد
عبد الرحيم عبد العاطي ، اشراف دهدى درويش معهد الدراسات والبحوث الأسيوية بالزقازيق ، ص٢٣٨ ط٢٠١١ م .

٢ المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٣- ندوة للتعرف بمجلة حراء ، في فندق الميريديان بالقاهرة بتاريخ ١٢/١١/٢٠٠٨ علق عليها نوزاد صواش ، المشرف
العام لمجلة حراء ، وقد حصل الباحث علي نسخة من هذه الندوة . .

ثالثاً - أهم دور النشر التابعة لحركة فتح الله كولن :

- دار نشر الكنز المفقود ، تهتم بنشر الكتب التي تتناول المعلومات التاريخية القيمة والوصول إليها .
- دار نشر القنطرة : أسست هذه الدار بغية نقل الحضارة الأدبية القديمة إلى العالم الأدبي المعاصر وطبعت العديد من الكتب مثل " آدم وحواء، وكتاب قلم الروح " بالإضافة لغيرها من الكتب الكثيرة والتي لم يترجم منها إلى العربية شيء .
- دار نشر مملكة الوردة : تهتم بطبع الكتب التي تخص الأسرة وتوجيه الأبوين لكيفية تربية الأبناء وتقديم نصائح وتوجيهات نفسية لحل ما يعترضهم من مشاكل .
- دار نشر الدليل : تهتم بطبع كتب تعالج المشاكل المعاصرة ، وتحاول في مطبوعاتها إبراز أنه ليس هناك اختلاف بين الدين والعلم ، وتصدر بعض المطبوعات التعريفية في المناسبات كشهر رمضان ، وعيد الفطر - عيد الأضحى - مولد الرسول صلى الله عليه وسلم - .
- دار البرج الذهبي : تهتم بالموضوعات التي تتعلق بالتكنولوجيا الحديثة^(١) .
- دار النيل للطباعة والنشر : أسست هذه الدار في القاهرة في شهر فبراير (شباط) عام ٢٠٠٨م من أجل طبع ونشر مؤلفات الأستاذ كولن ، وغيرها من المؤلفات التركية من أجل إيجاد نوع من التواصل الثقافي بين العالمين العربي ، والتركي يدير هذه الدار الأستاذ / شكري شاهين^(٢) ، وتشارك هذه الدار في العديد من معارض الكتاب التي تقام في العديد من البلدان ، محاولة بذلك نشر الفكر الإسلامي الصحيح .

١- التجديد في الفكر الديني المعاصر في تركيا (نموذج دعوة محمد فتح الله كولن) رسالة ماجستير للباحث ، أبو زيد عبد الرحيم عبد العاطي ، أشرف دهدى درويش معهد الدراسات والبحوث الأسيوية بالزقازيق ، ص ٢٣٨ ط ٢٠١١م .
٢- التقى الباحث كثيرا بالأستاذ شكري ، الأمين العام لدار النيل للطباعة والنشر ، وساعدني في الحصول على معلومات كثيرة حول المجالات ودور النشر التي تخدم حركة الشيخ فتح الله كولن .

رابعًا - المؤتمرات والندوات العلمية :

حضر الشيخ كولن أكثر من "مائتين" مؤتمر وندوة علمية على مستوى العالم - كان الهدف من هذه المؤتمرات والندوات ، بث ثقافة الحوار والتسامح ، وإظهار قيمة الرحمة في الإسلام ونبذ ثقافة العنف .

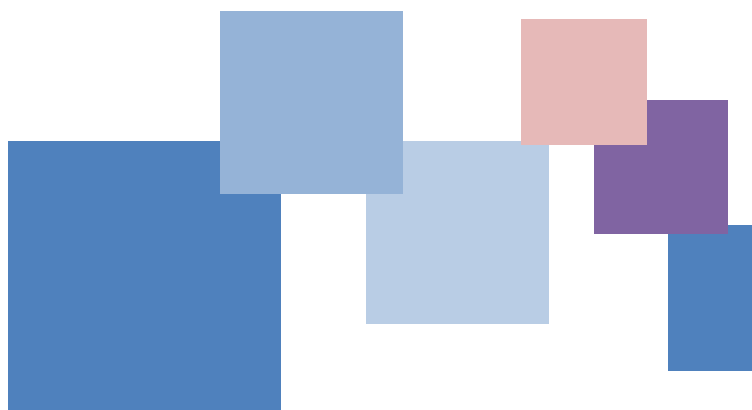
حيث كان الشيخ كولن لا يترك حدثًا عالميًا أو محليًا إلا ويعقد له ندوة أو مؤتمر يصحح المفاهيم للناس ويرد التهم المصدرة للإسلام ...^(١).

■ مما سبق يتضح أن الأستاذ فتح الله كولن قد استفاد من كل وسائل العصر الحديث ، وجدد مفهوم التبليغ التقليدي المعتمد على الوعظ في المساجد وعلى المنابر ، واتخذ من الصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز منابر عصرية تنشر من خلالها رسالة رب العالمين ، والتي أمر بتبليغها المرسلين .

١- معلومات حصل عليها الباحث أثناء زيارته العلمية لمركز دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة بالمقابلة مع أحد المسؤولين عن الحركة وعلى رأسهم الأستاذ شكري شاهين .



الفصل الثاني



الفصل الثاني

ركائز الإصلاح وأهدافه عند الشيخ فتح الله كونز

- المبحث الأول: الاعتماد على القرآن الكريم .
- المبحث الثاني: الاعتماد على السنة النبوية المطهرة .
- المبحث الثالث: الجمع بين الأصالة والمعاصرة.
- المبحث الرابع : إصلاح الفرد والمجتمع.
- المبحث الخامس: محاربة الجهل ، والفقر ، والمرض.

الفصل الثاني

ركائز الإصلاح عند الشيخ فتح الله كولن

توطئة :

يشعر كل مسلم في المرحلة الراهنة أن العالم الإسلامي في أمس الحاجة إلى تجربة إصلاحية فريدة تنهض به من كبوته .

ودعوى الإصلاح والتجديد وتطوير الفكر الديني للمسلم روحياً ، وعملياً طبقاً لمتطلبات كل عصر تنطلق من الحديث النبوي الشريف {إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها} ^(١) .
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ^(٢):

" معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (يجدد لها دينها) أنه كلما انحرف الكثير من الناس عن جادة الدين الذي أكمله الله لعباده وأتم عليهم نعمته ورضيه لهم ديناً - بعث إليهم علماء أو عالماً بصيراً بالإسلام ، وداعيةً رشيداً ، يبصر الناس بكتاب الله وسنة رسوله الثابتة ، ويجنبهم البدع ، ويحذرهم محدثات الأمور ، ويردهم عن انحرافهم إلى الصراط المستقيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فسمى ذلك : تجديداً بالنسبة للأمة ، لا بالنسبة للدين الذي شرعه الله وأكمله ، فإن التغير والضعف والانحراف إنما يطرأ مرة بعد مرة على الأمة ، أما الإسلام نفسه

١ - حديث صحيح. أخرجه أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، حديث رقم ٤٢٩١ ج٤/١٠٩

٢ - شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد بن الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي محدث وعالم مسلم، شافعي المذهب، لقب بعدة ألقاب منها شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث، أصله من مدينة عسقلان، ولد الحافظ ابن حجر العسقلاني في شهر شعبان سنة ٧٧٣ هـ في الفسطاط، توفي والده وهو صغير، فتربى في حضانة أحد أوصياء أبيه، ودرس العلم، وتولى التدريس. ثم أقبل على علم الحديث، ورحل داخل مصر وإلى اليمن والحجاز والشام، وعمل بالحديث وشرح صحيح البخاري في كتابه فتح الباري، فاشتهر اسمه، قال السخاوي: «انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر»، وله العديد من المصنفات الأخرى، عدّها السخاوي ٢٧٠ مصنفًا، وذكر السيوطي أنها ٢٠٠ مصنف. وقد تنوعت مصنفاته، فصنف في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك من أشهرها: تقريب التهذيب، ولسان الميزان، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وألقاب الرواة، وغيرها. توفي في ٨٥٢ هـ بالقاهرة. (المصدر: أعلام المسلمين، إبراهيم محمد العلي، ص١٣٤، ١٣٣. ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠١م).

فمحمفوظ بحفظ كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المبينة له ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (١) .." (٢)

إذا فالإصلاح مهمة كبرى تتطلب تحفيزالهمم ودفع النفوس حتى تستطيع مواكبة
التطورات العلمية التي تجري من حولنا. والشيخ فتح الله كولن يرى أن الإصلاح يقع على عاتق
الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض .

ومن استطاع أنونظر إلى الأعمال التي يقدمها الشيخ كولن سواء من خلال مؤلفاته ، أو
مقالاته في الصحف والمجلات ، أو من خلال خطبه ودروسه ، ومواعظه، لوجد أنها تنصب
جميعاً نحو غاية واحدة ألا وهي :تربية الأجيال المسلمة المعاصرة عقلياً وروحياً بهدف خلق
إنسان جديد بفكر جديد يستطيع الموازنة بين القلب والعقل ، وبين الوحي ومتطلبات العصر ،
وبين الدين والحياة .

ويرى الشيخ كولن أيضاً - أن المجتمع الإسلامي بحاجة إلى إصلاح جاد في ملكاته
العقلية، والروحية، والفكرية ، فالصالحون من عباد الله هم ورثة الأرض قال تعالى {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي
الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} (٣) .. فلن تتحقق أي نهضة أو إصلاح إلا
باتباع كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) .

• وفي هذا الصدد يقول الشيخ كولن:- " إن أول خطوة في مشروع الإصلاح، هي إنتاج
الإنسان، الإنسان الذي أفنني نفسه في قضية أمته، وتعلق قلبه بأشواق الآخرة، ثم اتخذ مهمته
التعليمية مسلكاً لمعرفة الله، وعمارة الأرض" (٤)

ويحدد الشيخ كولن مهمة الإصلاح وسبله ووسائله التي ينبغي على الإنسان أن يحققها ،
فيقول:- " إن إصلاح الأجيال، مرتين بإصلاح التعليم، وإخراج فلسفته من ضيق المنطق
الوظيفي الميت، إلى سعة العمل الإنساني النبيل، ألا وهو بناء الإنسان بكل أبعاده النفسية

١- سورة الحجر :آية (٩).

٢ تجديد علوم الدين، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان ، ص١٣، ط٢. دار الصحوة القاهرة ، ١٤٠٦هـ، ١٩٩٨م.

٢- سورة الانبياء آية رقم (١٠٥)

٢- الكلمة الافتتاحية للشيخ كولن ، كلمة مكتوبة ألقاها الأستاذ نواز دصواش المشرف العام على مجلة حراء، في مؤتمر القاهرة
الدولي بجامعة الدول العربية ١٩-١٠-٢٠٠٩م. ، ونشرت هذه الكلمة في افتتاحية مجلة حراء ، لعام ٢٠١٠م.

والفكرية. وإن التعليم بهذا المنطق النبوي الكريم، يستطيع أن يجدد البنى الاقتصادية، والعلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية، ويحدوها برفق وهدوء، نحو التآلف والتكامل والنهوض.....^(١)

ثم يشرح الشيخ كولن حقيقة الإصلاح الذي ينشده فيقول:-

"إن الإصلاح تربية وتعليم، وما كان ينبغي للمعلم إلا أن يكون رحيماً حكيمًا. ومن ثمَّ

فإن التعليم بكل أبعاده الشمولية، هو الذي يمثل جوهر المنهاج الإصلاحية"^(٢).

فمنهج الإصلاح عند كولن قائم ومرتكز على قضية التربية، والمراد بالتربية هنا، هي

التربية الشمولية، التي تشمل الإنسان في جميع مراحل حياته.

١ - آفاق اليقينية العلمية، من تجليات رؤى فتح الله كولن الاستشراقية، د. عبدالإله بن مصباح، ص ٥٣، ط ٢، دار النيل للنشر، القاهرة ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

٢ - الكلمة الافتتاحية للشيخ كولن، كلمة مكتوبة ألقاها الأستاذ نواز دصواش المشرف العام على مجلة حراء، في مؤتمر القاهرة الدولي بجامعة الدول العربية، ١٩-١٠ أكتوبر ٢٠٠٩م.، ونشرت هذه الكلمة في افتتاحية مجلة حراء العدد ٢٣، شهر رجب، لعام ٢٠١٠م.

المبحث الأول

الاعتقاد على القرآن الكريم

توطئة :

من مجالات الدعوة القرآنيّة كذلك وأصولها الجامعة: دعوة القرآن إلى إصلاح المجتمع كله إصلاحًا شاملاً وكاملاً يحفظُ كيانه وأفراده من الانحراف أو الإفساد في الأرض، وإهدار حقوق الخلق في سبيل المصالح الشخصية، والأهواء الذاتية الفردية.

بل قد عرّض القرآن بأسلوبه البلاغي، وندائه الخطابى، وإعجازه التشريعي - كل المجالات الهداية، والأصول الجامعة الواقية، والتي من شأنها النهوض بالمجتمع وأفراده إلى المدينة الفاضلة، والعدالة الشاملة. لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده في هذه الحياة دون الاحتكاك بغيره والاتّصال به، فكان لا بدّ من إيجاد القواعد والتشريعات التي تحفظ هذا المجتمع وتقومه، وتصلحه وتهذبه.

وقد تحدث الشيخ كولن عن القرآن الكريم في الكثير من المواضيع، حتى لا يكاد كتاب من كتبه لا يُذكر فيه مصطلح القرآن أو يشار فيه إلى معانيه. ويرجع ذلك إلى مقام القرآن الكريم في فكر الأستاذ فتح الله، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي يبني مجموع مشروعه الحضاري على القرآن الكريم وعلى السنة النبوية. فالقرآن حاضر في مختلف مراحل مشروع "الخدمة"، إذ هو المصباح الذي استنارت به الخدمة في حركتها، وهو المصباح الذي أثار للأستاذ فتح الله السبيل للإجابة عن الأسئلة المحيرة في مسيرة حياته الحافلة، يقول الشيخ كولن :- "القرآن هو قمة الفكر المتين والصحيح، وأساس التعبير الدقيق، وقاعدة للتعبير المنطقي. وكما كان هذا الفرقان العظيم سيد الكتب السماوية وغير السماوية كان المخاطب الأول له سيد الأنبياء والمرسلين (ﷺ)....."^(١)

يلتقي الشيخ فتح الله كولن مع العديد من مفكري الإصلاح في قضية الارتكاز على القرآن الكريم وعلى السنة النبوية. فأغلب مفكري الإصلاح إن لم نقل كل مفكري الإصلاح الذين ينطلقون من رؤية إسلامية يجمعون على ضرورة الرجوع إلى القرآن والسنة... وأهم

١ - ترانيم روح وأشجان قلب، فتح الله كولن، بتصرف / ترجمة : اورخان محمد علي ، ص١٦، ٢٠١٢ م ، ، الطبعة الخامسة دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة.

ما يميز مشروع الشيخ كولن " أن رؤية الشيخ كولن الفكرية ومجهوده النظري لا ينفصل عن المستوى التطبيقي والحركي في مشروعه الإصلاحية بصفة عامة...."^(١)

فما موقع القرآن الكريم في فكر الشيخ كولن الإصلاحي ، وما منهج تفعيل الوحي عنده؟
أولاً: موقع القرآن الكريم في فكر الشيخ فتح الله كولن الإصلاحي.

القرآن الكريم والسنة النبوية وما يتصل بهما من فقه وأصول فقه يعتبران المصدر الأساسي الموجه للميراث الثقافي بالنسبة للشيخ كولن ، وهو إذ يبرز هذا المرتكز لا يقف بذلك عند حدود الخطاب بل هو يركز على جانب الحضور الفعلي لهذين المصدرين في الحياة من خلال بناء نماذج بشرية متحلية بثقافة تستمد مرجعيتها من سنة رسول الله (ﷺ) " ومنهج كولن في الحياة ومنهجه في التفاعل مع الكون، ومن خلال الاسترشاد بالقرآن الكريم وما يتصل به من تفسير وفقه وأصول فقه.. وهو إذ ينبه إلى ذلك كله إنما ينبه إلى الأساس المتين الذي يكون خير عون للإنسان في مسيرة البناء والانبعث من جديد والنهضة...."^(٢)

يقول الشيخ كولن مؤكداً على ضرورة الرجوع إلى هذين المنبعين: " لا ينبغي أن يقف هذا الرجوع إلى هذه الأصول عند مجرد اجترار ما قدمه السلف، بل لا بد للأجيال الحالية من أن تسجل حضورها"^(٣).

بعبارة أخرى إن الشيخ فتح الله ينظر إلى عمق التمثيل لقيم الوحي، يقول: " يمر العالم الإسلامي كله - في عصره القريب الأخير- بأشد أزمة واجهته في تاريخه، من حيث الاعتقاد والأخلاق والنمط الفكري والمعارف والصناعة والعادات والتقاليد والأوضاع السياسية والاجتماعية"^(٤).

فعند الشيخ فتح الله كولن عقيدة ثابتة أن حقائق القرآن الكريم ستقول كلمتها في المستقبل، وهو مقتنع بأن العصر الحالي هو عصر أخذ في التوجه إلى القرآن الكريم إذ يقول: " هناك العديد من

١ - عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة 'فؤاد البناء، .. بتصرف، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ، ص١٢ .
٢ - الموازين ، محمد فتح الله كولن ، بتصرف ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر ص٦٠ وما بعدها .
٣ - ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، ترجمة (عوني عمر لطفي أوغلو) ، ص:٧٩، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ط ٢٠١٣ م
٤ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

المفكرين المعاصرين الذين يرون بأن العصر القادم سيكون عصر القرآن ولو دققنا قليلاً لرأينا أن عصرنا الحالي بدأ يتجه للقرآن بسرعة أكبر مما كنا نتوقع أو نتصور. أجل.. حتى أصحاب أكثر النظرات بلادة وسطحية يستطيعون معرفة كيف أن القرآن مرتبط بالكون ومتداخل معه، وكيف أن جميع بياناته حول الوجود صائبة، فلا يملكون أنفسهم من الإعجاب بقوة تأثيرها ونورانية عالمها"^(١).

"والأهم من ذلك هو أن القرآن الكريم يعلم الإنسان حقيقة ماهيته، ويعلمه الحق والحكمة، ويعرفه بذات الله وصفاته وبأسمائه الحسنى التي تجلى بها على الوجود- كما يقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي"^(٢)، بل إن القرآن- كما يبين فتح الله- هو الكتاب الوحيد الذي يعلم الإنسان معنى الإنسان وماهيته والحق والحكمة وذات الله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى، وذلك بأدق ميزان. وليس هناك كتاب آخر يماثله في هذا الميدان أبداً. ولو طالعت حكم الأصفياء والأولياء وفلسفة الفلاسفة الباحثين عن الحق لعرفت ذلك بنفسك"^(٣).

■ يظهر هذا المنهج جلياً في تفسير الشيخ كولن لبعض آيات القرآن الكريم في كتابه "أضواء قرآنية في سماء الوجدان"-على سبيل المثال:- عند تفسيره قول الله -تقدست اسماؤه- {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}^(٤) يقول الشيخ كولن "فهمت هذه الآية الكريمة من قبل الكثيرين على أنها تشير إلى طلب الدنيا على الدوام. ولكن من يعرف شيئاً قليلاً من اللغة العربية يعرف خطأ هذا الرأي. فمن يدقق في سياق الآية وبدايتها يرى المعنى الآتي:

تقول الآية ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(٥).... أي اجعل كل ما أعطاك الله وسيلة للدار الآخرة. وفعل "وابتغ" هنا يعني شيئاً أكثر من "اطلب"، لأنه يعني: اطلب واستعمل ما آتاك الله من قلب وحس وشعور وإدراك وصحة ومال وولد... الخ- بل وحتى كل استعداداتك

١- ترانيم روح واشجان قلب، فتح الله كولن، ص٦٣، ط٥، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة.

٢- المكتوبات، بديع الزمان النورسي، ص٣٦٢، ط٦، دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠١١م.

٣- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ترجمة "أروخان محمد علي، ص١٤٢، دار النيل للطباعة والنشر، ط٥، القاهرة ٢٠٠٩م.

٤- سورة القصص: آية ٧٧

٥- سورة القصص: آية ٧٧

الفعلية والكامنة - واستخدمها في طلب الدار الآخرة. ثم تأتي الآية: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(١)...لموازنة المسألة. أجل علينا أن نضع الغد وما بعد الغد أمام أنظارنا على الدوام"^(٢)

مما سبق يتضح أن الشيخ كولن، اعتمد على القرآن الكريم اعتمادًا كليًا في مشروعه الإصلاحية، الذي يهدف إلى بناء الإنسان، ويتضح هذا في النقاط التالية :-

- ضرورة الرجوع إلى القرآن والسنة، ووضع خطة عمل لتفعيل ذلك، وهو الجانب الذي يميز الأستاذ فتح الله كولن.. فرؤيته الفكرية ومجهوده النظري لا ينفصل عن المستوى التطبيقي والحركي في مشروعه الإصلاحية بصفة عامة.
- ضرورة تأسيس الأجيال على الأسس التربوية المستسقة من القرآن الكريم. فعندما تركت هذه الأسس التربوية القرآنية وجرت النظم التربوية الأخرى التي وضعها علماء النفس وعلماء الاجتماع وجدنا جيلاً متخبطاً في حياته لا يدري أي الاتجاهين يسير، يقول الشيخ كولن "رأينا أجيالاً من الشباب الضائع الغارق في المشاكل والمضطرب في تيار الأهواء ونوازع النفس. وستبقى الإنسانية تتجرع الآلام وتعيش في الأزمات طالما كانت بعيدة عن أسس التربية القرآنية. ولكن عندما تتصادق الإنسانية مع القرآن ستفهمه وتدرك مراميها وتستسلم له فتصل إلى شاطئ الأمن والطمأنينة. أي لن تجد القلوب ولا العقول غداءها ولا مساعدتها إلا عند توجيهات القرآن وأوامره"^(٣).....
- عدم الفصل بين الجانب النظري، والجانب التطبيقي، وبين المنهج الحركي في القرآن الكريم.

١ - سورة القصص: آية ٧٧.

٢ - أضواء قرآنية في سماء الوجدان، محمد فتح الله كولن، القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر، ص٢٧٠، ط٢٠٠٣م.

٣ - أضواء قرآنية في سماء الوجدان، محمد فتح الله كولن،..بتصرف، ص٢٧٧ القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر، ط٢٠٠٣م.

المبحث الثاني

الاعتماد على السنة النبوية المطهرة .

يبرز ثاني أهم مرتكز من مرتكزات الإصلاح عند الأستاذ فتح الله وهو "السنة النبوية" التي تحتل مكانة مهمة جداً في رؤية الأستاذ فتح الله كونه الإصلاحية، نظراً لأنها - كما يرى الأستاذ فتح الله - الوجه الآخر للقرآن الكريم، والصورة المطبقة لحقيقة القرآن الكريم يقول الشيخ كولن: "كان الرسول (ﷺ) قرآناً يمشي، فكما أن القرآن المنظور تفصيل للقرآن المكتوب، وكما أن القرآن المكتوب ترميز للقرآن المنظور، فإن السيرة النبوية الشريفة هي القرآن المطبق، ولذلك يستحيل الاستغناء عن السنة والسيرة النبوية في استيعاب أبعاد القرآن الكريم الدلالية والتداولية"^(١).

إن المنهج الذي نجح الرسول (ﷺ) من خلاله في بناء رعية الصحابة الكرام، سينجح يقيناً في بناء "الإنسان الجديد" أو "جيل القرن الواحد والعشرين" وفي هذا الإطار تأتي عناية الأستاذ فتح الله كولن بسيرة الصحابة الكرام، باعتبارهم نماذج بشرية تربت في مدرسة النبوة وتلقّت أنوارها من الرسول (ﷺ)، من منطلق أن الرسول كان يربيهم إما بتلقّيهم المباشر منه، أو من خلال ما كان يقذف فيهم منه من أنوار تصيب الذين حوله فتطبعهم بطوابع خاصة، وترتقي بهم إلى المقامات النورانية العالية، وتطبع أرواحهم بالسمو والارتقاء^(٢).

ولأهمية هذا الجانب في مشروع الشيخ كولن الإصلاحي فقد أولاه عناية خاصة ..ويمكن

تقسيم هذه العناية إلى ثلاثة جوانب:-

• الجانب الأول:-

ذاتي مرتبط بطبيعة شخصية الأستاذ فتح الله، إذ جعل من السنة النبوية منهجاً شخصياً يتمثل في الاجتهاد في اتباع جميع الجوانب المتعلقة بالسيرة النبوية من خلال اتخاذ شخصية الرسول (ﷺ) قدوة يقتدي بها في جميع تفاصيل حياته. والظاهر - من خلال ما يرويّه تلامذته عنه : "أنه حريص على تطبيق السنة النبوية حرصاً لا مثيل له، وليس هذا غريباً على مربّ عاش حياته

١ - أسئلة العصر الحيرة ، محمد فتح الله كولن ، ص٣٤، ط٣، دار النيل للنشر ، القاهرة ، ٢٠١٤م .

٢ - بناء الإنسان في ضوء السنة النبوية ، آيت الله أحمد ، مجلة حراء ، عدد ٢٤ ، عام ٢٠٠٨ ، ص٣٣

كلها وقلبه متشبث بعصر الصحابة أوبما يطلق هو عليه "عصر السعادة".. "فرجل حريص على أن يتخذ تلاميذه الصحابة الكرام قدوة لهم، وأن تكون السيرة النبوية وسيرة الصحابة الكرام منهجا يحرك كل فعل وسلوك"^(١).

يقول الشيخ كولن: "إن رقي أي أمة وتقدمها مرتبط بمدى التربية التي يتلقاها أفرادها من الناحية العاطفية والفكرية والأخلاقية المستوحاة من نور الوحي"^(٢).

• الجانب الثاني:-

في مظاهر الاهتمام، هو الجانب التطبيقي للسنة والسيرة النبوية.. فاهتمام الأستاذ كولن بصورة خاصة، والخدمة بصفة عامة بهذا الجانب يتجلى على الخصوص في العمل على تنزيل مبادئ السنة في الحياة الواقعية، لأن السنة ليست مجرد مظهر احتفالي في

يقول الشيخ كولن: "السنة سواء بفضل سعة مساحتها في التشريع أو بمرورتها القابلة لتفسيرات متنوعة، لا زالت مصدراً مباركاً لا نجد له نظيراً في العطاء، في أي دين آخر أو أمة أخرى؛ فهي المصدر في التفسير أو الفقه أو المسائل الاعتقادية أو الأخلاق أو الزهد والتقوى أو الإخلاص"^(٣).

• الجانب الثالث:-

وهو الجانب المتصل بالتأليف

فلقد اهتم الشيخ كولن بالسيرة من خلال سلسلة من المحاضرات والخطب حول السنة والسيرة النبوية، وهي الخطب التي صارت أصلاً لكتاب هو اليوم من أهم كتب السيرة في العصر الحديث، وهو "كتاب النور الخالد"^(٤)، الذي يعد رؤية حركية للسيرة النبوية الشريفة .

خصص الأستاذ فتح الله في كتاب "النور الخالد" في نهاية الكتاب بملحق عنوانه "السنة النبوية ومكانتها في الشريعة الإسلامية". ونلمس في هذا الاهتمام دليلاً على أهمية هذا المكون

١ - مقابلة شخصية للباحث مع أحد أبناء الحركة في القاهرة بمقر مركز النيل للغات ، بتاريخ: ٤-٩-٢٠١٥م.
٢ - طرق الإرشاد في الفكر والحياة، محمد فتح الله كولن، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر، ص١٢٢.
٣ - ونحن نبني حضارتنا، محمد فتح الله كولن ، القاهرة ، دار النيل للطباعة والنشر ، ص٨٥.
٤ - سلسلة النور الخالد - عبارة عن جولة مباركة في آفاق السيرة الشريفة، محمد فتح الله كولن، ترجمة أروخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر .

بالنسبة للثقافة الذاتية، كما يدل في الوقت نفسه على صفاء السنة من الشوائب التي قد تطعن فيها، لكنها تدل في الوقت نفسه على الدور الذي قام به الصحابة الكرام في تدوين السنة والحفاظ عليها، والدور الذي قام به كبار العلماء الذين تربوا على السنة النبوية من خلال وضعهم للضوابط التي حصنت السنة وحمّتها من التحريف والتزوير، من خلال بنائهم لمنظومة "علم الحديث" الذي يعتبر اليوم من أكثر العلوم دقة وانضباطاً للمنهج العلمي الذي توصل إليه العقل البشري.

- إن السنة مصدر أساسي للثقافة الذاتية، ولذلك فهي تحتل أهمية كبيرة في المشروع الإصلاحية للشيخ كولن، يقول الأستاذ فتح الله كولن: "نعم، السنة سواء بفضل سعة مساحتها في التشريع أو بمرورها القابلة لتفسيرات متنوعة - لا زالت مصدراً مباركاً لا نجد له نظيراً في أي دين آخر أو أمة أخرى....."^(١)

مما سبق يتضح الآتي:-

أولاً: اهتمام الشيخ كولن - بالسنة النبوية- كان اهتماماً كبيراً وخاصاً، واهتمامه بها لم يقف عند حدود الإعجاب بل كان حريصاً على تطبيقها وتفعيلها، بدءاً بنفسه، ومروراً بكل من تلقوا على يده، وانتهاءً بجميع أفراد المجتمع. ولذلك كان الطابع الغالب على كتاب "النور الخالد" هو الإكثار من ذكر تصرفات وقصص الصحابة التي تشير إلى تأثير شخصية الرسول (ﷺ) في الصحابة.

ثانياً: سعى الأستاذ فتح الله من خلال اهتمامه بالسنة إلى تفعيل أخلاق القرآن فقد كان مطلب الأستاذ فتح الله كولن وما يزال هو الارتباط الكلي بالسنة من خلال العمل على إيجاد نماذج بشرية في مستوى الصحابة الكرام.

ثالثاً: لقد تركّز سعي الأستاذ فتح من خلال هذا الاهتمام إلى بناء "المسلم" بناءً حقيقياً، وكتاب النور الخالد هو أداة من أدوات تحقيق ذلك.

١ - أشواق النهضة والانبعاث الحضاري، د. محمد حكيب، بتصرف، ص ٢٠١، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، القاهرة ٢٠١٣م، ٢٠٢، ٢٠٣.

المبحث الثالث

الجمع بين الأصالة والمعاصرة .

الجمع بين الأصالة والمعاصرة هدف سعى إليه كل الإصلاحيين الإسلاميين على مر التاريخ. غير أن أمتنا التي تتجه اليوم لاستعادة هويتها ووجودها ومكانتها بين أمم الأرض تواجه خطة يُراد بها دفعها نحو الانفعال سواء على صعيد التمسك بالثوابت أو على صعيد الانفتاح والمعاصرة.

والتجربة الإسلامية في تيار الخدمة لكون نموذج من نماذج مشاريع الجمع بين الأصالة والمعاصرة. وقد حققت بهذا الجمع مكتسبات تستحق الدراسة والنقد.

• من دعائم الإصلاح عند فتح الله كولن مساندة العصر منضبط بالوحي .

"لقد هبت رياح عاتية على تركيا أرادت أن تقلع الإسلام من جذوره وأن تحمد جذوة الإيمان ، التي كانت شعلتها هي القوة الدافعة والحارسة والحافظة لهذا البلد الذي كان يقود امبراطورية واسعة مدت جناحها على قارات ثلاث"^(١)

"كانت سنوات ما بعد إعلان الجمهورية حافلة بالأحداث المتتابة فالسلطة الحاكمة آنذاك كانت تريد أن تقلب كل شيء وأن تغير كل شيء ... عقيدة الأمة وتراثها ... عادات البلاد وتقاليدها وملابسها وأزياءها...حروف كتابتها ... أعيادها وافراحها وأيام عطلتها"^(٢)

في ظل هذه الحياة ظهر أناس وضعوا على عواتقهم إحياء النبتة التي جفت ، بشق قنوات تحمل الماء إلى عروقها فتعيد إليها اخضرارها من جديد .

ركز الشيخ كولن علي قضايا عصره وعالجها من منظور الوحي والفهم للواقع ، وفي ظل هذا الإطار يتحدث الشيخ كولن عن الروح التجديدية التي يريد بعثها في الأمة من جديد قائلا في كتابه (ترانيم روح وأشجان قلب) : "الإسلام ثابت من جهة ومتغير ومتطور من جهة أخرى فهو كشجرة باسقة أصلها ثابت وفرعها في السماء قد ضربت جذورها في الأعماق تعجز أي عاصفة مهما اشتدت عن اقتلاعها ، وأغصانها ممتدة للجهات الأربع تعطي في كل فصل

١ - موقف الدين من العلم ، علي فؤاد باشكيل ، ترجمة ، أروخان محمد علي ، دار الوثائق ، الكويت ، ص ٢٣

٢ - سعيد النورسي رجل الفكر والقُدوة، أروخان محمد علي....بتصرف ، شركة النسل ، استانبول ، ١٩٩٥م ، ص ١٤٥

أثمار جديدة أي هو كشجرة طيبة تأتي أكلها كل حين بإذن ربها وكلمة أتى الإسلام أكله فتح عهدًا جديدًا" (١).

ويقول الشيخ كولن في موضع آخر " الإسلام حركة في الحياة بكل مساحتها من المعتقدات إلى أنشطة الفن والثقافة والرياضة... وذلك هو أهم باعث لحيويته وعالميته الخالدة" (٢).
وبذلك فإن الشيخ كولن يؤمن بضرورة توجيه العالم الإسلامي جميعًا إلى فهم قضايا عصره ومسايرة العصر من خلال معطيات الوحي .

ضوابط الجمع بين الأصالة والمعاصرة في فكر الشيخ كولن

١- مسايرة العصر :

إن روح التجديد عند الشيخ كولن تعني ضبط الحياة بضوابط الدين وتفسير الأمور المتعلقة بالزمان حسب مدارك العصر، مع التقيد بالكتاب والسنة. فلا بد أن يتعرف المسلم بهذا العصر وبمعانيه وتفسيراته، وأن ينجح في ذلك ويتلاءم معها يقول الشيخ كولن : " إن مقتلنا في انحسارنا داخل قشورنا، واستغراقنا في الانزواء والدنيا تسير سابلة الزمام، وهذا يعني أننا بدلا من أن نولي ظهورنا لمستجدات العصر ومستحدثاته من صحف ومجلات ووسائل الإعلام، ينبغي علينا أن نؤنس وحشية الصحف والمجلات والراديو والتلفزيون من جهة، ونرشد بها الذين انحرفوا عن جادة الطريق وسبيل الحق من جهة أخرى" (٣).

٢- إحياء الماضي ومزجه بالحاضر :

يرى الشيخ كولن : " أن الإصلاح لن يتحقق إلا إذا قيّمنا الدنيا تقييماً صحيحاً بعقل موضوعي يتصور الأمس واليوم والغد معاً وعلى صعيد واحد..... ولن نستطيع كما يرى الشيخ كولن أن نقوم بإصلاح جديد إلا إذا جلبنا عناصر الغد من ماضينا وأن نخلطها في تراث ثقافتنا الذاتية بنور الدين وضوء العلم....." (٤).

١- ترانيم روح واشجان قلب، محمد فتح الله كولن، ترجمة أروخان محمد علي، ص٣٩ دار النيل للطباعة والنشر، طه القاهرة ٢٠١٢م.

٢- ونحن نبني حضارتنا، محمد فتح الله كولن، ترجمة عوني عمر لطفى أوغلو، ص٤١، دار النيل للطباعة والنشر، طه ٢٠١٣م.

٣- ونحن نقيم صرح الروح، محمد فتح الله كولن، ترجمة عوني عمر لطفى أوغلو، ص٣١ دار النيل للطباعة والنشر، طه القاهرة، ٢٠١١م.

٤- المرجع نفسه..... مختصر، ص١٤٨.

٣- الإهتمام بالجانب الروحي في الإنسان :

يؤكد الأستاذ فتح الله كولن على أن من أساسيات الإصلاح في الفكر الإسلامي ضرورة الإهتمام بالجانب الروحي في الإنسان وخاصة شباب الجيل الحاضر، يقول الشيخ كولن: " أن الجيل الخاوي من الروح لا يشبعه أيّ فكر ولا إصلاح ، ويقول في هذا الصدد " إن حركة حياتنا الدعوية والفكرية هي حياتنا الروحية وسلامة مستقبلنا البعيد والقريب"^(١)

فالإنسان عبارة عن عنصر روحي في قالب ماديّ، إذا فقد جوهره الروحي صارت حياته خُلُوًا من الحياة وصار قلبه خُلُوًا من الإنسانية.

وفي هذا يقول كولن : "إنَّ في الإنسان قوى معنويّة وطاقات فعّالة ، إذا عرفها واستطاع فكّها من عقالها فسوف تدوِّي في الآفاق "^(٢)

٤- مراعاة خصوصية كل عصر وشخصيته :

يقول كولن : "كل يوم جديد هو عالم خاص بذاته... لذلك لا نريد أن نكرر مكتسباتنا القابعة في اللاشعور كشيء قديم تمامًا، بل بإضافة شيء من العمق إليها حسب متطلبات الأحوال والظروف"^(٣).

فمن يستقرئ فكر الشيخ فتح الله ، يجد أنه ينطلق من روح التراث ومن الأصول الثابتة ومن اقتناع كلي بأن الإنسان يحى بروح الماضي الممتد فيه دون إرادته، إلا أنه يرى " ضرورة أن يكون الإنسان ابن عصره ووقته، ويرى ضرورة أن يطبع عصره بشخصيته، فجزوره الثقافية والفكرية وإن كانت ممتدة في الزمان، لا ينبغي أن تمنعه من طبع وجوده في زمنه بطابعه الخاص الذي هو طابع العصر"^(٤).

١ - تجديد الفكر الديني عند الشيخ محمد فتح الله كولن، د. هدى محمود درويش، مجلة التصوف الإسلامي العدد ٢١٧، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ١٥.

٢ - تجديد الفكر الديني عند الشيخ محمد فتح الله كولن، د. هدى محمود درويش، مجلة التصوف الإسلامي العدد ٢١٧، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ١٥.

٣ - ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، القاهرة ، دار النيل للطباعة والنشر:ص:٧٩.

٤ - تجديد الفكر الديني عند الشيخ محمد فتح الله كولن، د. هدى محمود درويش، مجلة التصوف الإسلامي العدد ٢١٧، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ١٦.

٥- ضرورة ارتباط الذات بالتراث:

وفي هذا الإطار تبرز قضية من القضايا التي أثارت الكثير من النقاش والجدل بين تيارات فكرية ثقافية مختلفة، وهي قضية العلاقة بالقديم والتراث، وهنا نتساءل، كيف ينبنى التعامل مع القديم، هل باستحضاره في العصر وجعله المصباح الذي ينير طريق الحاضر والمستقبل؟ أم تجاهل هذا القديم والانطلاق في بناء الواقع بناء خاص لا يتدخل الماضي فيه كيفما كانت طبيعة هذا الماضي؟.

لقد رأى بعض المفكرين أن هذا الماضي كان سبباً في تأخرنا، فقاطعوه كلية ومضوا يطلبون منظومة غريبة عن الذات، وولّوا قبلتهم جهة من يمثلون النموذج الحضاري الأقوى حسب زعمهم. "وكان هؤلاء الذين تبّنوا هذا النموذج قد ألغوا دور الدين في الحياة، وحصروه في مجرد كونه مجرد قضية شخصية وذاتية..... تشكلت هذه عندما بدأت الذات تخشى على وجودها فكان عليها أن تتحرك لكي تمنع ما قد يقضي عليها، وتمنع ما قد يتحكم في كيانها، وقد ولّد هذا الإحساس في الماضي القريب عدة تيارات.....^(١):"

- تيار الاحتماء بالتاريخ وبالدين وسد الباب دون ثقافة الآخر.
- تيار الاحتماء بالتاريخ وبالدين والانفتاح على ما فيه فائدة في ثقافة الآخر.
- تيار الذوبان في الآخر، أو التيار العلماني.
- تيار قومي باتجاهين: القومي الديني، والقومي العلماني.

يقول الشيخ كولن: "لقد دخل الزمن في بعد آخر تبدو فيه قيمنا الثقافية ويبدو فيه أصل هذه القيم عنصراً قادراً على أن يكون محرّكاً فعّالاً يمضي بمنظومة التفكير إلى أبعد حد ممكن، وهو أن يكون الإسلام وميراثنا الثقافي - كما يسمّيه "فتح الله كولن" - (حامل بلسم لهذا العصر)...."^(٢)

■ مما سبق يتضح أن الشيخ محمد كولن، ربط بين الماضي والحاضر بأسس ثابتة متينة مستمدة من الوحي الشريف، واشترط الشيخ أن من يريد التجديد والتطوير عليه أن يراعي قضية الذات ولا يجعلها كما مهملاً ولا ينجح إلى المادة بل يوازن بين الروح والمادة، وكذا لا يغفل متطلبات العصر مرتدياً ثوب التراث الأنيق الذي يتناسب مع الزمن .

١ - الدولة العثمانية عوامل النهوض، وأسباب السقوط،.. مختصر، محمد علي الصلابي، ص١١١، ط١.

٢ - ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ص: ٧٩.

المبحث الرابع إصلاح الفرد والمجتمع

توطئة :-

تشير تجارب الإصلاح والتجديد على امتداد العالم الإسلامي المعاصر إلى وجود عدد من الرؤى الاجتهادية، كما تشير إلى أن كلاً منها له زاوية اهتمام رئيسية تختلف عن زاوية اهتمام الرؤى الأخرى، وله مزاياه وإنجازاته، كما أن له نواقصه وإخفاقاته. من هذه الرؤى ما يركز على أن الإصلاح يبدأ من أعلى، وأن إصلاح السلطة السياسية مقدم على الإصلاح الاجتماعي والتربوي، في مقابل رؤية أخرى تؤكد أن البداية الصحيحة يجب أن تكون من القاعدة الاجتماعية، ويجب أن تركز على التربية والتنشئة والتنمية الروحية والأخلاقية. وهناك رؤية يعتقد أصحابها أن الإصلاح رهن استخدام القوة الخشنة في مواجهة عوامل التأخر، وأسباب التدهور سواء كانت داخلية أم خارجية؛ أي إنه يجب أطر الناس على الإصلاح أطرًا، في مقابل رؤية أخرى يعتقد أصحابها أن الإصلاح لا يؤدي ثماره إلا بالوسائل السلمية التدريجية طويلة النفس.

• لقد أولى الأستاذ "كولن" بناء الإنسان عناية تامة، فحديثه عن الإنسان وسبل إصلاحه وتربيته، يفوق في كثير من الأحيان حديثه عن المشكلات الإنسانية وسبل حلها؛ لذا كان الإنسان محطَّ عناية الأستاذ كولن وفكره شاغل، إذ يقول: "إن التخبط الحادث في عصرنا يكمن في السعي لإزالة المشكلات الاقتصادية والسياسية والإدارية والاجتماعية قبل الوصول إلى حل للمشكلات المتعلقة بذات الإنسان، بيد أنه لا يمكن إزالة هذه المشكلات ما لم يصبح الإنسان بالمستوى الذي حدده القرآن الكريم".^(١)

يقول الدكتور "عبد الحلیم عویس" في كتابه (فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا)^(٢): "إن تشخيص الوضع الراهن المعاصر للمجتمعات والنظم العربية والإسلامية يبين كيف أن جهود الإصلاح والتجديد تعاني ضعف الانسجام والتنسيق بين المداخل الأساسية

١- لمسات في إصلاح المجتمع، محمد فتح الله كولن، كان هذا الكتاب عبارة عن حوليات ومقالات للشيخ كولن، جمعها ورتبها، د- عبد الله مصباح، ص- ١٥،

٢- فتح الله كولن، رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة، عبد الحلیم عویس، ط٤، ص١١١ وما بعدها، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر.

للإصلاح في العالم الإسلامي: المدخل السياسي، والمدخل التربوي-الاجتماعي، ناهيك بالطبع عن المدخل العقدي. ومن ثم، فإن البحث في تفسير هذه الظاهرة (أي عدم الانسجام بين هذه المداخل) والبحث في النماذج التي تجاوزت هذا الوضع أضحي أمرًا ملحًا، وتتضح هنا دلالة اختيار نموذج حركة الشيخ فتح الله كولن للرصد والدراسة....."^(١)

اكتسبت حركة الشيخ فتح الله كولن دلالاتها الواضحة بسبب تميزها لعملية الإصلاح

في العالم الإسلامي، من خلال ركيزتين رئيسيتين

أولاً: القدرة على ترسيخ الفكر الإسلامي وإكسابه حركية فعّالة على أرض الواقع، وينطلق فكر كولن وحركته من منطلقات رئيسية مهمة ساعدته على الفاعلية بدون صدام مع محيطها سواء المحلي أو الخارجي.

" ينطلق كولن من الفرد في إطار عملية شاملة لبناء الإنسان، وكأنه انطلق من الخاص للتأثير في العام، بدلاً من المحاولات المفضية للربط بين العام والخاص أو الفصل بينهما، فالهدف ليس السيطرة على العام؛ بل التأثير عليه من منطلق بناء مواطن صالح".^(٢)

إن اختيار حركة كولن للتعليم وتربية الإنسان على القيم الإسلامية لتحقيق "مهمة التبليغ"، التي يعتبرها الشيخ كولن المهمة الأساسية لكل مسلم في الحياة... "فقد مثل المجتمع محور اهتمام حركة الشيخ فتح الله كولن، فمنه وإليه تحركت ونشطت دعوته. وهو الأمر الذي يعد مصدر قوة واستمرارية وفق رؤية تصالحية غير تصادية".^(٣)

ثانياً: القدرة على تبني خطاب تصالحي توافقي يتخطى ويتجاوز الصراعات الفكرية والسياسية والمجتمعية. وارتبط ذلك بتقديم نظرة تصالحية ترى أبعاد التكامل، وتسعى لمعالجة التناقضات إن وجدت بتدرج وسلاسة وعقلانية.

١- فتح الله كولن، رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة، عبد الحليم عويس، ص ١١٢، ط٤، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر .
٢- فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا، عبد الحليم عويس، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ص١٢٣.
٣- لمسات في إصلاح المجتمع، محمد فتح الله كولن، ... بتصرف، كان هذا الكتاب عبارة عن حوليات ومقالات للشيخ كولن، جمعها ورتبها، د- عبد الله مصباح، ص ١٥ .

"تعد الامتدادات الخارجية للحركة أكثر بروزًا من النطاق التركي للحركة، إلا فيما يتصل بالإطار السياسي والاجتماعي التركي -الحديث وفي جذوره التاريخية- الذي يفسر ظهور ونجاح هذه الحركة، باعتبارها حركة اجتماعية مدنية إصلاحية ذات مرجعية إسلامية"^(١).

"إن إصلاح أي أمة لا يكون بالقضاء على الشرور؛ بل بتربية الأجيال تربية صحيحة وبتثقيفها ثقافة صحيحة ورفعها إلى مستوى الإنسانية الصحيح، وعندما تبذر البذور التي هي عبارة عن خليط من الشعور الديني والتاريخي والأعراف في أرجاء الوطن؛ فسترى نباتات وشتلات عدة وهي تنبت في موضع كل شر"^(٢).

وقد اعتمد الشيخ كولن في إصلاح الفرد والمجتمع على ركزتين أساسيتين:

أولاً- النضوج والوعي التربوي:

يقول الشيخ كولن:

"المربيات والمربون الذين لم يتلمذوا على يد خبير ولم يتلقوا التربية من مصدر موثوق يشبهون العمي الذين يحملون المصابيح لإنارة الطريق أمام الآخرين، وعدم التربية المشاهدة عند الصغار تدل على عدم صفاء النبع الذي يتلقون منه التربية، وعدم التوازن الموجود في العائلة من ناحية التصرف أو الفكر ينعكس في روح الطفل ويتضاعف هناك ومنه يسرى طبعًا إلى المجتمع....."^(٣)

ثانيًا - عدم اغفال دروس التربية والثقافة الدينية في المدارس:

يقول كولن: "يجب أن نولى أهمية لدروس التربية والثقافة الدينية في المدارس بقدر الأهمية المعطاة للدروس الأخرى على الأقل حتى تتربى أجيال قوية في خلقها وسلوكها وروحها فيحولوا ربوع هذا الوطن إلى جنة.... والتعليم شيء والتربية شيء آخر فمن الممكن أن يكون أكثر الناس معلمين ولكن القلة فقط منهم يستطيع أن يكون مربياً"^(٤).

١ - لمسات في إصلاح المجتمع، محمد فتح الله كولن، ... بتصرف، كان هذا الكتاب عبارة عن حوليات ومقالات للشيخ كولن، جمعها ورتبها، د- عبد الله مصباح، ص- ٣٣ .

٢ - فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا، عبد الحليم عويس، القاهرة، دارالنيل للطباعة والنشر، ص-١٢٣

٣ - محمد فتح الله كولن: الموازين أو أضواء على الطريق.....مختصر ص٧٧-٨٣ (القاهرة: دار النيل، ٢٠١٢).

٤ - المرجع السابق نفسه، نفس الصفحة .

ثالثاً- ترشيد الجهد المبذول من مؤسسات الدولة وضخه في ميزانية التربية والتعليم :

يقول كولن: "على كل أمة تريد ضمان مستقبلها توجيه بعض عنايتها إلى تربية وتنشئة أطفالها الذين سيكونون رجالها في المستقبل بدل تبذير طاقتها وسنواتها هنا وهناك ومع أن الكثير من الجهود المبذولة هنا وهناك ستذهب أدراج الرياح إلا أن أي جهد مبذول في سبيل تربية الأجيال يكون مصدرًا لا ينضب من الخير"^(١).

ثم يؤكد الشيخ كولن أن نجاح أي أمة ، وامتلاك أبنائها مستقبلًا باهرًا لا يتحقق إلا بالفرد الصالح فيقول: "فعلى الذين يرغبون معرفة مستقبل أي أمة والتنبؤ به القيام بالنظر إلى التربية المعطاة إلى أفراد تلك الأمة عند ذلك يستطيعون التأكد بأنهم يستطيعون هذا وأن أحكامهم ستكون صحيحة مئة بالمئة"....."^(٢)

إن جهود الأستاذ كولن في تربية أجيال الخدمة الذين يصلحون مؤسسات الدولة ويشاركون في النهضة العلمية والتعليمية وإشاعة العدل والتنمية وتخفيف وطأة الفقر وإقامة المشاريع الاقتصادية الضخمة ، ويقومون بأكبر حركة حوار مع الآخرين من أجل سعادة البشر امتثالاً لقوله تعالى { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } "^(٣) ، وقوله تعالى { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } "^(٤).

لقد استوعب فكر الأستاذ فتح الله كولن ، أن إصلاح الأوطان لا يمكن أن يتم إلا بالعلم والمعرفة الراقية المبنية على القيم الأخلاقية للفرد ، فدرج في سبيل مشروعه كل إمكاناته، وضحى من أجل تحقيقه على امتداد فترات الأزمات السياسية بكل عزيز وغالٍ.

لقد شعر الشيخ كولن أن المجتمع بحاجة إلى نقلة نوعية ، وأن الفرد المسلم الواعي بأمور دينه هو طوق النجاة لهذا المجتمع بل هو السفينة التي يعبرها إلى بر الأمان .

١ - الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، ص ٨٨.م.س.

٢ - المرجع السابق بتصرف ، ص ٩٠.

٣ - سورة (آل عمران) ايه ، ٦٤.

٤ - سورة (آل عمران) ايه، ١٣٩.

❖ لقد جاء الحديث عن تلك المسألة متكرراً في كتابات الشيخ كولن فمثلاً: ينادي الإنسان إلى تقوية إرادته، ويعدها عاملاً رئيساً ضمن عوامل أربعة من أجل الارتقاء إلى حياة القلب والروح، والخطوة بالسير في تلال القلب الزمردية وهي:

- تجفيف منابع الميول الشريرة منهج (التخلية).
- تقوية الإرادة بإثارة الميول الخيرة وتحفيزها منهج (التحلية).
- الثبات والاستمرار.

ومن يبحث في سيرة سيدنا رسول الله (ﷺ) وتأسيس دولة الإسلام الأولى لوجد أن النبي (ﷺ) بدأ مع الفرد في مكة ثم أمرهم بالهجرة فكان خير لبنة ودعامة لدولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة .

المبحث الخامس

محاربة الجهل والفقر والمرض

توطئة:-

يهتم هذا المبحث بمحاولة تقديم صورة شاملة قدر الإمكان لبرامج ومهام مكافحة الفقر في تركيا، مع مراعاة سياق التجربة من جهة البيئة الثقافية والاقتصادية والسياسية والمؤسسية المحيطة بهذه المشروعات والبرامج. وتنقسم الدراسة إلى جزأين أساسيين: الأول منها يعرض أبعاد الرؤية التنموية لدى الشيخ محمد فتح الله كولن، والتي تظهر في أفكاره ونمط حركته والمشروعات المتنوعة التي تنبثق عنها. فإنها وإن كانت في بعض مؤسساتها متخصصة في محاربة الفقر، فإنها قبل ذلك وبعده تؤسس لتنمية إيمانية عمرانية مستدامة.

ويعرض الجزء الثاني من الدراسة بعض برامج ومشروعات مكافحة الفقر في تركيا، وذلك

في أربعة محاور:

أولها: التعرف على البرامج والأنشطة الخاصة بمحاربة الفقر سواء على المستوى المحلي أو الدولي، وثانيها: التعرف على كيفية تنفيذ هذه الأنشطة على أرض الواقع المحلي والعالمي، بينما يتمثل ثالث هذه المحاور في: أنشطة جمع التبرعات والتعرف على تنوعها وآلياتها، ورابعها: محور جهود المنظمة للتعريف بها وبأنشطتها بغرض جمع التبرعات. وسيتم تناول هذه المحاور والنقاط المتفرعة منها بمراعاة السياق التركي العام.

حركة الشيخ كولن لها العديد من المؤسسات والمشروعات التي وإن كانت تحقق أهدافاً أخرى غير محاربة الفقر - بمعناه الضيق - مثل محاربة الجهل أو الفرقة، فإنها تقوم بمحاربة الفقر بمعناه الواسع، وهو ما نقصده في هذا البحث فالفقر يشمل الحرمان المادي والمعنوي سواء الروحي أو الفكري، وبالتالي فإن أي جهود لمحاربة الجهل أو المرض أو الفرقة تصب في جهود محاربة الفقر بمعناه الواسع.

ولقد أسست حركة كولن مؤسسة متخصصة للأعمال الخيرية والإغاثة تسمى " هل من أحد؟"^(١) تقوم بالعديد من المشروعات في تركيا وخارجها.

"تأسست جمعية" هل من أحد؟" الخيرية في عام ٢٠٠٤م في تركيا كجمعية غير هادفة للربح . وتستمد الجمعية اسمها من اسم لبرنامج تلفزيوني في قناة درب التبانة والذي كان يغطي أحداث زلزال وقع في عام ١٩٩٩ في منطقة مرمرة وقتل حوالي ٣٥ ألف تركي"^(٢). كان البرنامج يحشد الجهود ويجمع التبرعات لضحايا الزلزال.

"وللجمعية الآن حوالي (٨١) فرعاً في أنحاء تركيا، وفي خارج تركيا لها تواجد في البلدان الأوروبية التي بها جالية تركية كبيرة مثل ألمانيا وهولندا وفرنسا"^(٣).

"وقد تم تأسيسها كجمعية خيرية للمساعدة ولذلك فهي تقوم بوظيفة الجسر بين المتطوعين وذوي الاحتياجات، وهي لا تستهدف الربح فهي قائمة على أساس التطوع والتضحية، وتستهدف الجمعية الحد من الفقر أو على الأقل أن ترفع من مستوى المعيشة للفقراء....."^(٤)

المحور الأول: البرامج والمهام

يجب في البداية تصنيف البرامج والأنشطة والمهام وفقاً للعديد من المعايير بغرض تحقيق مزيد من العمق في المقارنة والتحليل، فهناك أولاً: معيار بناء القدرات، سد الاحتياجات، بمعنى " هل يصب البرنامج أو المهمة في خانة بناء قدرات الفقير أو المحتاج بهدف نقله من حالة العوز والاستهلاك إلى حالة الاستغناء والإنتاج؟، وهو ما درج على تسميته بالمشروعات والأنشطة ذات التوجه التنموي، وذلك مثل الأنشطة المرتبطة بالتعليم والصحة والمسكن والبنية الأساسية. وإتاحة التمويل بشكل عام أم أن البرنامج أو المهمة تصب في خانة سد الاحتياجات

١ - أطلق الشيخ كولن هذا المسمى بنفسه وكان يرحوا بذلك تحفيز الراغبين في أبواب الخير .(المصدر :الأستاذ نواز صواش

المشرف العام على مجلة حراء ،،احد تلاميذ الشيخ المقيمين في القاهرة)

٢ - مكافحة الفقر، المتطلبات والغايات، حركة فتح الله كولن أمودجا، د عمار جيدل ص٤٨٨^٢ القاهرة ، دار النيل للطباعة والنشر

٣ - المرجع السابق ، ص٤٨٥

٤ - المرجع نفسه، نفس الصفحة .

الحالية (قصيرة الأمد) للفقير مثل المعونات الموسمية (شنطة رمضان، بطانية الشتاء، لحوم الأضاحي).^(١)

وثانياً: هناك معيار الاستمرارية والانقطاع، بمعنى هل تتكرر هذه البرامج بشكل دوري طوال العام، أم أن هذه المهام تنفذ لمرة واحدة فقط . وثالثاً: من الناحية الجغرافية إلى برامج ومهام محلية ودولية .^(٢)

أولاً - مشروعات وبرامج بناء القدرات :

وتشتمل على أنشطة تقديم الخدمات التعليمية والصحية والمسكن وإتاحة التمويل، ويمكن تفصيلها في التالي:

• الخدمات التعليمية:

يعتبر هدف محاربة الجهل أحد أبعاد فكر الشيخ فتح الله كولن، وبالتالي فإن حركة بناء المدارس ومراكز التعليم والمساعدة وبيوت الطلبة وتقديم المنح الدراسية للفقراء وتقديم المساعدات المدرسية مثل الأدوات والملابس يعد انعكاساً لهذه الفكرة المحورية.

• بناء المدارس والمؤسسات التعليمية:

تهتم الحركة ببناء المدارس بشكل كبير يظهر في عدد المدارس التي تم بناؤها والتي تربو على الألف مدرسة في تركيا والعالم. ويمكن القول بأن فلسفة التعليم في هذه المدارس التي تعتمد على الفهم العميق لمنجزات العصر وعلومه مع التخلق الرصين بأخلاق الإسلام تعد أحد أبعاد المحاربة الهيكلية للفقير.

" هذه المدارس تستقبل نسبة تتراوح من عشرة إلى عشرين في المائة من طلبتها من الطلبة الفقراء عن طريق المنح الدراسية التي توفرها الحركة عن طريق رجال الأعمال في منطقة المدرسة . لكن يلاحظ أن نشاط بناء المدارس لا يحظى باهتمام كبير لدى جمعية "هل من أحد؟" والتي بنت مدرسة واحدة في مركز شا مدني التابع لمحافظة "حاقا غليكيا شرق تركيا"، بالإضافة إلى قسم

١ - للمزيد حول أنشطة وبرامج مكافحة الفقر انظر، الفقر في الوطن العربي، تحرير أحمد السيد النجار، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة ٢٠٠٥ م..

٢- مكافحة الفقر، المتطلبات والغايات، حركة فتح الله كولن أنموذجاً، د. عمار جيدل ص ٤٨٨، القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر

داخلي للمدرسين المغتربين نظراً لعدم وجود مدرسين محليين بهدف ترغيب المدرسين في المكان، وتم تسليمها لوزارة التربية والتعليم التركية^(١).

وفي خارج تركيا قامت مؤسسة "هل من أحد؟" ببناء إحدى عشر مدرسة في باكستان ومدرسة واحدة في بنجلاديش ومدرسة في دارفور وبورما. كذلك، لدى حركة كولن العديد من المؤسسات التي تكمل العملية التعليمية مثل المراكز التعليمية التي تساعد الطلبة في اجتياز الامتحان المركزي للجامعات بالإضافة إلى المراكز الثقافية والجامعات، وهي تبلغ آلاف المراكز المنتشرة في تركيا وخارجها^(٢).

وتساهم هذه المراكز أيضاً في مساعدة الفقراء على رفع مستواهم العلمي، ومن ثم بناء قدراتهم وتمكينهم من تجاوز الفقر، وبالنسبة لهذا النشاط فلقد "أنشأت الجمعية مراكز تعليمية (خصوصاً في جنوب شرق تركيا) لتقديم مساعدات تعليمية مجانية للطلبة الفقراء. وقدمت الجمعية خدمات تعليمية لأكثر من عشرين ألف طالب وذلك بمساعدة المتطوعين في المناطق المعنية....."^(٣).

• تقديم المنح التعليمية للفقراء :

تعتبر أحد الأنشطة الرئيسية لحركة كولن تقديم المنح الدراسية للفقراء في المدارس الخاصة المتميزة بغرض تمكينهم من رفع مستواهم عن طريق التعليم، "ويستوعب هذا النشاط جزءاً كبيراً من أنشطة الحركة وتمويلها، ومن هنا يمكن اعتباره نشاطاً من أنشطة محاربة الفقر بالمعنى التنموي، وبالإضافة لذلك تقوم جمعية "هل من أحد؟" بتقديم منح دراسية للطلبة المحتاجين في مسار مواز لمسار الحركة ككل"^(٤).

١- مكافحة الفقر، المتطلبات والغايات، حركة فتح الله كولن أنموذجاً، د عمار جيدل ص٤٨٦ القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر

٢- المرجع السابق، نفس الصفحة.

٣- الكلمة الافتتاحية للشيخ كولن، كلمة مكتوبة ألقاها الأستاذ نواز دصواش المشرف العام على مجلة حراء، في مؤتمر القاهرة الدولي بجامعة الدول العربية، ١٩-١٠ أكتوبر ٢٠٠٩م.، ونشرت هذه الكلمة في افتتاحية مجلة حراء، العدد ٢٣، شهر رجب، لعام ٢٠١٠م.

٤- مكافحة الفقر، المتطلبات والغايات، حركة فتح الله كولن أنموذجاً، د عمار جيدل ص٤٩٨ القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر.

• الخدمات الصحية :

يعتبر توفير الخدمات الصحية أحد متطلبات محاربة الفقر، فعن طريق التغلب على أي عوائق صحية تحدث للإنسان يمكن ضمان استمرار عطاءه واستغلاله الكامل للمكاته وقدراته، ومن ثم فإن جهود تقديم الخدمات الصحية للفقراء يساعد بشكل كبير في بناء قدراتهم وتمكينهم من الخروج من الفقر، مثال ذلك:

"القوافل الطبية: تقوم" هل من أحد؟" بتنظيم قوافل طبية إلى جميع أنحاء تركيا. وتقوم بهذا عن طريق المتطوعين من الأطباء والمرضات والصيدلة. ولقد استفاد من هذه القوافل حوالي خمسون الف شخص أغلبهم في تركيا والباقي في بعض الدول الإفريقية وباكستان وبنجلاديش. وتركز حملاتها الطبية على الفحوص العامة وتقديم المساعدات الطبية من الأدوات للمستوصفات والمستشفيات والأدوية للمرضى والمستوصفات والمستشفيات. وفي السودان، قامت بعمل فحوص طبية لأكثر من ستين ألف "مريض" وأجرت الكثير من عملية مياه بيضاء، بواسطة أطباء وممرضين أتراك....."^(١)

توفير التمويل لأصحاب المشاريع الصغيرة: يعد توفير التمويل أحد المتطلبات الهامة لتمكين الفقراء من بداية مشروعات مستقلة تلصهم من ربقة الفقر وتضعهم على بداية طريق التحرر والإنتاج.

"لدي حركة كولن بنك يسمي بنك آسيا يقوم بتقديم الحلول المالية الإسلامية التي تمكن أصحاب المشروعات أو أصحاب الأفكار من تنفيذها على أرض الواقع بمساعدة البنك".^(٢)

المحور الثاني: تنفيذ البرامج:

من المهم التعرض لبعض القضايا الهامة في تنفيذ المشروعات والبرامج بغرض عرض أشمل لهذه البرامج وآليات تنفيذها، ومن هذه القضايا طريقة العمل من خلال المكاتب والفروع، والمتطوعين وإدارة العمليات الدولية.

١ - لمسات في إصلاح المجتمع ، محمد فتح الله كولن ، كان هذا الكتاب عبارة عن حوليات ومقالات للشيخ كولن ، جمعها ورتبها ، د- عبد الله مصباح ، ص ٥٣ .

٢ - فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة، عبد الحليم عويس^٢ القاهرة ، دار النيل للطباعة والنشر ، ص١٥٤ .

• المكاتب والفروع

"تعمل" هل من أحد؟" في تركيا من خلال سبع وعشرين فرعاً داخل تركيا، ولديها مكتب واحد خارج تركيا في السودان. ويتم التواصل مع "هل من أحد؟" من طرف المحتاجين مباشرة أو عن طريق البريد أو البريد الإلكتروني أو الهاتف، وبعد ذلك، تقوم الجمعية بدراسة الحالة عن طريق الأخصائيين الاجتماعيين بها وذلك بفحص البيانات التي تم تقديمها في استمارة يملأها المحتاج عند التقديم. وفي حالة الكوارث العامة تقوم الجمعية بالتحرك وتنظيم حملة فور وقوع أي كارثة".^(١)

• المتطوعون

"تعتمد" هل من أحد؟" بشكل كبير على المتطوعين لتنفيذ مشروعاتها، حيث يوجد لدى الجمعية متطوعون من جميع طبقات المجتمع المختلفة، وفي كل فترات العام، لكن يلاحظ أنها تقل في فترة الصيف خصوصاً، لكنها قد تصل إلى حوالي سبعين الف متطوع في جميع أنحاء تركيا في بعض الأوقات الأخرى".^(٢)

وتصنف "هل من أحد؟" مهام التطوع لديها إلى سبع فئات هي:

- ١ - ملاحظة الأسر المحتاجة،
- ٢ - تجهيز المساعدات،
- ٣ - توزيع المساعدات،
- ٤ - الخدمة الفعالة في وقت الكوارث،
- ٥ - الإعلان والعلاقات العامة،
- ٦ - العمل المكتبي،
- ٧ - الرعاية الصحية، وغيرها أيضاً .

١ - الكلمة الافتتاحية للشيخ كولن ،كلمة مكتوبة ألفها الأستاذ نواز دصواش المشرف العام على مجلة حراء، في مؤتمر القاهرة الدولي بجامعة الدول العربية، ١٩-١ أكتوبر ٢٠٠٩م.، ونشرت هذه الكلمة في افتتاحية مجلة حراء العدد ٢٣، شهر رجب ، لعام ، ٢٠١٠م.

٢ - المرجع السابق نفس الصفحة .

المحور الثالث: طرق التعريف بالمنظمة وأنشطتها:

"لدى "هل من أحد؟" قسم خاص للدعاية والإعلان، والعلاقات العامة. يقوم بإعداد الإعلانات من خلال التعاون بين وكالات الإعلانات والمتطوعين المتخصصين في هذا الموضوع والعاملين بالجمعية. وتستخدم "هل من أحد؟" كل الوسائل الإعلانية المتاحة للتعريف بأنشطتها مثل الإنترنت والصحف والمجلات والتلفاز والإذاعة واللوحات المعلقة في الشوارع"^(١) وتستهدف الرسائل الإعلانية من ضمن ما تستهدف زيادة الشعور بالمسئولية الاجتماعية، وحض المتطوعين على البذل والعطاء، وتشجيعهم على المشاركة في منظمات توزيع المساعدات .

"وفيما يتعلق بمصروفات التسويق والعلاقات العامة، فترتبط بحجم الحملات الدعائية وقدرة التبرعات، فيما لا يزيد عن ١٠٪ من مجموع الدخل على الأكثر"^(٢).

❖ إن الأفكار التي اقتنع بها فكر الحركة الإصلاحية لمدرسة الأستاذ فتح الله كولن اعتمدت على أسس معرفية تربوية، عمادها "أن النهضة المجتمعية الحقيقية لا يمكن لها أن تتمكن من النفوس، وأن الإصلاح التعليمي التربوي لا يمكن له أن ينغرس في القلوب، إلا إذا قام على ثلاث قواعد نظرية أساسية ومتينة، وعمل بالتوازي على جهات تربوية اجتماعية ممتدة الآفاق"^(٣):

- "الإصلاح التربوي التعليمي" لمحاربة الجهل وتنوير الجيل الصاعد معرفياً.
- "الإصلاح الاقتصادي" بتشجيع مشاريع تنمية لمحاربة الفقر.
- "الإصلاح الديني الاجتماعي" بنشر سبل المحبة ونزع فتيل الفرقة والاختلاف لرعاية الجيل الراهن.

١ - فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة، عبد الحليم عويس ، ص٥٥، القاهرة ، دار النيل للطباعة والنشر.

٢ - المرجع السابق، نفس الصفحة .

٣ - ونحن نبني حضارتنا ، محمد فتح الله كولن ، ص٨٩، ط٣ القاهرة دار النيل للنشر.

"لقد سعى كولن إلى تنشئة الجيل المنشود الذي يستطيع أن يحمل مشعل الحضارة، ويقضي على التخلف والجهل، ويدرك معاني قيِّمة ووَحدة ومصالحة الوطن لبناء أركان المجتمع التنموي الأصيل بقيمه، والمعاصر بتطلعاته نحو التقدم"^(١).

ومن خلال تبَّعي لقراءة محطات المسيرة التربوية التعليمية للحركة الإصلاحية لفكر

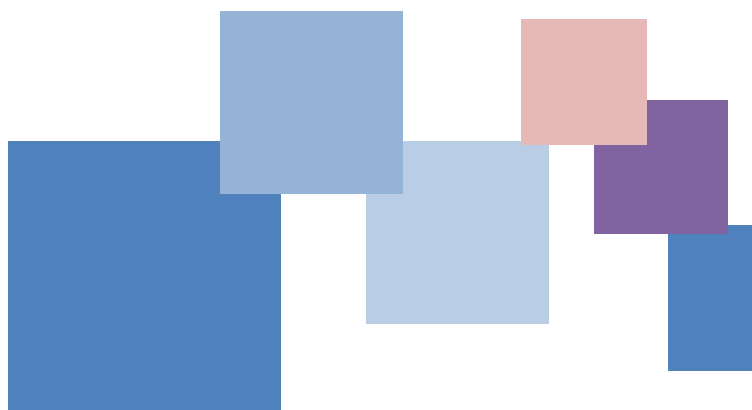
الأستاذ فتح الله كولن، أستطيع أن أحدد جهودها في المجالات الآتية:

- توعية الناس بأهمية التعليم لإلحاق أبنائهم به وتمكينهم من جودة التعليم الراقى بالصحة التربوية.
- الدعوة إلى الإنفاق على التعليم بـ "الهمة"، لأجل بناء المدارس وإيواء الطلبة وصرف أجور المعلمين.
- بناء المدارس العصرية النظامية الحرة في تركيا وخارجها وفق اعتماد منهج ناجح، في أكثر من ١٦٠ دولة.
- تطوير مناهج التعليم بشقِّيه العلمي والتربوي في مقررات الابتدائي والثانوي محضن الموارد البشرية.
- تعزيز قيم النشاط التطوعي داخل صفوف الطلاب في مدارس الخدمة، وتربيتهم على حب العمل التطوعي التسلسلي لتبادل الأدوار في النهوض بتنمية الحياة الاجتماعية العامة التي كان لها الفضل في تكوينهم وتربيتهم وتعليمهم.
- إنشاء معاهد ومؤسسات إغاثية خيرية في مختلف بقاع العالم.
- إرسال البعثات العلمية من الطلاب إلى الخارج والعناية بها دعماً بالمنح، وبيوت السكن، وتنظيمها معرفياً وتربوياً.
- إنشاء الجمعيات الخيرية الاقتصادية المساندة لمسيرة التعليم بمستوياته المختلفة في تركيا وخارجها.

١ - مريم آيت أحمد، "المفكر فتح الله كولن من هندسة الافكار إلى التخطيط الإستراتيجي" عدد خاص من مجلة حراء السنة التاسعة ٢٠١٤م، ص ١٠٦، ١٠٧.



الفصل الثالث



الفصل الثالث

وسائل الإصلاح عند الشيخ فتح الله كولن

وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث وعدة مطالب:.

المبحث الأول: التربية وأثرها الإصلاحي في فكر الشيخ كولن:

واشتمل على ثلاثة مطالب

- المطلب الأول : أثر الأسرة ، والواقع الثقافي في التربية.
- المطلب الثاني : دور الشيخ ، والمعلم في التربية.
- المطلب الثالث : المقامات والأحوال الصوفية وأثرهما التربوي.

المبحث الثاني : التعليم ودوره الإصلاحي في فكر الشيخ كولن:

واشتمل على خمسة مطالب

- المطلب الأول: العمل علي إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات.
- المطلب الثاني : الاهتمام بالمعلم -التلاميذ-المنهج.
- المطلب الثالث: أسس التربية في مدارس كولن.
- المطلب الرابع: مرتكزات العمل التربوي في مدارس الشيخ كولن.
- المطلب الخامس: نماذج لمدارس كولن الإصلاحية في الداخل والخارج.

المبحث الثالث : دور الدعوة الإصلاحي عند الشيخ كولن :

واشتمل على أربعة مطالب

- المطلب الأول: الحوار القرآني ودعوة كولن الى تطبيقه .
- المطلب الثاني: الحكمة والموعظة الحسنة .
- المطلب الثالث : ضرب الأمثال .
- المطلب الرابع: القدوة الحسنة.

المبحث الأول

التربية وأثرها الإصلاحي في فكر الشيخ كولن

- المطلب الأول : أثر الأسرة ، والواقع الثقافي في التربية
- المطلب الثاني : دور الشيخ ، والمعلم في التربية
- المطلب الثالث : المقامات والأحوال الصوفية وأثرهما التربوي



المبحث الأول

التربية وأثرها الإصلاحي في فكر فتح الله كولن

توطئة:

تعتبر التربية ضرورة مهمة من ضرورات الحياة في الوقت الراهن أكثر من أي وقت مضى؛ نظراً لتردّي الجانب القيمي لدى الأفراد على المستوى العالمي؛ حيث الانحلال الخلقى المتمثل في انتشار الجريمة والفساد، وضعف الضمير الإنساني، وتغليب المصلحة الخاصة .

لقد اهتم علماء التربية بدراسة القيم؛ ليتحدد مسار العملية التعليمية على الوجه الصحيح والسليم؛ "فالتربية وفق هذا المنحى تسعى لبناء الفرد الصالح الذي ينفع نفسه ومجتمعه، وينطلق في عمله من قيم راسخة توجّهه إلى الطريق السليم، الشيء الذي يؤهله للمساهمة في تنمية وإصلاح المجتمع الذي ينتمي إليه" (١).

فالحديث عن موضوع التربية وأثرها الإصلاحي في فكر الشيخ كولن نابع من أهميته وأثره البالغ في ضمان عملية التنشئة السليمة، وبناء نموذج المواطن الصالح المرغوب فيه.

كما تعمل الأسرة على غرس القيم ومعتقدات المجتمع في نفوس الأبناء، وتكوين اتجاهات إيجابية نحو الفرد باعتباره ثروة الوطن، ووسيلة التنمية الشاملة، ومقصد الإصلاح القويم وجوهه.

"بالإضافة إلى الدور البالغ للمدرسة في تنمية القيم؛ لكونها تجسّد أهم المحاضن أو الوسائط التي يمكن من خلالها تنمية القيم وغرسها في نفوس المتعلمين، وفي التأكيد على مبدأ القدوة الصالحة، والحرص على جعل عملية تعليم القيم والتربية عليها عملية فعّالة ومحدثة للأثر المطلوب منها" (٢).

يقول الشيخ فتح الله كولن: -" إن المدخل الطبيعي الضروري إلى إحداث إصلاح

حقيقي هو المدخل الحضاري الشامل وعموده الفقري التغيير الاجتماعي والإصلاح التربوي" (٣).

١ - من أسس التربية الإسلامية ، د عمر محمد التومي،...بتصرف، ص ٣٠. ط ٢، دار المريخ للنشر ، السعودية

٢- المرجع السابق . نفس الصفحة .

٣ - أشواق النهضة والانبعث الحضاري قراءات في مشروع الشيخ كولن، محمد حكيب، ص ١٢٢، ط ٣، القاهرة دار النيل للنشر.

إن التجربة الإصلاحية التي قادها الأستاذ محمد فتح الله كولن بلغت من الثراء والقوة والاتساع والإيجابية والتوازن... خصوصاً وأنها ما تزال تؤتي أكلها الميداني بإذن ربها في أماكن عديدة من هذا العالم وعلى مستوى مختلف الشرائح.

أولاً : معنى التربية في فكر الشيخ فتح الله كولن :

التربية: "عملية تنمية الاتجاهات والمفاهيم والمهارات والقدرات عند الأفراد في اتجاه معين لتحقيق أهداف محددة. فمن تلك الأهداف التي تعمل التربية على تحقيقها؛ مهارات القراءة والكتابة، وتنمية المعلومات والتفكير، والاتجاهات العلمية، وتفهم ما يوجد حول الإنسان من ظواهر وعلاقات طبيعية، إلى جانب تنمية قدرات الأفراد ومهاراتهم، لإيجاد الحلول لمختلف المشكلات التي يواجهونها"^(١).

فالتربية إذًا، تسعى إلى التعرف على حاجات ومشكلات الفرد والمجتمعات، وإيجاد الحلول الواقعية لها بمختلف الوسائل.

ويقول الشيخ كولن مبرزاً المسار الوحيد للإصلاح وبناء الأمة وبناء الحضارة:-

"إن إصلاح أي أمة لا يكون بالقضاء على الشرور، بل بتربية الأجيال تربية صحيحة، ورفعها إلى مستوى الإنسانية الحق. وعندما يبذر البذور المقدسة التي هي عبارة عن خليط من الشعور الديني والتاريخي والأعراف في أرجاء الوطن، فسترى نباتات وشتلات عدة وهي تنبث في موضع كل شريحة"^(٢).

ولا تشمل رؤية كولن - التربوية - المدارس وحدها، بل تشمل أيضًا الأسر والمجتمعات

والإعلام، يقول كولن: "كل المكونات الرئيسية للمجتمع يجب حشدها من أجل تعليم الشباب وإكسابهم جميع المعارف والمعلومات المفيدة، وهو شيء في غاية الأهمية؛ لأن مستقبل أي أمة أو حضارة يتوقف على شبابها"^(٣).

١- أشواق النهضة والانبعث الحضاري قراءات في مشروع الشيخ كولن، محمد حكيب، ص١٢٣، ط٣، القاهرة دار النيل للنشر.
٢- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ط الثانية، ص٧٧، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٣ م .
٣ - محاورات حضارية، بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني ، للدكتورة جيل كارول،مختصر ص٦٥، ط٢٠٠١، م١، دار النيل للنشر، القاهرة .

ثم يتحدث الشيخ كولن عن الوسائل المساعدة في تحقيق أهداف منظومة التربية التي يسعى إليها فيقول :

"إن من يريدون ضمان مستقبلهم لا يمكن أن يهملوا كيفية تعليم أطفالهم وتربيتهم، فينبغي أن تتعاون الأسرة والمدرسة والبيئة المحيطة ووسائل الإعلام بكل أشكالها لضمان تحقيق النتيجة المنشودة... وإذا لم يؤد واحد أو اثنان من هذه دوره فهذا يعني أن الشباب قد ترك ليتضارب في هذا الجو من المتناقضات."^(١)

ثانياً : أهداف التربية الإصلاحية عند الشيخ فتح الله كولن :

أولاً- "تتطلب التربية ، تكامل العديد من الاختصاصات المختلفة مع الأساليب والخبرات التربوية، وبالتالي يكون من الضروري، أن تساهم فيها كل مواد الدراسة والنشاطات التي تشرف عليها المدرسة"^(٢).

ثانياً- من أهم أهداف التربية ، "الوصول إلى رفع مستوى الإدراك والوعي البيئي لدى الأفراد والمجتمعات، وإكسابهم المعرفة والمهارات، للمشاركة في تحمّل مسؤولياتٍ في حماية المجتمع بصورة أكثر فعالية"^(٣).

ثالثاً - "من الضروري أن تعمل التربية ،على ترسيخ مفهوم العلاقات المتبادلة بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والتنموية وبين عناصر ومقومات البيئة، هذا إلى جانب الترابط والتكامل بين البيئة والتنمية"^(٤).

رابعاً - من أهداف التربية ، " أن توفر المعلومات الضرورية وإكساب المهارات اللازمة، لتفسير هذه العلاقات المتبادلة بين البيئة والتنمية، وكذلك النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من النظم التي تحقق للإنسان أمنه واستقراره"^(٥).

١ - محاورات حضارية، بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني ، للدكتورة جيل كارول،مختصر ص٦٥، ط١، ٢٠٠١م، دار النيل للنشر، القاهرة .

٢- مكابدة الفكر ، فتح الله كولن ، مجلة حراء ، السنة العاشرة (نوفمبر - ديسمبر) ٢٠١٤م، ص٩.

٣- المرجع السابق . نفس الصفحة .

٤- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ص٧٧، ط الثانية، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٣ م .

٥- مكابدة الفكر، فتح الله كولن، مجلة حراء، السنة العاشرة (نوفمبر - ديسمبر) ٢٠١٤م، ص٩

خامساً - يجب أن تعمل التربية، على "إيجاد الترابط بين الإجراءات والأساليب التربوية، وبين واقع حياة الإنسان التي تشمل - ضمن واقعها- المشكلات والقضايا البيئية في المجتمع"^(١).

إن فتح الله كولين قد وضع في حسبانته أن أيّ أمة لم ولن تحقق أي خطوة مستقبلية إلا عن طريق نجاحها أولاً في العمل التربوي، إذ كيف تستشرف هذه الأمة مستقبلها وهي لا تملك أدوات ورجال من يديرون عجلة هذا المستقبل!، أم كيف ترتفع في بنائها ولبنة أساسها ضعيفة جداً لا تتحمل عواصف الرياح وهزات الأرض.

١ - محاورات حضارية، بين فتح الله كولين وفلاسفة الفكر الإنساني، للدكتورة جيل كارول، ص ٦٦، ط ٢٠٠١م، دار النيل للنشر، القاهرة.

المطلب الأول

أثر الأسرة والواقع الثقافي في التربية

الأسرة من قديم الزمن نظام اجتماعي أو هي وحدة في النظام الاجتماعي الذي ظهر مع خلق الله للإنسان على الأرض وقد مرت الأسرة من بداية نشأتها وحتى وقتنا المعاصر بعدد من التطورات الكبيرة سواء على مستوى حجمها وهيكلها أو على مستوى العلاقات بين أفرادها أو بين الأسرة بعضها ببعض أو من حيث أهدافها ووظائفها وأدوارها.

وقد كان للإسلام أثر بارز في بناء الأسرة ووضع الضوابط والمعايير التي تنظم قيامها باعتبار الأسرة أحد أهم لبنات المجتمع الإسلامي بل هي أهم هذه اللبنة حتى إن - القرآن الكريم - ذكر حواراً يتلى إلى يوم القيامة في أمر زوجة كانت تناقش زوجها في أمر يرى البعض أنه أمر بسيط أو أمر شخصي بين زوج وزوجته في سورة كاملة وهي سورة المجادلة {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (١).

فالأسرة مسئولة إذاً عن سلوك أفرادها سواء أكان سلوكاً إجرامياً أم كان سلوكاً سويًا، وقد استطاعت الأسرة المسلمة بما لديها من آثار الإسلام وأخلاقياته أن تبث كثيراً من القيم الإيجابية التي يدعو إليها الإسلام ويحض عليها وقد بدت آثار ذلك في انخفاض معدلات الجريمة في الدول العربية والإسلامية من مثيلاتها في العالم الغربي الذي عمد منذ فترة على الانسلاخ من روابط الأسرة وضوابطها ومقوماتها الأمر الذي أدى بالناس إلى عدم الاطمئنان على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (٢).

• دور الأسرة في التربية في فكر كولن :-

تقوم الأسرة بمجموعة من الوظائف التربوية، والتي تتمثل بالتربية الجسدية، والعقلية والنفسية والاجتماعية والخلقية والدينية، وسوف أتناول توضيح هذه الأدوار بشيء من الإيجاز في هذا المطلب.

١- سورة المجادلة ، الآية : ١

٢ - سورة الروم : اية رقم ٢١.

تتجلى أول مبادئ الإسلام التربوية في الاهتمام والرعاية بثمرة الحياة الزوجية في قول الله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ}،^(١) ثم تتدرج من التزام الأب بالمبادئ والمسؤوليات وتشارك معه الأم في بعضها، منها قيامه بعملية الارشاد لعقيدة أبنائه، وتربية أبنائه على أمور الدين وأركانها وتأديبه على مكارم الأخلاق ومراعاة العدل بين الأبناء^(٢).

وهذا ما يؤكد عليه فتح الله كولن إذ يقول "إن الأسرة هي أهم ركن في المجتمع، وسلامة هذا الركن يعني سلامة الأمة والدولة، وعلى ذلك علينا ألا ندع هذا الركن الأساس في الأمة والمجتمع بلا خطة أو برنامج ألبيته؛ لأن الإهمال في هذا الركن بمثابة إهمال للأمة بأسرها."^(٣) إن بيتاً بُني على الأهواء والرغبات والأطعاع والأحقاد لا يعد بمستقبل زاهر، وسيظل هذا البيت عنصراً سلبياً أصيلاً في جسد الأمة، وقد يُجرِّج لنا أبناءاً مشردين في الشوارع؛ لأن هذا البيت لم يعتمد على حسابات دقيقة وخطة متكاملة عند تأسيسه، وهذه الخطة نطلق عليها اسم "النكاح".

ويكتسب الطفل عن طريق الأسرة الحكم على الأشياء والمواقف والخبرات، وتتأثر تلك العملية بالجو الأسري وما يسوده من تعاون واستقرار أو تشاحن واضطراب.

"وكلما كانت العلاقة القائمة بين الوالدين تستند على المحبة والتفاهم والتعاون، تأتي التنشئة الاجتماعية صحيحة وسليمة، فيتشرب الطفل القيم بطريقة صحيحة سليمة، وكلما كانت الأسرة متمسكة بدينها ومبادئه وقيمه، انعكس ذلك على تربية الأطفال"^(٤).

يقول الشيخ كولن: "إن أسرة يحفها اليمن والبركة، في بيت يتكون من أبوين مستقيمين مسلمين مؤمنين يقومان بمسؤولياتهما على أتم وجه، فلا بد إلا وأن يكون كل شيء فيها في نصابه، ويصبح هذا البيت روضة من رياض الجنة، وأحسب أن الصيحات المفعمة بالنشاط والحيوية التي

١- سورة النساء، آية رقم: ١١.

٢- نظام الأسرة في الإسلام، محمد عقله، ص ١٩، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م الناشر: مكتبة الرسالة، عمان، الأردن.

٣- الافق التربوي في بناء الانسان عند فتح الله كولن، د كريمة بو عمري مجلة حراء العدد ٤٤، السنة العاشرة، ٢٠١٤، ص ٣٦.

٤ - مدخل إلى التربية، عمر أحمد همشري، ص ٧٥، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م ١٤٢١هـ. الناشر: دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

يطلقها الصغار في هذا البيت ستكون عند الله بمثابة الدعاء؛ مقدسة وكأنها تسيحات للملائكة".^(١)

ثم يستطرد الشيخ كولن حديثه قائلاً:-

"عند حديث القرآن الكريم عن المجتمع السعيد بنسائه ورجاله يقول الله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}^(٢)

• دور الأسرة في التربية الدينية والخلقية:

القرآن الكريم يبدأ بتربية الفرد لأنه لبنة المجتمع وقيم تربيته على تحرير وجدانه وتحمله التبعة. فالقرآن الكريم يحرر وجدان المسلم بعقيدة التوحيد التي تخلصه من سلطان الخرافة والوهم وتفك أسره من عبودية الأهواء والشهوات، حتى يكون عبداً خالصاً لله وحده، يتجرد للإله الخالق المعبود"^(٣)

ويمكن بيان أوجه التربية الدينية والخلقية في فكر الشيخ كولن من خلال الآتي:-^(٤)

أولاً- مساعدة الطفل على تأكيد عقيدة الإيمان بالله عز وجل بكافة الطرق المناسبة بالكلمة الحانية والسلوك القويم والقصة الهادفة الملتزمة، والتشجيع على الصلاة وقراءة القرآن وغير ذلك. ويؤكد الشيخ كولن على هذا الجانب فيقول: "عندما يُنظر إلى الإنسان، رجلاً كان أو امرأة - وهو الذي يدور حوله كل شيء من جهود وأنظمة- باعتباره مخلوقاً يحمل كل هذه الجوانب، وعندما يتم تلبية كل حاجاته، فإنه سيصل إلى السعادة الحقيقية... وفي اللحظة الراهنة، لا يمكن تحقيق التقدم والتطور الإنساني الحقيقي فيما يتعلق بكيانه الأساسي إلا بالتربية الشاملة والتعليم"^(٥).

١ - ونحن نبي حضارتنا ، محمد فتح الله كولن ، ص ٥٧ ، ط ٣ ، ٢٠١٣ ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر .

٢ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: آية ٣٥ /

٣ - القرآن الكريم ونظام الأسرة، عبد الباقي أحمد سلامه، الطبعة الأولى، ص ٣٣، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٤ - لمسات في إصلاح المجتمع ، محمد فتح الله كولن ، كان هذا الكتاب عبارة عن مقالات للشيخ كولن ، جمعها ورتبها، د- عبد الله مصباح ، ص ١٥ ،

٥ - الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ترجمة أروخان محمد علي، ص ١٩١، ط ٩، دار النيل للنشر، القاهرة ٢٠١٣م.

ثانياً- مساعدة الطفل في تمثل القيم والحقائق والمبادئ الإسلامية وإمداده بالخبرات الاجتماعية المثيرة له والتي تضيف على خبرته قيماً وحقائق جديدة في إطار إسلامي.

يقول كولن: "وبما أن الحياة" الحقيقية" لا تأتي إلا بالتربية على القيم ، فإن من يهملون القيم والأخلاق يُعتبرون "ميتين"، حتى وإن كانوا أحياء من الناحية البيولوجية"^(٣١).

ثالثاً- احترام ذاتية الطفل وتقدير ما يقرر فعله وقدرته على الأداء واحترام أسئلته عن عالمه والاجابة عليها، والعدل بين الأطفال والمساواة بينهم وتربيتهم على الآداب الاجتماعية الاسلامية والأخلاق بالممارسة العملية وليس عن طريق الكلام وإلقاء الأوامر.

يقول كولن:

"إن من يريدون ضمان مستقبلهم لا يمكن أن يهملوا كيفية تعليم أطفالهم وتربيتهم، فينبغي أن تتعاون الأسرة والمدرسة والبيئة المحيطة ووسائل الإعلام بكل أشكالها لضمان تحقيق النتيجة المنشودة..."^(٣٢).

رابعاً- تعويد الطفل على السيطرة على بيئته والتعامل معها برفق من خلال المحاولة و الخطأ وتعليمه الواقع المحيط به ومدى حاجته للتفاعل الجاد معه وتقبل الأفكار الجديدة من الطفل واحترام حبه للاستطلاع.

يقول كولن: "إن الناس لا يكونون" متحضرين" إلا بقدر ما يحصلون عليه من تعليم، وخاصةً القيم التقليدية الخاصة بثقافة معينة، فالتناسك في الحياة على كافة المستويات يأتي عن طريق تعليم كل المواطنين في أي أمة أو دولة رؤيةً واحدةً مشتركةً ومنظومةً أساسيةً من القيم"^(٣٣).

١ - نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح، فتح الله كولن ص-٢١٧، ط١، دار النيل للنشر، القاهرة ، ٢٠١٣م.

٢ - نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح، فتح الله كولن، ص-٢١٨، ط١، دار النيل للنشر، القاهرة ، ٢٠١٣م.

٣ - الافق التربوي في بناء الانسان عند فتح الله كولن، د كريمة بو عمري مجلة حراء العدد ٤٤، السنة العاشرة ، ٢٠١٤، ص٣٦.

• أثر الأسرة في التربية الفكرية والعقلية:

يتعلم الطفل في المنزل اللغة والتعبير وعن هذا الطريق تنتقل إليه أفكار الكبار من أفراد أسرته وآراؤهم، وهو يسمع منهم إجابات على أسئلته المتلاحقة فمنها ما تكون معقولة ومناسبة تساعد على التفكير وتشحذ ذهنه على البحث ومنها ما تكون مضللة تدعوه للإحباط والتشوش الفكري.

"إن رسائل الآباء إلى أبنائهم تحتسب أسلوبًا من أساليب التربية والتعليم، وتدخل في عداد مناهجها، وهي ذات أثر فعال في التنبيه والتوجيه"^(١).

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تشيد بالعقل وتثق به يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾^(٢) أي آتيناه الفقه والعقل واصابة القول، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

يقول الشيخ كولن: " يجب على الأب أن يعلم طفله الدين والتدين والقراءة والكتابة وقراءة القرآن، حتى السباحة والرمية وركوب الخيل، كما عليه أن يعلمه كل الرياضات المهمة في مجالها، لا التي تقوي من ساعديه وعضلاته فقط، بل النافعة لصحته وحياته، والتي يعمر بها مستقبله"^(٤).

يجب على الأسرة مراقبة ما يقرأه الطفل وإبعاده عن الكتب والمجلات التافهة في مضمونها، لتأثره الكبير في هذه المرحلة من عمره بما يتم نقله إليه من معلومات..

ويرى الشيخ كولن أن أي فرد أو مجتمع لا يمكنه بلوغ أقصى إمكاناته بدون التعليم، فهو يعتبر التعليم الوسيلة التي يصبح بها الناس كما أرادهم الله حين خلقهم، ومن ثم فإن التعلم هو أهم الواجبات في الحياة.

١- القرآن الكريم ونظام الأسرة، عبد الباقي أحمد سلامه، الطبعة الأولى، ص٤٣- الناشر : مكتبة المعارف ، الرياض ١٩٨١م.

٢ - سورة لقمان : آية رقم ١٢ .

٣ - سورة البقرة : آية رقم ٢٤٢ .

٤ - لمسات في إصلاح المجتمع، محمد فتح الله كولن، كان هذا الكتاب عبارة عن مقالات للشيخ كولن، جمعها ورتبها، د- عبد الله مصباح، ص ١٥ ،

يقول الشيخ كولن:

"الواجب أو الغرض الرئيسي للحياة الإنسانية هو السعي من أجل المعرفة الإلهية، وما يُبذل من جهد في سبيل ذلك - وهو ما نطلق عليه التعليم - هو عبارة عن عملية سعي نحو الكمال نكتسب من خلالها - في كل الأبعاد الروحية والفكرية والجسدية لذواتنا...."^(١).

• دور الأسرة في التربية الجمالية:

يقصد بالتربية الجمالية: "عملية تقويم وتوجيه لسلوك الإنسان هدفها تطبيق المنهج الإلهي بالاستعانة بالوسائل والطرق التي حددها المنهج نفسه، حيث تعد "التربية الجمالية" في الإسلام بمثابة عملية تقويم وتوجيه أكثر منها عملية تغيير، وهدف هذه التربية هي إعداد "الإنسان الصالح"^(٢).

ويقصد الشيخ كولن بهذا المفهوم للتربية الجمالية، أنها حصيلة لقاء بين "التربية" وبين "علم الجمال" بشكل تكاملي يحقق مفهوم العبادة في غايته مستعيناً بفلسفة علم الجمال للوصول إلى المثل العليا في "تربية" الإنسان المسلم.

يقول الشيخ كولن "ولما كان الجمال الظاهري أمر نسبي فإن الأمم لا تختلف في أن (

الحب، العفو، العفة، المعروف، الخير، الحق، التعاون، الكرم، الشجاعة، والتواضع، والإحسان) كلها أنواع للجمال، كما لا تختلف الأمم في مقاييس القبح وأنواع (الكذب، السرقة، الاعتداء، التكبر، البطر، التجبر، العدوان، التلاعب، الغش)^(٣).

ثم يستطرد الشيخ كولن حديثه عن الجمال فيقول: "فنحن المسلمين لنا هويتنا وعاداتنا وتقاليدنا المنسجمة مع ذلك ومع تعاليم ديننا الذي يمكن أن نلخص مقولته في ارتداء الأزياء وإضفاء الزينة بالعبارة التالية - ارتد ما يناسبك شريطة أن يكون محتشماً ولا يحمل ما يسيء إلى دينك وإنسانيتك -"^(٤) قال تعالى { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }^(٥) ولا يصح

١ - ونحن نبي حضارتنا ، محمد فتح الله كولن ،.....بتصرف، ص-٥٩، ط٣، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر ٢٠١٣م.

٢ - نحو حضارة عالمية من الحجة والتسامح، فتح الله كولن، ص-٢١٩، ط١، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠١٣م.

٣ - الإنسان الجديد، محمد فتح الله كولن ،.... مختصر، مجلة حراء، عدد ١١، عام ٢٠١٣م، ص٣٣.

٤ - المرجع السابق، ص٣٣.

٥ - سورة الأعراف: آية ٣٢

أن يتزين بثياب الاختيال والتكبر على الناس - قال تعالى - {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ} قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} (١)، وقد كان الرسول (ﷺ) إذا جاءه ضيف لا يخرج لاستقباله إلا إذا أصلح هندامه وسوى شعره، قال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا} وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} (٢)

يقول الشيخ كولن: "وتأخذ سبل تعريف الأطفال على التربية الجمالية صورًا متعددة تعتمد على مدى تفهم الوالدين لها واهتمامها بها....." (٣)

• معايير القيم الجمالية عند كولن :-

إن التربية الجمالية تربي في الإنسان سمو الذوق الذي يتجسد في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية كما يتجسد في الأشياء والموضوعات الحسية، وهي إلى جانب ذلك تفتح الأفق النفسي والعقلي والوجداني لدى الإنسان وتشده إلى مبدع الخلاق والجمال في هذا الوجود وهو الله سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ كولن: "الجمال والتربية الجمالية طريق إلى معرفة الله ودليل على عظمته والارتباط العقلي والوجداني به، فالكون بكل ما فيه من تناسق وروعة وجمال يشكل لوحة فنية أخاذة، ومصدرًا للإلهام الفني والجمالي وتربية الحس والذوق...". (٤)

لقد ركز الشيخ كولن على التربية الجمالية لاسيما في تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم في كتابه "أضواء قرآنية في سماء الوجدان" (٥)، على سبل المثال :

وردت في كتاب الله آيات كثيرة منها قوله تعالى {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} (٦)

١ - سورة القصص: آية ٧٩

٢ - سورة الأعراف: آية ٢٦

٣ - الإنسان الجديد، محمد فتح الله كولن ،.... مختصر ، مجلة حراء ، عدد ١١ ، عام ٢٠١٣م ، ص ٣٣.

٤ - أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، محمد فتح الله كولن ، ص ١٤٣ ، ط ٥ ، ٢٠١٣م ، دار النيل ، القاهرة .

٥ - أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، محمد فتح الله كولن ، ص ١٤٥ ، ط ٥ ، ٢٠١٣م ، دار النيل ، القاهرة .

٦ - سورة التغابن : آية ٣.

"وقد وضع الكون في صورة بهية فقال تعالى { إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ }^(١) ، وقال في آية أخرى { وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَاتًا لِلنَّاظِرِينَ }^(٢) يدعو الله الإنسان في هذه الآيات للتذوق الجمالي ليتمتع في هذه الحياة الدنيا ويعيش سعيداً فيها ، وقد طلب منا أن نتزين دائماً خاصة عند الصلاة ودخول المساجد بالوضوء والتطيب ولباس الملابس الحسنة، ليقبل الله علينا ويقبل الناس كذلك علينا لجمالنا"^(٣).

فالإسلام يوصي أن يكون الفرد حسن المنظر كريم الهيئة وهذا ما دلت عليه السنة النبوية المطهرة، قال رسول الله ﷺ { أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم نائر الرأس كأنه شيطان }^(٤) فالجمال جزء من العقيدة ويتناغم مع العادات السليمة والأعراف والتقاليد فتصفو سريرة الإنسان ويصبح مسلماً صالحاً لأن الحواجز النفسية زالت من نفسه حين وسع أفقه واتصل بالله ويعيش في سعادة وراحة ويؤدي رسالته، روى ابن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال { لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس }^(٥)

لقد تأثر الشيخ كولن تأثراً كبيراً بسنة رسول الله (ﷺ) لا سيما في الهيئة واللباس وعد حسن الهيئة والنظافة شيء جمالي دعى الإسلام إليه الإنسان ولا يصل إلى هذه المنزلة إلا إذا كان جميل الباطن قبل الظاهر، وهو الأمر الذي قصده كولن حين عبر عنه " بالجمال القلبي "

• دور الأسرة في التربية النفسية:

أصبحت الصحة النفسية في عصرنا الحاضر هاجس المجتمعات، وأصبح الاعتلال النفسي من مظاهر المدنية، وله أسبابه الكثيرة.

١ - سورة الصافات: آية ٦ .

٢ - سورة الحجر: آية ١٦ .

٣ - أضواء قرآنية في سماء الوجدان، محمد فتح الله كولن ، ص ١٤٦، ط ٥، ٢٠١٣م، دار النيل ، القاهرة .

٤ - (حديث مرفوع) موطأ الإمام مالك ، رواية يحيى الليثي، كتاب الشعر، باب إصلاح الشعر حديث رقم ١٧٣٣ . وكذلك أورده صاحب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، كتاب الزاي، زيد ابن أسلم ، الحديث الحادي والثلاثون .

٥ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم ٩١، وكذا في سنن الترمذي ، باب البر والصلة (١٩٩٨) وفي سنن أبي داود باب اللباس (٤٠١٩) .

وقد ركز الشيخ كولن على الجانب النفسي التربوي ووضع له عدة أسس^(١)، من أهمها ما يلي:-

الأساس الأول: صحبة الطفل:

"حث الإسلام أتباعه على مصاحبة الأخيار، ونهى عن مصاحبة الأشرار

لأن للصحبة أثراً واضحاً في تربية الإنسان، وقد أمر رسول الله (ﷺ) بمجالسة الصالحين وزيارتهم والتردد عليهم، وقد شبه الجليس الصالح بالعطر، بينما الجليس السوء بالعاث بالنار"^(٢).

الأساس الثاني: زرع التنافس بين الأطفال ومكافأة الفائز:

فقد كان النبي (ﷺ) يقيم مسابقة الجري بين الأطفال، لتنمو عضلاتهم ويقوى جسدهم، ذلك فإن المنافسة والمسابقة أسلوب بيد الوالدين، والمربين، يستخدمونه في الأوقات المناسبة فتنشط نفوس الأطفال، ويرتفع منسوب همتهم ونشاطهم، وتنمو مواهبهم، ويقدمون للفائز الهدايا والعطايا، فيشعر الطفل بالسعادة، لذلك يبذل كل طاقاته للوصول إلى الفوز.

الأساس الثالث: الترغيب والترهيب

"هما من الأساليب النفسية الناجحة في إصلاح الطفل، وهو أسلوب واضح ظاهر في التربية النبوية، وقد استخدمه النبي (ﷺ) مع الاطفال في كثير من الحالات وفي مقدمتها بر الوالدين، فرغب في برهما وأرهب في عقوقهما، وما ذلك إلا ليستجيب الطفل ويتأثر فيصلح من نفسه وسلوكه"^(٣).

الأساس الرابع: التدرج وعدم دفع القضايا جملة واحدة:

مثال ذلك :- الحث على الصلاة

قال رسول الله (ﷺ): {مرؤا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا في المضاجع}^(٤) نستفيد منه مبدأً عظيماً مؤثراً في نفس الطفل، وهو التدرج

١- الأفق التربوي نحو بناء إنسان جديد، محمد فتح الله كولن، مجلة حراء، عدد ٤٢، عام ٢٠١٥م، ص٢٢.

٢- التربية النفسية وأثرها التربوي في فكر الشيخ كولن، مقال للأستاذ نواز صواش المشرف العام على مجلة حراء، نشر المقال على موقع الشيخ كولن ' تاريخ الزيارة ١١-٥-١٠١٦م.

٣- التربية النفسية وأثرها التربوي في فكر الشيخ كولن، مقال للأستاذ نواز صواش المشرف العام على مجلة حراء، نشر المقال على موقع الشيخ كولن ' تاريخ الزيارة ١١-٥-١٠١٦م.

٤- أخرجه أبو داود "٣٣٤/١": كتاب الصلاة: باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث "٤٩٥"، وأحمد "١٨٧/٢"، والدارقطني "٢٣٠/١": كتاب الصلاة: باب الأمر بتعليم الصلوات والضرب عليها، والحاكم "١٩٧/١"، وابن أبي شيبة "٣٤٧/١"، والدولابي في الكنى "١٥٩/١"، والحديث رواه الترمذي بلفظ «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ» وفي الباب عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: «حَدِيثُ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبُدِ الْجُهَنِيِّ حَدِيثٌ حَسَنٌ»، «وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَيُحَدِّثُ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَقَالَ: مَا تَرَكَ الْغُلَامُ بَعْدَ الْعَشْرِ مِنَ الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يُعِيدُ»، «وَسَبْرَةُ هُوَ ابْنُ مَعْبُدِ الْجُهَنِيِّ، وَيُقَالُ: هُوَ ابْنُ عَوْسَجَةَ».

وعدم دفع القضايا جملة واحدة، فلكل مرحلة زمنها، فالصلاة وهي ركن الدين وعموده، يمر الطفل فيها ضمن ثلاث مراحل هي:

١- المرحلة الأولى:

وهي من لحظة مسيره ووعيه إلى السابعة من عمره، وهي مرحلة المشاهدة، إذ يشاهد الطفل والديه يصليان فيسارع إلى الصلاة، فإذا دربه والده عليها، كان ذلك خيراً.

٢- المرحلة الثانية:

مرحلة الأمر - وتمتد من السابعة إلى العاشرة، إذ يوجه الوالدان الأمر للطفل، ويطلبان منه الصلاة.

٣- المرحلة الثالثة:

مرحلة الضرب - وتبدأ من العاشرة إلى ما بعدها، وفيها يضرب الطفل إن لم يؤد الصلاة. إن لهذا التدرج أثراً كبيراً في نفس الطفل واستجابته، لأنه ما ازل غضباً يافعاً، فلا بد من التدرج معه ونقله من مرحلة إلى مرحلة أخرى، "وتخطيط أي قضية أو هدف يطلب منه بدون السرعة، فيمر بمراحل وخطوات يرسمها الوالدان ويتعاونان على تنفيذها"^(١).

الأساس الخامس: ملاحظتهم والتصابي لهم:

"مصاباة الطفل وملاحظته تنمي من نفسه وتساعده على إظهار مكنوناتها، والمراد بالتصابي، أي نزولك إلى منزلة فكره وعقله، والدليل على ذلك ملاحظة رسول الله (ﷺ) - للحسن والحسين، وركوبهما على ظهره الشريف والمسير بهما، كذلك اللعب مع أولاد سيدنا العباس، وهذا يدل على أهمية ملاحظة الوالدين للطفل"^(٢).

مما سبق يتضح: أن أهم ما يعمل على تنمية شخصية الطفل وتحقيق ذاته، مراعاة حاجاته النفسية، فالببت يتولى رعاية الفرد وتهذيبه في أخرج الفترات وأعمقها أثراً في بناء شخصيته، وتكوين اتجاهاته وأفكاره في كل ميدان، والأسرة تسرع بتدارك الانحرافات والشذوذ السلوكي في الفترة المبكرة من حياة الفرد قبل أن تتشعب جذورها وتستعصي على الاقتلاع، ويجب على البيت أن يستكمل مقومات نجاحه التربوي ويكون الأبوان على دراية ووعي بمتطلبات التوجيه السديد والتهذيب المثمر.

١- الأفق التربوي نحو بناء إنسان جديد، محمد فتح الله كولن، مجلة حراء، عدد ٤٢، عام ٢٠١٥م، ص ٢٢.

٢- التربية النفسية وأثرها التربوي في فكر الشيخ كولن، مقال للأستاذ نواز صواش المشرف العام على مجلة حراء، نشر المقال على موقع الشيخ كولن ' تاريخ الزيارة ١١-٥-١٠١٦م.

المطلب الثاني

دور الشيخ والمعلم في التربية

يبدو انتقاد الشيخ كولن للمدرسة الحديثة أو للمدرسة في صورتها الغربية التي حطت رحالها في عالمنا شديداً ، فقد كوَّنت هذه المدرسة أجيالاً من الشباب والرجال تعلقت عقولهم وقلوبهم بالمادة وبالطبيعة، فكانت أن قادت الأمة إلى الهاوية وإلى الانهيار.....

فإن مفهوم المدرسة عند الأستاذ فتح الله كولن يركز على الجمع بين القلب والعقل أو بين المعرفة والقيم، في إطار ما يطلق عليه التربية الشمولية. وإذا كانت مدارس "الخدمة" تلحّ على قضية القيم، فإن هذه القيم لا تقدم بصورة جافة أو تدرّس كما تدرس المواد الأخرى، لأن الغاية من هذه المدارس هو تكوين نموذج إنساني متشبع بالقيم وله كفايات معرفية وعلمية تؤهله لأن يساهم في بناء وطنه.

ظهر هذا الأمر جلياً وواضحاً في تربية الشيخ محمد لطفي الألوارلي لفتح الله كولن منذ صغره . كان" محمد لطفي الألوارلي" هو الأكثر تأثيراً في تكوين فتح الله كولن روحياً ومعرفياً، مقارنة ببقية الأساتذة الذين درس على أيديهم خارج المدرسة.

يقول كولن: "كنت أتذوق كلامه كمن يتذوق شهذاً خالصاً. كنت إذا تحدث، أنصت إليه، وكأن على رأسي الطير، فكلامه ينفذ سريعاً إلى أعماقي، كنت أشعر أنني بإزاء عالم عظيم الشأن،... والدي ووالدي كان ارتباطها به ارتباط مريدين بشيخها، وكنت أنا جزءاً من هذا الكل الروحي."^(١)

بقي الأثر الذي تركه الشيخ محمد لطفي الألوارلي حاضراً في وجدان تلميذه فتح الله، ونفعه الله به، كما نفع آخرين.

يقول كولن: " رغم مرور السنين لا زلت أشعر بأثر لمسات الشيخ محمد لطفي الحانية على أذني، وهو يقول لي":

(أَلِنْ أذُنِيكَ، وَأَصْغِ جَيِّدًا لِكَيْ يَتَفَتَحَ ذَكَوْكَ وَتَقْوَى فِرَاسَتِكَ)."^(٢)

١ - مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، خيرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية ، جماعة الدول العربية ، القاهرة، الفترة من ١٩-١٢١ أكتوبر ٢٠٠٩م، ص٢٣٢ دار النيل للنشر ، القاهرة .

٢ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وقد تعلم كولن من شيخه دروساً كثيرة أثرت عليه في دعوته وظهرت واضحة في أسلوب خطابه، على سبيل المثال:-

"(الرفق، ومراعاة، مشاعر الآخرين، والتلطف في نصحتهم)، كانت كلها من الدروس التربوية التي تشربها من والده ومن شيخه محمد لطفي. وأثمرت هذه الدروس ثماراً طيبة، تجلت- فيما بعد - في منهجه الدعوي والإرشادي وفي كتاباته المتنوعة"^(١) وأضحت سمة مميزة له ولتلامذته الذين يتربون في مدرسته. وتذكرنا هذه العلاقة الراقية بين الأستاذ وتلميذه النجيب، بقصة الإمام محمد عبده مع الشيخ درويش الذي لولا رفقه به وهو يوجهه لترك طريق العلم والتعلم، وطوته الأيام، ولحرمت الأمة من علمه واجتهاداته، ولما كان عندنا "الإمام محمد عبده."^(٢)

• ولذلك فإن القيم تقدم بصورة انسيابية من خلال القدوة الحسنة وفي إطارٍ تبرز فيه شخصية المعلم المربي الذي هو أهمّ عنصر في المنهج الذي وضع ضوابطه الأستاذ فتح الله كولن بنفسه. فلقد وضع الشيخ فتح الله كولن أهم خطوات هذا المنهج، من خلال الأساليب التي عامل بها الأستاذ تلامذته في المدارس أو في البيوت وفي المخيمات، لتنتقل هذه التجربة إلى القدر الواسع من الأطر التربوية .

ومن هنا فإن للمعلم جملة من المميزات يجب أن يتحلى بها لكي يقوم بمهمته على الصورة المثلى. فالمربي شخص له استعداد لمرافقة المتعلم، وهو إنسان يقوم ببناء شخصية المتربي الأخلاقية وبناء سلوكه من أجل الوصول إلى استيعاب حقيقة خلقه، حتى يكون قادراً على تحمل المسؤولية وعلى التسامح.

يقول الشيخ كولن:- "وليس معنى ذلك أن علاقة المربي بتلميذه تقف عند حدود المدرسة وحجرة الدرس، بل هي علاقة تستمر في البيت ومع العائلة... وذلك لأن هذا المربي يعتبر نفسه مسؤولاً عن تلميذه في المدرسة وخارج المدرسة، فعلى المربي تقع مسؤولية كبيرة جداً،

١ - من أهم كتابات الشيخ التي يتحلى فيها منهجه في الدعوة والتبليغ انظر على سبيل المثال: الموازين، أو أضواء على الطريق، ترجمة أورخان محمد علي (القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م).

٢ - إبراهيم البيومي غانم، معلم في سيرة الأستاذ الإمام محمد عبده: الأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي، ص ٧٩-٨٢. (القاهرة: دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

ألا وهي إنشاء "الجيل الذهبي" وإنشاء "جيل الأمل"، وهذه المهمة تحتاج إلى مربٍ يعي دوره على أكمل وجه".....^(١)

يقول كولن: "ولكي تكون المدرسة مؤسسة ذات جودة عالية فإن المتعلم يجب أن يجد في المدرسة كل ما يريده من اهتمام وحب، ويجب أن يتقن لغته الأم، وأن يلتن التربية الروحية والقيم السامية، فالهوية الاجتماعية يجب أن تتأسس على هذه الأسس....."^(٢)

يقول "رجب قائماً فجاًن"^(٣): "مدارس كولن هي مدارس خاصة، لذلك يحق لها اختيار معلميها من كافة الزوايا. فإن أعظم الفروق التي تراعيها هذه المدارس عند اختيار معلميها هو توظيف الناجحين في تخصصاتهم، والذين يجيدون تربية الإنسان تربية شمولية"^(٤)

صفات الشيخ والمعلم في الفكر التربوي الإسلامي عند كولن^(٥) يتسم بعدة صفات منها:-

أولاً: النية الخالصة في أداء واجبه، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: {لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِيُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِيُتَمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالْتَارُ النَّارُ} أي أن لا يقصد المعلم دنياه فحسب بل و الآخرة أيضاً^(٦).

قال تعالي: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ} ^(٧)

ويضع التعليم كرسالة لا مجرد وظيفة .

ثانياً: يحمل هم أمته

فالمعلم الرسالي يتفاعل مع قضايا أمته

ثالثاً: أن يكون المعلم المسلم قدوة لغيره لما له من تأثير على غيره

١ - الأفق التربوي نحو بناء إنسان جديد، محمد فتح الله كولن،...، بتصرف، مجلة حراء، عدد ٢٢، عام ٢٠١٥م، ص ٢٢.
 ٢ - مفهوم التربية الشمولية لكولن، د رجب قائماً فجاًن، ... بتصرف، مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، ص ٣٥٠ - ٣٦٨.
 ٣ - عضو هيئة التدريس بجامعة سقاريا، كلية الإلهيات، قسم التربية الدينية، تركيا .
 ٤ - مفهوم التربية الشمولية لكولن، د رجب قائماً فجاًن، مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، ص ٣٥٠ - ٣٦٨.
 ٥ - لمسات في إصلاح المجتمع، محمد فتح الله كولن، كان هذا الكتاب عبارة عن مقالات للشيخ كولن، جمعها ورتبها، د- عبد الله مصباح، ص ٦٦،
 ٦ - أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ماجاء في الاستيضاء. بمن يطلب العلم (٢٠/٥) و ابن ماجه في مقدمة السنن، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (٩٢/١) وأبن حبان في موارد الظمان باب النية في طلب العلم(٨٩)، والحاكم في المستدرک، كتاب العلم (٨٥/١) وقال هذا حديث صحيح سنده ثقات على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه أيضا أبو عبد البر في الجامع باب ذم الفاجر من العلماء (٢٣٢/١).
 ٧ - سورة البقرة آية: ١٩٨.

رابعاً: أن يكون عطاء لا ينتظر الثناء ، قال تعالى { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }^(١)

خامساً: أن يراعي الفروق الفردية وتخصصه، حيث لا نجد ذلك في باقي الفلسفات و الثقافات الأخرى، و هناك الكثير من سمات المعلم المسلم الذي يحمل الفكر التربوي الإسلامي حيث نلاحظ اهتمام الإسلام المتوازن الشامل الكامل في شتى جوانب شخصيته و التي أدت إلى الحاجة لمعلم ينهج الفكر الإسلامي، و يقوم بإحياء هذه الأمة و يعي أهمية مهنة التعليم في بناء الحضارات و الثقافات .

ومن أهم تلك الصفات ايضاً:

التي تحدث عنها كولن: **عنصر التضحية**"لقد قام المشروع التربوي للخدمة في كليته على التضحية بالمال والنفس والوقت وأشياء كثيرة... لقد نجح الأستاذ كولن بفضل تأثير خطابه من أن يغرس في عروق المعلمين حب التضحية، فهاجروا إلى المناطق النائية وتركوا الأهل وبذخ العيش ويسر الحياة، وغامروا بأرواحهم عندما اختاروا عن طواعية السفر إلى مناطق تعاني من الحروب ومن صعوبة الطقس والجغرافية القاسية للقيام بالمهمة المقدسة، وهي إنشاء الجيل الذهبي"^(٢).

• خلاصة ما سبق يتضح أن :-

الشيخ فتح الله كولن يتحدث على أن غاية وجود الإنسان هو التبليغ، فإن المعلم وفق المعايير التي يضعها التصور الإسلامي هو أهمّ المبلغين. وإذا كان الشيخ كولن يؤكد بأن التبليغ هو غاية وجودنا، فإن ما يقوم به المربي والمعلم هو عمق التبليغ، ولذلك فإن روح التبليغ ومعاييرها هي نفسها المعايير التي تؤطر مهمّة المدرس في رؤية الشيخ كولن .

١- سورة يوسف اية رقم ٥٥ .

٢- لمسات في إصلاح المجتمع ، محمد فتح الله كولن ، كان هذا الكتاب عبارة عن مقالات للشيخ كولن ، جمعها ورتبها،

د- عبد الله مصباح ، ص ٦٧

المطلب الثالث

المقامات والأحوال الصوفية وأثرهما التربوي

المقام والحال اصطلاحان يستخدمهما الصوفيون للتدليل على تدرج السالك للطريق الصوفي من مكانة الي أخرى، ولما يتعرض له في تدرجه هذا في المقامات من أحوال تأتيه من نسمات الرحمة الإلهية.

"والترقي في المقامات والأحوال عند كولن يمثل المرحلة الرابعة والأخيرة من مراحل مجاهدة النفس، وهي المرحلة التي ينتهي السالك منها إلى المعرفة بالله معرفة يقينية ذوقية، والمقامات هي مراحل الطريق إلى الله التي يقطعها السالك في رحلته نتيجة مجاهدته لنفسه"^(١).

أما الأحوال: "فهي ما يعرض للسالك دون كسب منه من المعاني الإلهية والأحوال الربانية التي ترد على القلب من غير تعمد من السالك ولا اجتلاب ولا اكتساب، كالطرب والحزن والقبض والبسط والشوق والانزعاج والهيبية، ومقامات السلوك وأحواله عند الصوفية متداخل بعضها مع بعض، بمعنى أن المتحقق بالمقامات قد ترد عليه الأحوال"^(٢).

وللإمام "أبي الحسن الهجويري"^(٣) عبارة لطيفة في تعريف هذين المصطلحين بصورة أدق وأوضح. قال - رحمه الله- في سياق حديثه عن المريد: "الحال: معنى يرد من الحق على القلب، دون أن يستطيع العبد دفعه عن نفسه بالكسب حين يرد، أو جذبه بالتكلف حين يذهب. فالمقام: عبارة عن طريق الطالب وموضعه في محل الاجتهاد، وتكون درجته بمقدار اكتسابه في حضرة الحق تعالى. والحال: عبارة عن فضل الله تعالى ولطفه إلى قلب العبد، دون أن يكون لمجاهدته تعلق

١ - التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، فتح الله كولن، ص١٤٤، ط٣، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠١٥م.

٢ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

٣- هو أبو الحسن علي بن عثمان بن أبو علي الجلابي الهجويري الغزنوي. ولد في "غزنة" وهي مدينة أفغانية تقع جنوب غربي العاصمة كابول. في اواخر القرن الرابع الهجري.

أهم آثاره هو كتاب «كشفُ المحجوب»، مكتوب باللغة الفارسية، وهي إحدى أقدم الكتب الفارسية في التصوف الإسلامي. وقد قال محمد تقي بهار في كتابه «سبك شناسي» عن «كشفُ المحجوب» أنه «كتاب نفيس قل أن يوجد له نظير في اللغة الفارسية». وقد نقل محمود أحمد ماضي أبو العزائم الكتاب إلى العربية نقلا عن الترجمة الإنكليزية. وفاته ... توفي سنة ٤٦٥ هـ في لاهور بباكستان وقيل في ٤٩٢ هـ. (المصدر: إسماعيل البغدادي - هدية العارفين - ج١ ص ٦٩١).

به؛ لأن المقام من جملة الأعمال، والحال من جملة الأفضال! والمقام من جملة المكاسب، والحال من جملة المواهب"^(١).

"وقد كان للمقامات والأحوال - ولا يزال - الأثر البالغ في تمتين الروابط الروحية، بين جميع المكونات الثقافية والاجتماعية، تحت لواء واحد، هو: لواء المحبة! إذ المحبة هي غاية التربية الروحية، والسلوك الصوفي، وذلك بالسير بالمريد عبر "مقامات" التربية، و"أحوال" التزكية؛ حتى يصل إلى تحقيق خُلة "المحبة" في نفسه؛ خُلُقاً تعبدياً أصيلاً صادقاً....."^(٢)

فقد تميزت المدرسة الصوفية بتربيتها الروحية، والتي تجلّت بوضوح فيما أبدعه أصحابها من طرق ومناهج مختلفة عمّا عرفته المدارس الأخرى، حيث ركزت المدرستان: الفلسفية والكلامية على الفكر والتجريد، بينما اشتغلت مدرسة الفقهاء بالأحكام والعبادات.

"وقد ظهر هذا الأثر التربوي عند أوائل الصوفية كالإمام المحاسبي والإمام الجنيد والإمام أبي طالب المكي والإمام القشيري، أرسوا الدعائم الكبرى للمنهج التربوي الصوفي، فتكلموا في القضايا المتعلقة بالأحوال والمقامات، وكانت بصماتهم واضحة في فكر الإمام الغزالي، الذي استلهم قواعده التربوية من آثارهم، وأبرزها جلية في كتبه، خاصة في كتابه -إحياء علوم الدين-"^(٣)

"وكان مؤسسو تلك الطرق وهم: "عبد القادر الجيلاني"^(٤)، "وأحمد الرفاعي"^(٥)،

١- كشف المحجوب، للإمام أبي الحسن الهجويري، دراسة وترجمة: د- سعاد عبد الهادي قنديل، مراجعة الترجمة، د- أمين عبد الحميد بدوي، مكتبة الإسكندرية، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، نسخة الكترونية ص ٤٠٩.

٢- نور وفتح قراءة في فكر سعيد النورسي وفتح الله كولن،، بتصرف، عبد القادر الأدريسي، ص ٣٢، ط ١-٢٠١٤، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٣- المرجع السابق، نفس الصفحة.

٤- عبد القادر الجيلاني: هو أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي. ولد الشيخ عبد القادر بـ "جيلان" - بلاد وراء "طبرستان" في عام (٤٧١ هـ)، وتوفي عام (٥٦١ هـ). سمع من: أبي غالب الباقلاني، وأحمد بن المظفر، وأبي القاسم ابن بيان. وحَدَّث عنه: السمعاني، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين ابن قدامة. قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله: الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء. (المصدر: سير أعلام النبلاء " ٢٠ / ٤٣٩).

٥- أحمد بن علي الحسيني الرفاعي (١١١٨ م / ٥١٢ هـ - ١١٨٢ م / ٥٧٨ هـ)، فقيه شافعي أشعري وصوفي عراقي في القرن السادس الهجري/القرن الثاني عشر الميلادي. يعتبر من أقطاب الصوفية وإليه تنتسب الطريقة الرفاعية ويلقب بـ"أبو العلمين" و"شيخ الطرائق" و"الشيخ الكبير" و"أستاذ الجماعة". ولد في قرية حسن من أعمال واسط بالعراق، قبره محجة في قرية أم عبيدة بالطائح بين واسط والبصرة. من مؤلفاته: تفسير سورة القدر و الطريق إلى الله، وشرح التنبيه في الفقه. جمع كلامه في رسالة دعيت رحيق الكوثر.(المصدر: لإمام أحمد الرفاعي: المصلح المجدد، جمال الدين الكيلاني، زياد الصميدعي، المنظمة المغربية، مراكش، ٢٠١٢، ص ٢١).

و"أبو مدين شعيب"^(١)، ينتمون إلى مرجعية واحدة ويتصلون في سندهم الروحي بسيد الطائفة الإمام "أبي القاسم الجنيد"^(٢)، الذي تبوأ مكانة سامية في تاريخ التصوف الإسلامي بسبب اعتدال خطابه الصوفي^(٣).

▪ أما فيما يتعلق بالمنهج التربوي عند الشيخ كولن ، فكان متطابقاً مع سابقه، واتضح من خلال تعاليمه التربوية وسيرته الروحية، أنه كان شديد الالتزام بالأخلاق الإسلامية ولم يتوصل أبداً إلى إسقاط التكاليف.

"لقد كانت نشأة فتح الله كولن في بيئة صوفية، وتتلّمذه على بعض أقطاب المدرسة الصوفية التركية، وخاصة الأستاذ بديع الزمان النورسي من خلال كتبه المعروفة بـ "رسائل النور" .. كان لكل ذلك أكبر الأثر في توجيه وتشكيل وعيه ومساره الديني"^(٤).

أولاً: أهمية التربية الروحية في فكر الشيخ كولن:

"من أهم الصفات التي ينبغي أن تكون في الإنسان المسلم ، تربيته السليمة العقلية والروحية، فإذا اكتملا فإنهما يكونان الإنسان القادر على المواجهة والحوار البناء، ولاهتمام بالجانب الروحي بالمعنى التربوي لا ينقص أهمية عن الجانب التعليمي العقلي"^(٥).

١ - أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري والمعروف باسم سيدي بومدين أو أبو مدين التلمساني ويلقب بـ"شيخ الشيوخ" ولقبه ابن عربي بـ"معلم المعلمين" (٥٠٩ هـ / ١١١٥ م - ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م): فقيه ومتصوف وشاعر أندلسي، يعد مؤسس أحد أهم مدارس التصوف في بلاد المغرب العربي والأندلس، تعلم في إشبيلية وفاس وقضى أغلب حياته في بجاية وكثر أتباعه هناك واشتهر أمره، فوشى به البعض عند يعقوب المنصور الموحيدي بمراكش، فبعث إليه الخليفة للقدوم عليه لينظر في مزاعم حول خطورته على الدولة الموحدية، وفي طريقه مرض وتوفي نواحي تلمسان، وبنى سلاطين بني مرين بضرجه مسجداً ومدرسة. ولأبي مدين شعيب مؤلفات كثيرة في التصوف، وديوان في الشعر الصوفي وكذلك تصانيف من بينها «أنس الوحيد ونزهة المرید» في التوحيد(المصدر: عبد الحليم محمود، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث - حياته ومراحجه إلى الله. ص٧٦٦ دار المعارف. ١٩٨٥).

٢ - أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، أصله من نهاوند من مدن كردستان، ولد ببغداد سنة نيف وعشرين ومئتين للهجرة ونشأ فيها قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: (هو من أئمة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة)(المصدر: طبقات الصوفية، تأليف: أبو عبد الرحمن السلمي، ص١٢٩-١٣٥، دار الكتب العلمية، ط٢٠٠٣).

صحب الجنيد جماعة من المشايخ، وأشتهر بصحبة خاله سري السقطي، والحارث المحاسبي، ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقاته وهو ابن عشرين سنة، وتوفي يوم السبت سنة ٢٩٧ هـ [٢]

٣ - نور وفتح قراءة في فكر سعيد النورسي وفتح الله كولن ،.... بتصرف، عبد القادر الإدريسي، ص٣٢، ط١-٢٠١٤، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٤ - نور وفتح قراءة في فكر سعيد النورسي وفتح الله كولن ،.... بتصرف ، عبد القادر الإدريسي ، ص٣٣، ط١-٢٠١٤، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

وفي أهمية التربية الروحية التي يجب أن يتربى عليها الإنسان الإيجابي ، يقول الشيخ كولن : " يعرف الجميع تقريباً ما يتعلق بالتربية البدنية، ولكن من يعرف قيمة التربية الفكرية والعاطفية التي هي في الأصل قليل جداً ، بينما ينشأ في التربية الأولى إنسان الجسد والعضلات، وينشأ في الثانية إنسان الروح والمعنى"^(١).

ثم يوضح الشيخ كولن وظيفة الإنسان في الدنيا فيقول : "إن الوظيفة الأولى للإنسان هي اكتشاف نفسه ومعرفتها، ثم التوجه إلى ربه بعد وضوح ماهية نفسه أمام عينيه... أما الذين لا يتعرفون على ماهية أنفسهم ولا يدركون ،أولا يستطيعون تأسيس علاقة مع خالقهم الجليل هؤلاء من ذوي الحظوظ النكدة، يمرون بهذه الدنيا ويفارقونها وهم لا يعرفون قيمة الكنز الذي يحملونه بين جوانحهم مثل مرور الحمالين الذين لا يعرفون قيمة الكنوز التي يحملونها"^(٢).

ثانياً: أهداف التربية بالمقامات والأحوال عند كولن :

تتلخص هذه الأهداف في مايلي :-

الأول : الأساس الروحي والأخلاقي:

إذا كانت عقيدة التوحيد الخالية من كل الشوائب، هي نقطة الانطلاق لبناء الشخصية السوية في المجتمع، بما تقدمه لصاحبها من زاد عقدي غني بالحقائق الإيمانية الصافية التي تسمو بصاحبها إلى أعلى درجات التوحيد، وهذا ما عمل على ترجمته الأستاذ فتح الله كولن في كتاباته^(٣)، والتي أولى فيها موضوع التربية الروحية والتزكية السلوكية والأخلاقية كل اهتماماته، إيماناً منه بأنه لا فلاح لمؤمن موحد لا يهتم ببناء روحه وتخليتها من كل شوائبها، ثم تحليتها -بعد ذلك- بكل ما يزيكها ويصقلها ويسمو بها إلى مدارج الشوق الإلهي والعرفان الرباني.

١ - الحوار الديني من أجل السلام العالمي ، نموذج المفكر الإسلامي فتح الله كولن ، هدى درويش ، المؤتمر الدولي للتقاليد الثقافية لمصر والشرق من التاريخ القديم حتى العولمة ص١٩.

٢ - الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن ، ص٧٧، ط٩، ٢٠١٣م، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

٣ - المرجع السابق ، نفس الصفحة

٤ -ظهر هذا واضحاً في كتابه " ونحن نقيم صرح الروح " وأيضاً " أضواء قرآنية في سماء الوجدان " .

• يقول الشيخ كولن مؤكداً لهذه الحقيقة في كتابه "ونحن نقيم صرح الروح": "ومن مقرب آخر، أن يكون الإنسان "إنساناً" وفق المعنى الذي يجعله إنساناً حقاً، مرتبط بخضوعه لأوامر قلبه واستماعه إلى روحه، رغماً عن بدنه وجسمانية وعقل معاشه الدنيوي".^(١)

ثم يستطرد الشيخ حديثه معلناً أن الميزان الحقيقي هو ميزان القلب، فيقول: "فعلى الإنسان أن ينظر إلى كل شيء وكل أحد بعين القلب، وبقِيَمهم بموازين القلب المتأهلة للاعتبار والتقدير، لكي يتعرف جيداً على نفسه وما حوله"^(٢).

الثاني - قضايا المعرفة :

المعرفة هي أهم كلمة في الفكر الصوفي، قال تعالى: { مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }^(٣)، أي ما عرفوه حق معرفته، وغاية العبادة هي معرفة الله، والمعرفة هي دعامة الدين، والعلم ليس طريقاً وحيداً للمعرفة، فالمعرفة لا تدرك بالعقل ولا بالعلم، فالظاهر يدرك بالعقل، أما المعرفة فلا تدرك بالعقل، وإنما يصل الإنسان إليها عن طريق طهارة القلب، وأهم آثار المعرفة هو سكون القلب والشعور بالطمأنينة القلبية قال تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }^(٤).

• نجد الأستاذ فتح الله كولن في سياق آخر، يعتبر التصوف وما اهتم به من تربية روحية وتزكية نفسية - كما تجلت لدى أقطاب الفكر الصوفي عبر التاريخ - من المصادر الأساسية لميراثنا الثقافي بعد الكتاب والسنة والإبداع والقياس والاستحسان والاستصحاب؛ إذ يرى أن التصوف هو مصدر مهم للمعرفة والثقافة في مساحة واسعة من الحياة الروحية إلى الأخلاق وآداب المعاشرة.

الثالث: تزكية النفس :

تزكية النفس أي إصلاحها والارتقاء بها من الصفات المذمومة إلى الصفات المحمودة، والتحكم في الغريزة والسيطرة عليها، وطريق التزكية عند كولن هو "مجاهدة النفس ومخالفتها

١ - ونحن نقيم صرح الروح ، محمد فتح الله كولن ، ص٧٧، ٩٤، ٢٠١٣م، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

٢ - المرجع السابق ، ونحن نقيم صرح الروح ، نفس الصفحة .

٣ - سورة الحج آية ٧٤ .

٤ - سورة الرعد آية ٢٨ .

وإضعافها، وعدم الاستجابة لمطالبها الشهوانية والغضبية، والمرض يعالج بضده، فالحرارة تعالج بالبرودة، والبرودة بالحرارة، والنفس المتعالية تعالج بإذلالها، والنفس المتعلقة بالمنصب أو المال تعالج بالزهد فيما تطلبه، وأهم وسيلة لكسر النفس تجويعها بالطعام، فيأكل القليل ويعرض على نفسه ما لا تشتهي، وتعالج النفس المحبة للرياء وإعجاب الآخرين، بالخمول والعزلة عن الناس والاستحياء من الخلق وكراهية الظهور والشهرة.....^(١)

مما سبق يتضح :-

أن الشيخ فتح الله كولن، قد اعتمد في منظومته الإصلاحية على هذا المنحى الروحي الأخلاقي الصوفي.. وهذا ما ظهر واضحاً في كتابات الأستاذ فتح الله كولن التي اكتسبت بُعداً روحياً يهدف إلى عقد نوع من التجانس والتوافق بين الشريعة والحقيقة، أو بين أهل الظاهر وأهل الباطن، مما وسع من آفاق ومجال مشروعه الإصلاحية، وجعله يشمل تطلعات الإنسان والمجتمع الروحية والأخلاقية شمولها لتطلعاتها المادية والواقعية.

١ - الموازين أو أضواء على الطريق بتصرف، محمد فتح الله كولن، ص، ٧٩ ٧٨، ط ٩، ٢٠١٣م، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

المبحث الثاني

التعليم ودوره الإصلاحي في فكر كولن

وفيه خمسة مطالب:-

- المطلب الأول: العمل علي إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات
- المطلب الثاني: الاهتمام بالمعلم -التلاميذ-المنهج
- المطلب الثالث: أسس التربية في مدارس كولن
- المطلب الرابع: مرتكزات العمل التربوي في مدارس كولن
- المطلب الخامس: نماذج لمدارس كولن الإصلاحية في الداخل والخارج.

المبحث الثاني

التعليم ودوره الإصلاححي في فكر كولن

توطئة:-

لا أكون مبالغاً إذا قلت إن التعليم هو الآلية المركزية في فعل الحركة الإصلاحية الحديثة في عالم المسلمين، منذ بداية ظهورها خلال القرنين الماضيين؛ إذ تكاد الدعوة إلى التعليم مقترنة بحركة ميدانية لبناء المدارس، ونشاط منظم داخلها من خلال عملية تعليم قاصدة ومنظمة تكون السمة الجامعة بين كافة دعوات الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث -أو المعتبرة من بينها على الأقل-. فمن المدارس الأهلية في المشرق العربي، إلى المدارس الحرة التي نشطت في إنشائها السلفية الإصلاحية، ومن خلالها الحركة الوطنية في المغرب، مروراً بمجهودات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في هذا المجال، خصوصاً رائدها المؤسس الشيخ عبد الحميد بن باديس^(١)، وخليفته الشيخ البشير الإبراهيمي^(٢)، ومدارس النور التي أسسها طلاب العالم والمصلح التركي الكبير بديع الزمان سعيد النورسي بتأثير من رسائله التي بثها في تركيا، ثم تُرجمت وانتشرت في مناطق كثيرة والمسماة "رسائل النور"، وصولاً إلى نموذج المدارس العربية والإسلامية في الغرب، التي نتجت عن استقرار جاليات إسلامية كبيرة في تلك البلاد.

١ - هو الإمام المصلح المجدد الشيخ عبد الحميد بن محمد بن مصطفى بن المكّي بن باديس الجزائري، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، ورائد النهضة الفكرية والإصلاحية وُلد بقسنطينة سنة: (١٣٠٨ هـ - ١٨٨٩ م)، التحق الشيخ عبد الحميد بمجامع الزيتونة بتونس، فأخذ عن جماعة من كبار علمائها الأجلاء، وفي طلبعتهم زعيم النهضة الفكرية والإصلاحية في الحاضرة التونسية العلامة «محمد النخلي القيرواني» المتوفى سنة: (١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م) وقد شرع الإمام ابن باديس رحمه الله تعالى في العمل التربوي، وانتهج في دعوته منهجاً يوافق الفكر الإصلاححي في البعد والغاية، توفي رحمه الله في ١٦ أبريل ١٩٤٠ المرجع ابن باديس حياته وآثاره» للدكتور عمار طالبي (٧٢/١)

٢- ولد محمد البشير الإبراهيمي في ١٣ شوال ١٣٠٦ هـ الموافق ١٤ يونيو عام ١٨٨٩ م في بلدية أولاد ابراهيم بولاية برج بوعرييج. تعلّم بمسقط رأسه على يد والده وعمه، الشيخ محمد المكّي الإبراهيمي، غادر الجزائر عام ١٩١١ ملتحقاً بوالده الذي كان قد سبقه إلى الحجاز، وتابع تعليمه في المدينة المنورة، وتعرف على الشيخ ابن باديس عندما زار المدينة عام ١٩١٣، غادر الحجاز عام ١٩١٦ قاصداً دمشق، حيث اشتغل بالتدريس، وشارك في تأسيس المجمع العلمي في عام ١٩٢٠ غادر الإبراهيمي دمشق إلى الجزائر، وبدأ بدعوته إلى الإصلاح ونشر العلم في مدينة سطيف، حيث دعا إلى إقامة مسجد حر (غير تابع للإدارة الحكومية) وفي عام ١٩٢٤ زاره ابن باديس وعرض عليه فكرة إقامة جمعية العلماء، وبعد تأسيس الجمعية أُختير الإبراهيمي نائباً لرئيسها، تُوفي البشير الإبراهيمي يوم الخميس في العشرين من أيار (مايو) عام ١٩٦٥. بعد أن عاش حياة كلها كفاح لإعادة المسلمين إلى دينهم القويم. (المرجع مجلة البيان عدد ١٣، ص ٤٤).

• تجربة كولن الإصلاحية:

"إن تجربة الشيخ كولن الإصلاحية تعد التجربة التركية الحديثة في مجال التعليم، والتي تمثل بشكل من الأشكال امتداداً لمدرسة "رسائل النور" ومؤلفها بديع الزمان النورسي، والتجربة التي أسسها الأستاذ فتح الله كولن أحد رواد منهج الإصلاح الإسلامي الحديث في تركيا، والتي تتسم أفكاره ودعوته بإصلاح الفرد والمجتمع"^(١).

ولعله من المفيد - التوقف عند طبيعة هذه "الحركة" والتي يبدو من خلال دراسة طبيعة بنيتها وخصائصها الفكرية والتنظيمية أنها نموذج جديد للعمل الإصلاحي العام .

"حركة الأستاذ فتح الله كولن ليست في الواقع حركة مركزية عضوية، ولا تنظيمياً ولا جماعة أو طريقة؛ إذ يفسر الأستاذ كولن نفسه المسار الذي مضت عليه دعوته وتأسيس المؤسسات الكثيرة بتأثير من تلك الدعوة بأن ما فعله هو أنه اقترح على الناس فكرة، وأنهم يطبقونها... والدليل الواقعي على ذلك هو أن الرابط بين كافة مؤسسات تلك الحركة -بها فيها مؤسسات التعليم - هو الفكرة وحدها، مع استقلال كل مؤسسة منها بشكل كامل"^(٢).

ثم نجد الأستاذ كولن وهو يحاول مقارنة هذه القضية بالنسبة للبعض ممن حاول تفسير حركته باستخدام نماذج للفهم والتفسير من خارجها، يطرح مقارنة "حركة نماذجها من ذاتها". ففي مقاله التي تحمل هذا العنوان يدعو الأستاذ كولن إلى دراسة وافية لتجليات دعوته في مجالات العمل المختلفة عبر العالم، مؤكداً على ذلك فيقول: "أن هذه الحركة ظاهرة يجب أن تُشرح، ويتم الوقوف عندها بشكل جدي"، فإن استطاعت محاولتنا هذه دفع بعض أرباب المهمة إلى البدء في هذه المهمة، فإن محاولتنا تكون قد وصلت إلى هدفها"^(٣).....

١ - فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة ، عبد الحليم عويس، ص٤٤، ط١، دار النيل للنشر، القاهرة ٢٠١٣م.

٢ - حركة نماذجها من ذاتها، فتح الله كولن، المقال الافتتاحي مجلة حراء، عدد ٢٠١٧، ١٣م، ص٣.

٣ - الأفق التربوي في بناء الإنسان عند فتح الله كولن ، د كريمة بوعمري بتصرف، مجلة حراء عدد "٤٤" ص٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ . عام ٢٠١٤م.

• ويرى الشيخ كولن عدة أسباب تعوق الدور الإصلاحي في مجال التعليم^(١):

١- وجود انفصام وهوة بين ما يدرس لأبنائنا في المدارس ، وبين الحياة الاجتماعية والفكرية على أرض الواقع ، مما جعل خريجي هذه المدارس غير مهئين لحل المشكلات الاجتماعية القائمة أو على الأقل التعامل معها .

٢- العلوم التي كانت تدرس في المدارس الدينية، مثل البلاغة والمنطق وعلم الكلام والتفسير والفقه وعلم الأصول، كانت تدرس بطريقة تجعلها غير قابلة لأيّ تجديد وتوسع فكري وعملي .

٣- "قيام هذه المدارس بإغلاق أبوابها أمام العلوم الوضعية ، حيث تم فيها فصل الفكر الديني عن الفكر الوضعي على الرغم من أن القرآن الكريم يؤكد على التوافق بين العلم والدين ، فالقرآن لكريم يشبع روح الإنسان وعواطفه ومشاعره من جهة ويشيع عقول العلماء والباحثين من جهة أخرى....."^(٢)

١ - العمل المدني ودوره في صناعة الإنسان والمجتمع والحضارة في نموذج تركيا، نوازد صواش، مقدم للمؤتمر الدولي الرابع للوسطية نحو مشروع نهضوي إسلامي، ص٩، دار النيل للنشر بالقاهرة .

٢ - العمل المدني ودوره في صناعة الإنسان والمجتمع والحضارة في نموذج تركيا، نوازد صواش، مقدم للمؤتمر الدولي الرابع للوسطية نحو مشروع نهضوي إسلامي، ص٩، دار النيل للنشر بالقاهرة .

المطلب الأول

العمل على إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات

إن التعليم - كما هو معلوم - هو أساس الثقافة والمكوّن الرئيسي للفكر، وعلى ضوء نوع التعليم يتحدد نوع الثقافة والفكر، ومن ثم السلوك بل وهوية المجتمع. ذلك " أن الأمة تؤخذ من عقول أبنائها قبل أن تؤخذ بسيف أعدائها". فهناك نوعان من التعليم:-؛ أحدهما صالح يقود إلى سعادة الدنيا والآخرة، وآخر يقود إلى الفساد والدمار المادي والمعنوي، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ* فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} (٣). وقوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا مِّمَّا تُكْفِرُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} (٤).

يقول الشيخ كولن:- " لقد أكد الرسول (ﷺ) هذا التوجيه عندما أرسل سيدنا مصعب بن عمير (رضي الله عنه) بعد بيعة العقبة إلى يثرب ليعلم الناس أي لثقافتهم ويعلمهم دينهم الجديد، ويعيد صياغة مفاهيمهم عبر إعادة بناء فكرهم، ومن خلال التعليم يتم تحضير البيئة التي ستشهد ولادة أول دولة للإسلام" (٥).

إنّ التعليم هو شرط إصلاح واقع الناس وتغييره إلى الأفضل، فكذلك لا تقوم الدولة العادلة صاحبة الرسالة إلا بالتعليم. وهذه حقيقة برهنت عليها كل تجارب التاريخ البشري؛ فقد طوى الزمن الساسة والعسكر، في حين خَلَد العلماء، وظلت آثارهم المادية ملموسة في حياة الأمم.

يعد الشيخ فتح الله كولن كواحد من أبرز الداعين إلى إصلاح المجتمع من خلال التعليم. ولكنه يتميز بصدارة التطبيق العملي لهذه الدعوة والنجاح الباهر في نتائجها. " فقد آمن الأستاذ فتح الله كولن مبكرًا بأن أعداء الأمة الحقيقيين ثلاث آفات، هي: (الجهل والفقر والفرقة). فنذر حياته لمحاربة

١ - سورة البقرة اية (٧٨-٧٩)

٢ - سورة (الأنعام آية : ٩١)

٣- التعليم أساساً للإصلاح تجربة كولن وبن عاشور نموذجاً، مريم آيت أحمد، ص ٥٥، ط ٢، ٢٠١٤ م دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

هذا التلوث الذي يفتك بالأمة جاعلاً من محاربة الجهل أولويته الأولى باعتباره من أهم العقبات أمام بناء الإنسان الصالح، ومن ثم المجتمع الصالح"^(١).

▪ "سعى الأستاذ فتح الله كولن إلى بناء منظومة تعليمية تربوية متكاملة، تبدأ من رياض الأطفال، وصولاً إلى الجامعة. وبفضل إصراره حققت حركة الخدمة نجاحات كبيرة في بناء هذه المنظومة. إذ صار الآن لدى الحركة شبكة من المدارس من مختلف المراحل منتشرة في تركيا"^(٢).

شعّر الشيخ كولن بالدور الخطير الذي تلعبه المدرسة والجامعة في عقول الأجيال وإصلاحهم، واقتنع اقتناعاً تاماً بأهمية المدرسة والجامعة .

"حيث كانت الشيوعية منتشرة جداً في بداية الستينات، وكانت الأسر يعترها الخوف من إرسال أبنائهم إلى المدرسة والجامعة خوفاً من تأثير الجامعة على أبنائهم، من هنا كان تركيز الشيخ كولن على التعليم، واقترح أن يقيم نظاماً تعليمياً يحتضن كل الشعب"^(٣).

• "في عام ١٩٦٧م وجّه أنظار الأغنياء ليفتحوا بيوتاً للخدمة التعليمية ، مستلهاً هذه الفكرة من دار الأرقم التي كانت النواة الأولى في تخرج أجيال الصحابة... كان هذا النوع من المنازل التعليمية قد انتشر انتشاراً واسعاً في فترة وجيزة"^(٤).

• "وفي عام ١٩٧١م حدث انقلاب واعتقل الشيخ كولن ، لكن جهوده في التعليم لم تمت ، وكانت الصراعات محتدمة ، لكن الشيخ كولن ظلّ حريصاً على أن يبقى بعيداً عن الصراعات ولا يميل إلى أي جانب وذلك بحرصه أن يبقى بعيداً عن اللعبة السياسية"^(٥).

• "في الثمانينات أصبحت بيوت الطلبة منتشرة في كل أنحاء تركيا ، وفاتحة أبوابها للمتدينين وغيرهم ، ونظراً لأن هذه النوعية من التعليم لم تكن معروفة لدى أجهزة الدولة ، فقد سلمت من العبث والإغلاق ، وأخذت في التوسع والانتشار"^(٦).

١- التعليم أساساً للإصلاح تجربة كولن وبن عاشور نموذجاً، مريم آيت أحمد، ص ٥٥، ط ٢، ٢٠١٤م دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٢ - أشواق النهضة والانبعاث الحضاري، قراءه في مشروع فتح الله كولن، محمد حكيب ، ص ١٢٢ ، ط ٣، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠١٤ م .

٣ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٤ - جولة تاريخية في مدارس كولن الإصلاحية ، نواز صواش، مجلة حراء ص ٦٢، عدد ١١، إصدار عام ٢٠١٦م.

٥ - المرجع السابق، نفس الصفحة .

٦ - مقابلة شخصية للباحث مع الاستاذ نواز صواش احد ابناء حركة الشيخ كولن في مصر ورئيس تحرير مجلة حراء بتاريخ ٢٠١٦/١٠/١٥م.

"وأوجدت هذه البيوت التعليمية لدى الناس قناعة بالاطمئنان في أن يسلموا أبنائهم لبيوت الخدمة التابعة للشيخ كولن، ثم اندلعت أزمة اقتصادية وتعليمية في تركيا، وانطلقت حملة قادها الشيخ كولن لتشجيع القطاع الخاص، للاستثمار في مجال التعليم"^(١).

• إنشاء المدارس :

"في عام ١٩٨٧م كان الشيخ كولن يلقي خطبه ودروسه في المساجد الكبيرة، كمسجد السلطان أحمد، ومسجد السليمانية، كانت طبيعة الدروس التي كان يحضرها عشرات الآلاف من الناس تركز على التربية والتعليم، فاقتنع العديد من مستمعيه بأفكاره فتسابق أشرف المدن وأغنياؤهم لإنشاء المدارس"^(٢).

"تم إنشاء أكثر من مائة مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية، داخل تركيا هذه المدارس تدار بواسطة الحكومة وتدرس بها مناهج الحكومة بالإضافة إلى بعض مناهج الأخلاق"^(٣).

وتمول هذه المدارس من قبل هؤلاء الأغنياء الذين اقتنعوا بفكرة الشيخ كولن"، وكان يطلق عليها اسم مدارس كولن أو مدارس حركة كولن" حرص الشيخ كولن أن يوضح دائما أن هذه المدارس ملك للجميع وليست ملكا لشخص بعينه، لكن عددا كبيرا من الطلبة الذين تخرجوا في هذه المدارس وبعض رجال الأعمال الذين كونوا هذه المؤسسات التعليمية أضافوا اسم كولن عليها في عام ١٩٦٠م وأقيمت هذه المدارس حسب اتفاقية مع هذه الدول"^(٤).

• انتشار المدارس خارج تركيا:

من المحلية إلى العالمية

"بدأ فتح المدارس في دول أخرى خارج تركيا منذ بداية التسعينيات؛ فقد تأسست أول المدارس خارج البلاد سنة ١٩٩١، وذلك في آسيا الوسطى إثر انهيار الاتحاد السوفياتي، فيما كانت التجربة قد بدأت قبل ذلك بسنوات داخل تركيا"^(٥).

١- ندوة نقاشية دعي إليها الباحث بمركز النيل للطباعة والنشر بالقاهرة بتاريخ ٥-٣-٢٠١٥م.

٢- المرجع السابق، ندوة نقاشية.

٣- جولة تاريخية في مدارس كولن الإصلاحية، نواز صواش، مجلة حراء ص٦٢، عدد ١١، إصدار عام ٢٠١٦م.

٤- جولة تاريخية في مدارس كولن الإصلاحية، نواز صواش، مجلة حراء ص٦٢، عدد ١١، إصدار عام ٢٠١٦م.

٥- مسيرة المدارس التركية، محمد أنس أركنة، ص٣٤١، ط٢، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠٠٩م.

"في صيف عام ١٩٩٠م وجه الأستاذ فتح الله كولن دعوة إلى الشعب التركي من على كرسي الوعظ في المساجد السلطانية" إلى نجدة إخوانه في الدم والدين، الذين خرجوا من الاستعمار (الروسي) قبل أن يدخلوا تحت سيطرة استعمار ثانٍ، وبأثر من تلك الدعوة استضاف الشعب التركي في تلك السنة ما يناهز الثلاثين ألف عائلة من آسيا الوسطى، وهو ما أعطى المدارس فيها بعد قاعدة شعبية من كل الناس بعد موجة التعاطف والانخراط الشعبي في المبادرة"^(١).

"دعى الأستاذ كولن إلى فتح طريق آخر، إلى فتح المدارس في تلك البلاد التي انتشرت فيها هذه المدارس، بل أصبحت تحتل فيها مكانة متميزة، ومنها انتشرت الفكرة إلى جميع أنحاء العالم، فباستثناء دول قليلة لاتزال تمنع فتح هذه المدارس مثل إيران وكوريا الشمالية والصين"^(٢).

وهذه المدارس هي على ثلاثة أنواع:-

- أ. مدارس حكومية عامة، وتوجد على الخصوص في آسيا وروسيا.
- ب. "مدارس خاصة (أهلية) خاصة في إفريقيا والباسيفيك وتركيا والبلقان، غير أن العائد المادي لهذه المدارس الخاصة لا يخرج من البلدان التي توجد بها، بل يوجه للتمويل والتطوير الذاتي لمؤسسات التعليم بتلك البلاد"^(٣).
- ج. "مدارس مشتركة (بين القطاعين) وتتركز خاصة في آسيا. هذا فضلاً عن أنواع أخرى من المدارس، كالمدارس الدولية التي توجه خدماتها لأبناء الدبلوماسيين والمقيمين من دول أخرى، ومدارس العلوم، ومدارس الاقتصاد، ومدارس المعلومات، ومدارس اللغات. وتوجد مدارس من هذه الأصناف الثلاثة في حوالي "مائة" دولة"^(٤).
- د. "وقد أنشأت الخدمة أكثر من "مائتين" مدرسة حول العالم من تنزانيا، وكينيا، وأفريقيا الجنوبية، ونيجريا، والسنغال، والنيجر إلى الصين، وكوريا وأفغانستان، وغيرها بالإضافة إلى ست جامعات داخل وخارج تركيا"^(٥).

١ - مدرسة تركية في مصر، محمد الأحمدى أبو النور، مجلة حراء العدد السادس عشر، ٢٠٠٩، ص ٦٢.

٢ - جولة تاريخية في مدارس كولن الإصلاحية، نواز صواش، مجلة حراء ص ٦٢، عدد ١١، إصدار عام ٢٠١٦م.

٣ - مسيرة المدارس التركية، محمد أنس أركنة، ص ٣٤٣، ط ٢، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٤ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

٥ - مدرسة تركية في مصر، محمد الأحمدى أبو النور، مجلة حراء العدد السادس عشر، ٢٠٠٩، ص ٦٢.

وتجدر الإشارة هنا إلى "أن لغة الدراسة في هذه المدارس هي اللغة الانجليزية ، وبالمدرسة الواحدة ما يقرب من "سبعمئة" طالب وطالبة ، وبالمدرسة الواحدة اكثر من "ستين " مدرسًا ، وفي الفصل الواحد ما لا يزيد عن خمسة وعشرين طالبًا"^(١).

" ولهذه المدارس شهرة كبيرة داخل و خارج تركيا، بسبب حصول طلابها على الدرجات العلمية العالمية منذ سنة (١٩٩٠م) تشارك هذه المدارس في المسابقات الدولية ويحقق طلابها -عادة- أحسن النتائج في العلوم المختلفة من كيمياء وفيزياء وغيرها"^(٢).

مما سبق يتضح أن الشيخ كولن اعتمد اعتمادًا كلياً في إنشاء المدارس على دعوته وتجوله للوعظ في المدن المختلفة ، بدعوة الأثرياء للمساهمة في إنشاء هذه المدارس التي كانت بمثابة الحصون الفكرية للطلاب من الفكر العلماني المنتشر حينها وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المدارس لم تأخذ الشكل الأكاديمي في البنى والأنشاء بل كانت عبارة عن بيوت ومساكن تقليدية مقسمة الي فصول يجلس فيها التلاميذ .

١- المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٢- مدرسة تركية في مصر ، محمد الأحمدى أبو النور ، مجلة حراء العدد السادس عشر ، ٢٠٠٩ ، ص٦٣ .

المطلب الثاني

الاهتمام بالمعلم والتلاميذ والمنهج في فكر الشيخ كولن

لقد نجح الأستاذ فتح الله كولن والخدمة في ابتكار أنماط جديدة للرفع من مستوى جودة التعليم والتربية وتكوين الأجيال، بينما كانت بعض القطاعات بصفة خاصة أبعد القطاعات عن التعليم حيث كانوا يرونه مجالاً دنيوياً تشتغل به الدولة.

ولو نظرنا إلى تجربة الشيخ كولن الإصلاحية في مجال التعليم لوجدنا أنها شديدة الشبه بتجربة الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله .

فالشيخ الطاهر بن عاشور لم يشغل في حياته بشيء أكثر من انشغاله بالعمل على إصلاح التعليم كأساس لإصلاح المجتمع؛ ويمكن القول: " إنه من أوائل من أصلوا لإصلاح المجتمع من خلال إصلاح التعليم، ألف كتابه "أليس الصبح بقريب؟" وهو لم يتجاوز خمسة وعشرين عاماً من عمره، بعد أن أمضى ثلاث سنوات في تأليفه، وقد ضمَّنه خلاصة آرائه في إصلاح التعليم، حيث أعلن في هذا الكتاب أن (إصلاح حال الأمة لا يكون إلا بإصلاح مناهج التعليم)^(١).

لقد اعتبر ابن عاشور، التعليم هو وسيلة الرقي بالإنسان وتمييزه عن مرحلة الحيوانية، فقد كتب في كتابه "أليس الصبح بقريب" عن أثر التعليم قائلاً:

"إن العلم يفيد ترقية المدارك البشرية وصقل الفطر الطيبة، لإضاءة الإنسانية وإظهارها في أجمل مظاهرها، فيخرج صاحبها عن وصف الحيوانية البسيط وهو الشعور بحاجة نفسه خاصة، إلى ما يفكر به في جلب مصلحته ومصلحة غيره، بالتحرز عن الخلل والخطأ بقدر الطاقة، وبحسب منتهى المدنية في وقته"^(٢).

كما آمن الطاهر ابن عاشور بأهمية التعليم للارتقاء بالحياة الاجتماعية فكتب قائلاً: "إن العلوم في نشوئها ونموها وتكاملها مرتبطة بحاجة الحياة الاجتماعية، إذ تختلف أعدادها باختلاف الحاجات الداعية إليها"^(٣).

١- أليس الصبح بقريب؟، محمد الطاهر- ابن عاشور. "التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، ص ١٢، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ٢٠٠٦م.

٢- المرجع السابق، ص ١٣

٣- أليس الصبح بقريب؟، محمد الطاهر- ابن عاشور. "التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، ص ١٢، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ٢٠٠٦م.

حيث اعتبر إصلاح التعليم مدخلاً وأساساً للإصلاح الشامل إذ كتب يقول: "فإن دراسة تاريخ العلوم للوقوف على أحوال تطویرها وأطوار نموّها، ولتحديد علل قصورها وأسباب تقهقرها، تصبح مطلباً رئيساً من مطالب أية محاولة للنهوض والإصلاح"^(١).

فكما اهتم الشيخ ابن عاشور بالتعليم كأحد أهم دعائم الإصلاح كذلك كان اهتمام الشيخ كولن:-

لقد جعل فتح الله كولن من التربية والتعليم هاجس كل أسرة تركية، لأنه ظل يلح في كل دروسه ومواعظه على أهمية هذا الموضوع وخطورته .

"أعاد الأستاذ فتح الله كولن صياغة المدرسة والمعلم والتعليم والعائلة كأسرة واحدة، وصاغ هذا النموذج في المعاهد التي أسسها، منتجاً فلسفة تعليم تتداخل فيها المدرسة والأسرة هذا النموذج ربى عدداً كبيراً من كوادر المدرسين الذين يخدمون ويمارسون التعليم بإخلاص في كل مكان في العالم"^(٢).

الأسس التي يقوم عليها مشروع الأستاذ فتح الله كثيرة ومتعددة، ولكن التربية والتعليم هما المرتكزان المحوريان في رؤية فتح الله كولن الشمولية.

فهو عندما يتحدث عن التربية والتعليم يستحضر فكر بديع الزمان سعيد النورسي الذي يذكر بأن: الجهل والفقر والفرقة، هم العدو اللدود للإنسان ، وبأن لكل مرض من هذه الأمراض علاج، فالفقر يعالج بحث الناس على ممارسة التجارة والعمل والكسب الحلال والاجتهاد. وأما الفرقة فيتغلب عليها بالحوار، وبث ثقافة التسامح، وحسن إنصات الأطراف بعضها لبعض، والاقتناع بأن هناك دائماً حيزاً للالتقاء والتفاهم ، ومجالاً مشتركاً في الرؤى والأفكار يمكن الاشتغال حوله وعليه. وأما الجهل فيداوى بالتربية والعلم والمعرفة، على أساس أن التربية والتعليم هي المكون الذي يسبق جميع المكونات الأخرى.

"حافظ فتح الله كولن على الترتيب نفسه عندما كان يؤسس فكر الحركة والعمل، ولذلك جعل من محاربة الجهل المنطلق الأول لكل عملية بناء وتشديد. ومن يتتبع خطواته في محافظة

١ - المرجع السابق ، أليس الصبح بقریب؟ ، ص ١٣

٢- أشواق النهضة والانبعث الحضاري ، د محمد حكيب ص ٢٧٩، ط١، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

"إِزْمِير" على الخصوص سيلاحظ كيف كان حريصا على تأسيس ضوابط تربوية وقواعد تكوينية، تستهدف إيجاد جيل من الرجال حملة المشروع وحملة الأمل في المستقبل....."^(١).

وتظهر اهتمامات الشيخ كولن بالمعلم والتلاميذ والمنهج^(٢) في الآتي :

أولاً: بالنسبة للمعلم:

- ١- الدقة في اختيار المعلم
- ٢- الحرص على جعل الأخلاق سمة من سمات المعلم
- ٣- العناية بتدريبه وتنمية مهارته
- ٤- المعلم القدوة
- ٥- تشجيع التلميذ ومناداته باسمه في بداية الحصة واذكر توقعاتك الإيجابية لما سينجزه.
- ٦- تجنب الصراخ لأنه يزيد السلوك الميال إلى المواجهة .
- ٧- حين يتصرف التلميذ بشكل جيد، أثن عليه، ولا تنتظر الحوادث السلبية للتركيز عليه.
- ٨- ضع أهدافاً يسهل تحقيقها بالنسبة إلى العمل والسلوك، وكافئ التلميذ على إنجاز كل منها.
- ٩- فكر بإعادة توزيع التلاميذ في أماكنهم، فقد يكون من الأفضل وضع هذا التلميذ قريباً من مكتبك قدر الإمكان.

• التحديات التي تتعلق بواقع تربية المعلم:

واجه الشيخ كولن كثيرًا من التحديات والعوائق في مشروعه التعليمي

ومن هذه التحديات التي تكلم عنها وحذر منها : "هي إعدام الهوية الإسلامية و ذلك بسرقة الحضارة و تدميرها عند المسلمين، وأهم مظاهر سرقة الحضارة تجريد الأمة من لغتها مما أدى إلى ضعف إعداد المعلم، و بالتالي عمل ذلك على عدم تنمية القدرة على التفكير السليم والتعبير وعدم بناء الطلاب المعلمين في النواحي الشخصية والاجتماعية"^(٣).

١- أشواق النهضة والانبعاث الحضاري ،د محمد حكيب ...بتصرف ص٢٨٠و٢٨١، ط١، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٢ - التعليم أساساً للإصلاح تجربة كولن وابن عاشور نموذجًا ، مريم آيت أحمد ، ص٥٥، ط ٢ ، ٢٠١٤م دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة

٣ - المرجع السابق، نفس الصفحة .

• تحديات تتعلق باختيار المعلم:

إن اختيار المعلم يضع الأساس لتأهيله لممارسة مهنته، "فإن اختيار على الوجه الحسن وروعي متطلبات مهنته في هذا الاختيار يؤدي ذلك إلى إيجاد معلم قوي مفكر وناقد، ولكن ما نراه الآن من عدم اقبال الطلاب المتفوقون على دخول كليات التربية (مهنة التعليم) إنما يرجع إلى عدة أسباب، منها:-(^١)

١- احتقار المجتمع لمهنة التعليم و عدم تقديرها .

٢- القيود التي تضعها السلطات المسؤولة على كاهل المعلم.

٣- تدني رواتب الموظفين في قطاع التعليم.

٤- كثرة الأعباء الملقاة على المعلم وغيرها

لذلك عزف الطلاب المتفوقون عن دخول كليات إعداد المعلمين مما أدى ذلك إلى تدني مستويات القبول في تلك الكليات و عدم التقيد بمعايير للقبول و نتج عن ذلك ضعف الطلاب المعلمين. و التطلع على أدبيات اختيار المعلمين في الاسلام.

يقول الشيخ كولن: "لا بد من توفر شروط في المعلم و أولها: الالتزام بالأخلاق الاسلامية، و ثانيها: اتقان مهارة التعبير باللغة العربية الفصحى، وثالثها: اتساع ثقافته الاسلامية خاصة والعلمية عامة. هذا بالإضافة إلى الرغبة في العمل بمهنة التعليم و الثبات الانفعالي و الثقافة التكنولوجية"^(٢).

ثانياً: بالنسبة للمنهج :-

انطلاقاً من الرؤية المعرفية للمشروع الإصلاحى للشيخ فتح الله كولن، يمكن التعرف على الخصائص العامة لهذه المؤسسة، وكيف استطاعت في مساحات نجاحها أن تترجم الفكرة إلى واقع حيّ؛ فالفكرة التي تنطلق منها المدرسة وفق هذا النموذج يمكن اختصارها في ركيزتين :
أولاً: "مدرسة فكرية أصيلة ذات منهج فكري وعلمي، ونظرة إلى مختلف العلوم من منظور القرآن والسنة، بنظرة تواكب العصر وتنطلق منه، ، وتقديم نظام تربوي يقدمها من خلال تعليم

١ - معلم القرن الحادي والعشرين ، د.محمود أحمد فؤاد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،ص٣٧.

٢ - التعليم في تركيا حركة فتح الله كولن نموذجاً ، سمير بو دينار ، مجلة حراء ، عدد ٣٦ ، ص١٧.

يغذي الفكر، ممزوجاً بتربية تقوّم السلوك تكون الكلمة العليا فيها للنموذج الصالح، أي التربية بالقُدوة"^(١).

ثانياً: "نظام تربوي يراعي ما يسميه الشيخ كولن بالأوامر الشرعية والأوامر الكونية، ويتجنب الصدام بين العلم والدين أو المناقضة المفتعلة بينهما، متأثراً بالتجربة المريرة من الصراع بينهما في تجربة الغرب الحديث....."^(٢).

إن من يلقي نظرة على فلسفة العلم في أوروبا - يجد أنها قد أوقعت الغرب كله في صراع دائم بين العلم والدين لأمر وأوضاع خصوصية، فخلّف ذلك انفصلاً بين العقل والوحي. هذا المشكل هو السبب الرئيسي للمعضلات المتتابة منذ عصور في النظم الغربية كلها.

وتظهر عناية الشيخ كولن بالمنهج في الآتي:-^(٣)

- ١- الدقة في اختيار منهج يتوافق مع قدرات الطالب العقلية.
- ٢- العمل على تطوير المنهج بما يتوافق مع متطلبات العصر.
- ٣- ربط المناهج الدينية بالعلوم العقلية والتجريبية حتى لا ينعزل الطالب عن الحياة والواقع الذي يعيشه .
- ٤- العمل على تطوير نظام شرح المناهج بحيث يستفيد منها الطالب في جميع مراحل الدراسة .

ثالثاً: بالنسبة للتلاميذ:-

"أصبحت شبكة المدارس الواسعة التي أنشأها طلاب الأستاذ كولن في مختلف أنحاء العالم تحقق مستويات عالية في مستويات التكوين التربوي، وتبعاً لذلك أصبحت السمعة العلمية لبعض هذه المؤسسات تضاهي في سمعتها الأكاديمية بعضاً من أعرق المؤسسات التعليمية في العالم، وإذا كان هذا الأمر مفهوماً في بعض الدول النامية من العالم الثالث (تم منذ ثلاث سنوات في ليبيا فتح مدرسة، وفي السنة الثانية أصبحت أحسن مدرسة في البلد)"^(٤).

١ - التعليم في تركيا حركة فتح الله كولن نموذجاً ، سميح بو دينار ، مجلة حراء ، عدد ٣٦ ، ص ١٧ .
٢ - أشواق النهضة والانبعث الحضاري ، د محمد حكيب ص ٢٨٥ ، ط ١ ، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠١٤ م .
٣ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .
٤ - أشواق النهضة والانبعث الحضاري ، د محمد حكيب ص ٢٨٦ ، ط ١ ، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠١٤ م .

وحيث تتم دراسة تجربة هذه المدارس عن قرب فإن أهم الخلاصات التي يخرج بها الباحث: أن لهذا النجاح أسباباً لا أسراراً، بمعنى أن هذا النجاح فضلاً عن النموذج الإنساني المتميز الذي يقف وراءه بجد واستماتة منقطعة النظير، فهو نجاح مستحق لجهد من الإعداد الفني والاستعانة بكل ما قد يساعد عليه من أسباب ووسائل وخبرات وتجارب، سواء منها ما تعلق بالمستوى المادي من حيث البناء والتجهيز، أو ما يتصل بالأطر التربوية والإدارية، وخاصة معايير الاختيار ومسارات التكوين المستمر للمدرس، أو متطلبات العملية التعليمية من وسائل ومناهج^(١) وتحدد هذه النوعية من المدارس جملة من الأهداف الحاكمة لعملها، وهذه الأهداف المعلنة والمسطرة، أي ما يُسمى بالأهداف التربوية العامة هي:^(٢)

أولاً: تلقين الطالب مواد التعليم بالشكل والمستوى المطلوب (الجانب الأكاديمي).

ثانياً: تهيئة الطلاب ذوي المواهب الخاصة بما يناسب كفاءاتهم واستعداداتهم، حيث انتقلت هذه المدارس كما هو الحال في تركيا مثلاً من التنافس في أولمبياد الرياضيات مع غيرها إلى التنافس فيما بينها.

ثالثاً: استهداف أن تكون عند الطالب خريج المرحلة الابتدائية على الأقل هوايتان لتغطية وشغل أوقات الفراغ، من خلال الأنشطة الموازية (نوادي الهوايات الثقافية في الجانب الثقافي والأنشطة الرياضية).

رابعاً: تأهيل قدرات الطلاب على استخدام تكنولوجيا المعلومات ليس فقط الاستخدام بل البرمجة.

خامساً: العناية بالجانب الخلقى من العملية التربوية المستوى العالي من الآداب والسلوك.

سادساً: تنمية مستوى اللغة المحلية (التركية، الإنجليزية، العربية).

سابعاً: تنمية مستوى الوعي التاريخي للطلاب، بهدف أن يصير الطالب طرفاً متفاعلاً مع تاريخه وبالتالي مع واقعه.

١ - زيارة الباحث لمدرسة صلاح الدين الدولية التابعة لحركة الشيخ كولن في مصر بالتنوع الخامس، تاريخ الزيارة (١٣) - أكتوبر - ٢٠١٦م.

٢ - التعليم في تركيا حركة فتح الله كولن نموذجاً، سمير بودينار، مجلة حراء، عدد ٣٦، ص ١٧.

من خلال ماسبق يتضح أن:

تجربة الشيخ كولن في مجال التعليم، تجربة ممزوجة بالدين والواقع فلا يتصادمان بل يلتقيان ، حيث طور المناهج وصبغها بصبغة عصرية تتناسب مع العصر مستمدة أصالتها من نور الوحي الذي لا يتعارض البتة مع الواقع ، ثم هياً لهذا المنهج أساتذة ومعلمين، امتلكوا القدرة الفائقة على هضم هذه المناهج وتدريبوا كيف يقنعوا تلاميذهم بما يدرسه في ساحة المدرسة، فاستطاع الشيخ كولن بذلك أن يجعل المدرسة اسرة ثانية للتلميذ تحتضنه وترعاه تربوياً وعقلياً وفكرياً، وبهذه الاسس والمرتكزات نجح في خلق جو علمي مستنير ومتميز .

المطلب الثالث

أسس التربية في مدارس كولن

يرى الشيخ كولن أن مشكلة التعليم والتربية ليست موجودة في تركيا فقط، بل هي موجودة وبشكل حاد وجذري، في المدينة المعاصرة، وبلغ من اهتمامه بضرورة التعليم والتربية، حتى كاد أن يجعلها من أسس الإيمان. لأن من أهم أسباب القلق والضياع في المجتمعات الغربية، في رأيه الذي عبّر عنه في مؤلفاته وأحاديثه الصُحُفِيَّة: "تمزق وحدة العقل والقلب في الفكر العلمي وفي النظام التعليمي. وما لم تحقق الوحدة في النظام التعليمي والتربوي، وتؤسس العلاقة الفطرية والطبيعية بين الإنسان والكون والله، كما يرى فتح الله كولن، فلا يوجد أي أمل ولا أي فرصة للخروج من هذا القلق والضياع".^(١)

• الأسس التي قامت عليها مدارس فتح الله كولن:-

أولاً: "الأخذ بنظر الاعتبار مراعاة مقتضيات العصر وكذلك المتطلبات الخاصة لكل بلد بخصوص التربية والتعليم من الناحية الإدارية"^(٢).

ثانياً: التركيز على تعليم علوم الرياضيات والعلوم الوضعية الأخرى بشكل جيد.

ثالثاً: "التعليم باللغة الانجليزية، باعتبارها أوسع اللغات انتشاراً في العالم. وجعل اللغة العربية هي الأساس بل هي الأم في المنظومة التعليمية"^(٣).

رابعاً: "الاهتمام بتعليم اللغة الرسمية لكل بلد، وتدريس تاريخه وثقافته"^(٤).

خامساً: يتم اختيار الأساتذة من خريجي أفضل الجامعات التركية، ومن أساتذة البلد التي فتحت فيه المدرسة.

سادساً: "الاهتمام بالاشتراك في المسابقات العلمية الدولية من أجل رفع مستوى التعليم والتربية في هذه المدارس، فمثلاً نالت مدارس البانيا في المسابقات العلمية العالمية في سنة ٢٠٠٨م

١ - مدارس الغد وجامعات المستقبل^٣ عبد القادر الإدريسي، مجلة حراء، عدد ٣٣، اصدار عام ٢٠١٣م، ص٣٥.
 ٢ - طرق الارشاد في الفكر والحياة، فتح الله كولن، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص٩٤، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.
 ٣ - مدارس الغد وجامعات المستقبل^٣ عبد القادر الإدريسي، مجلة حراء، عدد ٣٣، اصدار عام ٢٠١٣م، ص٣٥.
 ٤ - أشواق النهضة والانبعاث الحضاري، د محمد حكيب... بتصرف، ص٢٨١، ط١، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠١٥م.

أربع ميداليات ذهبية وخمس برونزية. ونالت باكستان ميداليتين ذهبيتين وفضيتين وستة برونزيات وفي استراليا - التي تعد من الدول المتقدمة في ساحة التربية والتعليم - احتلت المدرسة الثانوية التركية المرتبة الأولى في مدينة "مبلورن"^(١) في مجال فوز خريجها بالقبول في الجامعات. وفي المسابقة العلمية الأولمبية التي جرت في تايلاند باسم الملكة كان الفائز الأول خريج المدرسة التركية هناك وقد استلم جائزته من يد الملك شخصياً^(٢).

"كما اشتركت تسع وعشرون مدرسة من هذه المدارس الموجودة في كازاخستان عام (٢٠٠٥م) في المسابقات العالمية التي جرت في إندونيسيا، وطاجكستان، وموسكو، وتركيا والبرازيل، وحازت على إحدى وعشرين جائزة في الرياضيات وعلى عشر جوائز في الكيمياء وعلى عشر جوائز في علم الأحياء وعلى ست جوائز في علوم الحاسبات الالكترونية وعلى ست جوائز في الفيزياء"^(٣).

سابعاً: "يلقن الطلاب في هذه المدارس خلق الاستقامة والوفاء والصبر والرحمة والمحبة والتضحية والابتعاد عن الكذب والخديعة والعادات السيئة الضارة، وتقوى هذه القيم الموجودة في فطرتهم وتحبب اليهم هذه الفضائل بمختلف الطرق دون اللجوء إلى الشدة والقوة"^(٤). وأهم عامل يساعد على نجاح هذا الأمر خلق أساتذتهم ومعلميهم الذين وقفوا انفسهم لله وطرز حياتهم وأسلوبهم في التعامل.

ومن الأمثلة على ذلك: "في إحدى المدارس التركية في كازاخستان قال المعلم لطالب يدخن السجائر "أنت ولد طيب ويجب عليك أن تستمر على الدوام في المداومة. وأنا لا أحب

١ - ملبورن (بالإنجليزية: Melbourne) هي عاصمة ولاية فيكتوريا الأسترالية، وأكبر مدنها. تعتبر ثاني أكبر مدن أستراليا بعد سيدني، وعدد سكانها ٤,٠٧٧,٠٣٦ نسمة (عام ٢٠١٠). مساحتها ٨٨٦٠ كم٢ وتصل مساحة منطقتها الحضرية إلى ٦,١٠٠ كم٢، وهو ما يعرف بملبورن الكبرى، حيث تمتد الضواحي الشمالية والغربية عن مركز المدينة بنحو ٢٠ كم، وتمتد الضواحي شرقاً إلى ٤٠ كم، ويصل أقصى امتداد لها صوب الجنوب الشرقي إلى ٥٠ كم (المصدر: مجلة نسمة التركية، عدد٧-إصدار عام ٢٠١٧م، ص٤٣).

٢ - مدارس الغد وجامعات المستقبل ' عبد القادر الإدريسي، مجلة حراء، عدد٣٣، اصدار عام ٢٠١٣م، ص٣٥.

٣ - التجربة التركية في مجال الوسطية، سعاد يلدرم، بحث مقدم للمنتدى العالمي للوسطية، عمان، ٢٠٠٨، ص١٠.

٤ - مدارس الغد وجامعات المستقبل ' عبد القادر الإدريسي، مجلة حراء، عدد٣٣، اصدار عام ٢٠١٣م، ص٣٦.

أن تتعد عن المدرسة بسبب التدخين . ولكي لا يعلم أحد بتدخينك للسجائر خذ مفتاح غرفتي ودخن فيها سرّاً متى أردت.. وبعد فترة قصيرة أقنع الطالب عن التدخين طواعية"^(١) .

من جهة أخرى يقول ولي أمر أحد الطلاب الروس : "إنني أستطيع أن أُميّز طلاب هذه المدرسة وأساتذتهم عن بعد مائة متر بين زحام الناس . فكلامهم وحديثهم ومشيتهم وحركاتهم وسكناتهم تختلف عن بقية الناس ، أميزهم من ورع وجوهرهم وطلاقتها"^(٢) .

ثامناً : "تولي هذه المدارس أهمية كبيرة للنشاطات الاجتماعية ، فعلاوة على إقامة علاقات وثيقة بين الطلاب أنفسهم فهم يقيمون علاقات وثيقة مع مجتمعهم وثقافتهم . وتقوم إدارة المدرسة بتوثيق العلاقات بين أولياء أمور الطلاب أيضاً وتسهيل طرق التعارف بينهم ؛ وذلك بإعطاء مساعدات غذائية للفقراء منهم وإعطاء لحوم الأضاحي ودعوتهم للإفطار كل يوم في شهر رمضان"^(٣) .

"كما أنّ من جملة الخدمات التي تقدمها هذه المدارس ، قيام وقف "العمرية" المرتبط بهذه المدارس في كينيا بإفطار الف وخمسمائة شخص يومياً في شهر رمضان في عشر جوامع ، وقيام بعض المدارس بحفر آبار مياه في البلدان التي تعاني من الجفاف" مثل النيجر" كما نظمت مدارس ألبانيا احتفالات بمناسبة المولد النبوي الشريف شارك فيه رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس البرلمان ورئيس الدائرة الدينية وغيرهم"^(٤) .

تقوم هذه المدارس في العديد من البلدان بإعطاء فرصة التعليم للأقليات المسلمة الموجودة فيها فمثلاً: "يذكر كثير من مسلمي الفلبين بأنهم كانوا يخشون من إرسال أبنائهم إلى المدارس خوفاً من تنصرهم ، فلما وجدوا مدرسة تركية هناك بدأوا بإرسال أبنائهم إليها . وفي نيجيريا حاز لأول مرة وبعد خمس وعشرون سنة حصل طالب مسلم متخرج من إحدى المدارس التركية هناك على الجائزة الأولى في المسابقة العلمية الأولمبية التي جرت هناك"^(٥) .

١- أشواق النهضة والانبعث الحضاري ، د محمد حكيب ... بتصرف ، ص ٢٨١ ، ط ١ ، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠١٥ م .

٢ - المرجع السابق نفسه ، نفس الصفحة

٣- حصل الباحث على دعوة في شهر رمضان لمناقشة بعض القضايا الخاصة بحركة الشيخ كولن ، ٢٠١٦ م .

٤ - التجربة التركية في مجال الوسطية ، سعاد يلدرم ، بحث مقدم للمنتدى العالمي للوسطية ، ص ١٣ ، عمان ، ٢٠٠٨ .

٥- التجربة التركية في مجال الوسطية ، سعاد يلدرم ، بحث مقدم للمنتدى العالمي للوسطية ، ص ١٥ ، عمان ، ٢٠٠٨ .

تاسعاً: استطاعت هذه المدارس بفضل تعليم وتربية الطلاب من الأجناس والأعراق والديانات المختلفة اظهار الوجه الحقيقي للإسلام .

فعلى سبيل المثال: "في روسيا يدرس التتري والروسي والأوكراني والتركي في المدارس التركية جنباً إلى جنب ، ولعبت كذلك هذه المدارس دوراً في إنقاذ قسم من أجيال المسلمين من تأثيرات غير المسلمين كما تقوم المدارس التركية في مختلف البلدان بمراقبة التوازنات السياسية والإدارية فيها ومراعاة لهذا الأمر لا تقوم بإبداء أي تحيز قومي أو عنصري عند قبولها الطلاب فيها....."^(١).

بسبب هذه المواصفات والمزايا والأسس التربوية في مدارس كولن، حصلت هذه المدارس في تركيا وفي البلدان الأخرى على تقدير وثناء وإعجاب رؤساء الدول ووزراء التربية والتعليم ، والمربين المتتسين إلى وسائل الإعلام.

وتظهر نجاحات هذه المدارس في الساحات العلمية ، والأخلاقية ، والثقافية ، والاجتماعية ، وبجانب كون الطلاب المتخرجين من هذه المدارس أشخاصاً صالحين مفيدين لبلدانهم فهم منفتحون على الخارج. وهكذا يتم الإعلان للعالم كله أن الإسلام - الذي أنشأ هؤلاء - إنما يمثل الوسطية والاعتدال .

١- التجربة التركية في مجال الوسطية ، سعاد يلدرم ، بحث مقدم للمنتدى العالمي للوسطية ، ص ١٦ ، عمان ، ٢٠٠٨ .

المطلب الرابع

مرتكزات العمل التربوي في مدارس كولن

تسعى هذه الدراسة في هذا المطلب إلى الكشف عن مرتكزات تربية الإنسان الجديد عند الأستاذ كولن، وبيان رؤيته في تربية الإنسان الجديد، من خلال القراءة في كتابي "ونحن نقيم صرح الروح" و"ونحن نبني حضارتنا" وذلك لتعلقها بموضوع الدراسة.

اعتمدت حركة الإصلاح المعرفي الإسلامي في العصر الحديث على "التربية" كسبيل للإصلاح وطريقٍ للنهضة المنشودة، وقد ظهر ذلك واضحًا عند الإمام محمد عبده (١٨٤٥م - ١٩٠٥م)^(١) في تصحيحه للمفاهيم العقديّة لاسيما عقيدة الجبر، وهو ما عبر عنه في رسالة "التوحيد" ومقالاته في "العروة الوثقى"^(٢). حيث أكدت هذه المقالات على دور التربية الإسلامية لتحقيق الانتماء الإسلامي ومواجهة موجات التبشير والتغريب، ورسمت - أيضًا - هذه المقالات - ملامح التغيير السياسي والاجتماعي المطلوب في الأمة الإسلامية. كما نادى محمد عبده بإصلاح برامج التعليم في الأزهر ومناهجه، بشكل يتلاءم مع فكرة الاجتهاد وتطورات الزمان.

١- ولد محمد بن عبده بن حسن خير الله سنة ١٢٦٦هـ الموافق ١٨٤٩م في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت في محافظة البحيرة لأبٍ كان جدّه من التركمان ، وأمٍ مصرية تنتمي إلي قبيلة بني عددي العربية. درس في طنطا إلى أن أتم الثالثة عشرة حيث التحق بالجامع الأحمدي. يُعدّ "الإمام محمد عبده" واحدًا من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة؛ فقد ساهم بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية. وقد تأثر به العديد من رواد النهضة مثل عبد الحميد بن باديس ومحمد رشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي. توفي في الساعة الخامسة مساء يوم ١١ يوليو عام ١٩٠٥م / ٧ جمادى الأولى ١٣٢٣ هـ توفي الشيخ بالإسكندرية بعد معاناة من مرض السرطان عن ست وخمسين سنة، ودفن بالقاهرة ورثاه العديد من الشعراء.(المصدر: الأعمال الكاملة، محمد عبده. ت. محمد عمارة بيروت ١٩٧٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ج(٣) ص٥٣٠).

٢ - عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده، عباس محمود العقاد، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨١م، ص١٣٤ .

كما ربط "عبدالرحمن الكواكبي" ^(١) بين التربية والاستبداد في علاقة جدلية متبادلة في مؤلفه "طبائع الاستبداد ومصارع العباد" وأوضح دور التربية الفعال في بناء المجتمع الإسلامي إذا صحت من أمراضها لاسيما داء الاستبداد ^(٢)

أما الشيخ ابن باديس ^(٣) (١٨٨٩م - ١٩٤٠م) "فقد دعا إلى تكوين المواطن المؤمن المتميز عن المستعمر المعتصب عن طريق التربية بهدف إحداث التغيير الاجتماعي للأمة الجزائرية التي أرادت فرنسا احتواءها" ^(٤). حيث أكد على تحقيق العبودية الخالصة لله في الحياة الفردية والاجتماعية وربط الأجيال بالذات والحضارة الإسلامية. وقد أسس في سبيل تحقيق هذه الأهداف جمعية العلماء المسلمين في الجزائر والتي تفرعت عنها المؤسسات والمعاهد التربوية.

والمأمل في كتاب الله (ﷻ) وسنة نبيه (ﷺ) يجد الاهتمام الواضح بالإنسان، فهو مخلوق مكرم، سخر الله (ﷻ) كل ما في الكون لخدمته، فقد فضله الحق على كثير من مخلوقاته يقول تعالى: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}** ^(٥) وكرمه (ﷻ) بنعمة العقل وأنعم عليه بأدوات العلم والمعرفة، يقول تعالى: **{وَاللَّهُ**

١ - عبد الرحمن أحمد بهائي محمد مسعود الكواكبي (١٢٧١ هـ / ١٨٥٥ - ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢م) أحد رواد النهضة العربية ومفكرها في القرن التاسع عشر، وأحد مؤسسي الفكر القومي العربي، اشتهر بكتاب «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»، الذي يعد من أهم الكتب العربية في القرن التاسع عشر التي تناقش ظاهرة الاستبداد السياسي.

عندما بلغ عبد الرحمن الكواكبي الثانية والعشرين من عمره، التحق كمحرر بجريدة «الفرات»، وكانت جريدة رسمية تصدر في حلب، ولكن إيمانه بالحرية وروح المقاومة لديه دفعته لأن يؤسس هو وزميله السيد هشام العطار أول جريدة رسمية عربية خالصة وهي جريدة «الشهباء»، ولم تستمر سوى خمسة عشر عدداً؛ حيث أغلقتها السلطات العثمانية بسبب المقالات النقدية اللاذعة الموجهة ضدها. وقد اشتغل الكواكبي بالعديد من الوظائف الرسمية، فكان كاتباً فخرياً للجنة المعارف، ثم مُحَرِّراً للمقالات، ثم صار بعد ذلك مأموراً بالإجراءات (رئيس قسم المحضرين)، كما كان عضواً فخرياً بلجنة القومسيون. وكذلك كان يشغل منصب عضو محكمة التجارة بولاية حلب، بالإضافة إلى توليه منصب رئيس البلدية.

سافر الكواكبي إلى الهند والصين، وسواحل شرق آسيا وسواحل أفريقيا، كما سافر إلى مصر حيث لم تكن تحت السيطرة المباشرة للسلطان العثماني عبد الحميد، وذاع صيته هناك، وتعلم على يديه الكثيرون، وكان واحداً من أشهر العلماء. وقد أمضى الكواكبي سنين حياته مُصْلِحاً وداعياً إلى النهوض والتقدم بالأمة العربية ومقاومة الاستبداد العثماني، وهو الأمر الذي ربما ضاق به السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ذرعاً. توفي في ظروف غريبة عام ١٩٠٢، وقد زعم أقاربه أن عملاء للعثمانيين قد دسوا للكواكبي السم في فنجان القهوة، وهو أمر لم يتم التأكد منه. (المصدر: عبد الرحمن الكواكبي: "سيرة ذاتية" دار بيسان، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ١٥١٢_ بتصرف اتحاد الكتاب العرب - دمشق).

٢ - طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبدالرحمن الكواكبي. تقديم: أسعد السحمراني، بيروت دار النفائس، ط ٣، ٢٠٠٦، ص ١١.

٣- سبق التعريف بالشيخ من قبل .

٤ - آثار ابن باديس ، د. عمار الطالبي ، ج ٢، ص ١٦٥. ط الجزائر ١٩٨٥م

٥- سورة الإسراء: آية ٧٠

أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا^(١). وقد بين الإسلام الأسس والقواعد التي تضمن للإنسان التربية السليمة، منذ أن يكون نطفة في رحم الأم إلى أن يبلغ ما شاء الله أن يبلغه من العمر، وأوكل أمر تربيته في المراحل الأولى للحياة إلى الوالدين وبعد ذلك يُعَدُّ مسؤولاً عما يقوم به من أعمال.

وقد ربَّى النبي (ﷺ) أصحابه الكرام على آيات الكتاب الحكيم، فكانوا مشاعل نور تمشي على الأرض، ووصل الإسلام بفضلهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، وسار على نهجهم التابعون رضوان الله عليهم فكانوا كذلك أصحاب منهج دعوي فريد يتأسى المسلمون به إلى وقتنا الحاضر. وعندما ابتعدت المجتمعات المسلمة عن مصدري الدين (الكتاب والسنة)، واجه العالم الإسلامي أشدَّ أزماتة فتعدى عليه الخصوم ونهبوا خيراته، وشاعت الأمراض في المجتمعات، وتأثر الإنسان المسلم من حيث الفكر والسلوك بما ظهر في تلك المجتمعات في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية، وفي ظل هذا الواقع ظهر من المفكرين المسلمين من يدعو إلى الاهتمام بتربية الإنسان من جديد في فكره وسلوكه ونظام حياته، ودعوته إلى العودة الصادقة إلى منبع الهداية الربانية والمتمثلة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه (ﷺ).

■ والشيوخ فتح الله كولين من المفكرين الذين اهتموا بتربية الإنسان وفق منظومة تربوية فكرية وأخلاقية مستمدة من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه (ﷺ)، وسيرة السلف الصالح في الماضي والحاضر، وتظهر هذه المنظومة من خلال المؤلفات والرسائل والمقالات التي كتبها الأستاذ كولين: "فقد أشار في هذه المؤلفات إلى قيم الإيمان، والمسؤولية والشورى، وحثَّ على إعادة تربية الأجيال بشعائر الثقافة الذاتية للأمة وإلى ضرورة الانبعاث الحضاري من جديد"^(٢).

حيث تركز الرؤية التربوية عند الأستاذ فتح الله كولين على ثلاثة مرتكزات هي: "غرس القيم، وتلقين العلوم والمعارف، ثم الانضباط الفردي.. على أن لكل هذه العناصر ارتباط متين بعنصر أمتن وهو نيل رضى الله تبارك وتعالى"^(٣).

١ - سورة النحل: آية ٧٨

٢ - ونحن نقيم صرح الروح، محمد فتح الله كولين.....بتصرف، ، ص١٢، ط٢ دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة، ٢٠١٣م.

٣ - ونحن نقيم صرح الروح، محمد فتح الله كولين.....بتصرف، ، ص١٢، ط٢ دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة، ٢٠١٣م.

فالتربية التي يريد ها الشيخ كولن والتي اجتهد وعمل من أجلها تهدف إلى إيجاد إنسان له شعور بالمسؤولية تجاه ذاته والآخرين وواقعه.

• **المرتكز الأول: الصلة بالله عز وجل:**

" يُقصد بالصلة العلاقة بين العبد وخالقه عز وجل، والتي تقوم على أساس أن الله هو المعبود والإنسان هو العابد، فهي علاقة عبودية، فالله عز وجل هو خالق الإنسان، بيده أمره ومصيره، اعترف بذلك أم أنكرك، فالمهم هو الإحساس بهذه الصلة وقوة الشعور بها واستحضارها في النفس"^(١)

والصلة بالله تجعل الإنسان يحاسب نفسه على ما يصدر منها يقول سبحانه:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتُنظِرْ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ^(٢)

ويركز الأستاذ فتح الله كولن على بيان حقيقة الصلة بالله فهي الصفة الأولى لوارثي الأرض أو للإنسان الجديد الذي هو الأساس في الانبعاث الجديد للأمة، وأن هذه الوراثة لن تتحقق إلا باللجوء إلى الله والعودة إليه يقول كولن: "ولئن حَرَمَ مالُكُ الملكَ الحقُّ الإِراثَ عمن ادعى وراثة الأرض الحقيقية في مرحلة تاريخية كثيفة بالضباب والزمان، لأنهم لم يبذلوا الجهد اللائق بالوراثة السماوية كما ينبغي فإن الخلاص من هذا الحرمان يبدأ من اللجوء إليه تعالى مجدداً"^(٣)

• ويُنَبِّه الشيخ كولن إلى عدم الاغترار بالحضارة المادية؛ لأنها منقطعة الصلة بالله تعيش بلا قيم روحية، يقول الشيخ كولن: "قد اعترى الغرب في القرون الماضية نسيانٌ لِقِيَمِهِ الدِّينية ووصايا السيد المسيح، فشن أهله الحروب في القارات، وأشاعوا الرق والاستغلال أينما حلوا... فهذا العالم يتباهى بالعلم والتكنولوجيا إزاء الفراغ والاكتئاب الذي أوجده في الحياة الاجتماعية نتيجة لخطئه العظيم في تحديد نقطة الانطلاق..."^(٤)

• **المرتكز الثاني: بث الوعي:**

١ - نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، محمد المبارك، ص ٨٦ دار الفكر - بيروت، ط ٤، ١٩٧٥ م.

٢ - سورة الحشر: آية ١٨

٣ - ونحن نقيم صرح الروح، محمد فتح الله كولن بتصرف، ، ص ١٣، ط ٢ دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة، ٢٠١٣ م.

٤ - ونحن نبني حضارتنا، محمد فتح الله كولن، بتصرف، ص ٩٨، ، ط ٢، ٢٠١٣ م، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

"يُعرّف الوعي بأنه إدراك الفرد لنفسه ولعناصر الموقف أو البيئة أو المجتمع الذي يحيط به"^(١)، ويعرف بأنه جماع العمليات العقلية التي تشترك في فهم الإنسان للعالم ولنفسه ويرتبط بنشاط الإنسان وبتطور اللغة^(٢).

والتأمل في كتابات الأستاذ فتح الله كولن يلحظ بوضوح إدراكه الواضح لحال الأمة وسبل الخلاص اللازمة لخروج الأمة من أزمتها وهذا ما كان يبثه في ثنايا الكتاب، وقد حاول الأستاذ كولن بث الوعي وتربية الأفراد على الوعي، ومن أهم المسائل التي أشار إليها وألحّ في توضيحها الآتي:

أ. الوعي بأزمة العالم الإسلامي:

يعيش العالم الإسلامي واقعاً مريراً، في الجوانب الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، فبلاد الإسلام أصيبت من شرقها إلى غربها بالشلل الفكري واستهدفت بالغزو الفكري الذي زلزل عوامل القوة الكامنة في الإسلام، وقد كان هذا الواقع المريع يعيش مع الأستاذ كولن في كتبه ومقالاته ووعظه. فالعالم الإسلامي ومنذ زمن طويل تنازل عن مكانته في قيادة الإنسانية، وأصبح متطفلاً على موائد الآخرين، فالركود والضعف والهوان صفات لازمة للعالم الإسلامي، ويُشخص الأستاذ كولن هذا الواقع بقوله:

"يمر العالم الإسلامي كله في عصره القريب الأخير، بأشد أزمات واجهته في تاريخه، من حيث الاعتقاد والأخلاق، والنمط الفكري والمعارف والصناعة والعادات والتقاليد والأوضاع السياسية والاجتماعية..."^(٣)

ويرى الشيخ كولن: " أن العالم الإسلامي يعيش في دائرة مُفرّغة، إذا ما تقدم خطوة أعقبها خطوات إلى الوراء وانحرف عن سواء السبيل، بل إن السير المشؤوم أو الانحرافات التي يعيشها العالم الإسلامي أثّرت على الجهود التي تبذل في سبيل العودة إلى الذات، بل تعرضت الأعمال الطيبة ورجالها إلى التزلزل من الأعماق"^(٤).

١ - معجم علم النفس الطب النفسي، جابر عبد الحميد، وعلاء الدين كفاي، ص٤٥، ٣٥، دار النهضة العربية، بالقاهرة ط١، ١٩٨٨.

٢ - المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم حنفي، دار النهضة - القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م، ص٤٦٣.

٣ - أشواق النهضة والانبعث قراءات في مشروع الاستاذ فتح الله كولن، د محمد حكيب، ص٢٩٨ ط الأولى ٢٠١٣ دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

٤ - ونحن نبني حضارتنا ، محمد فتح الله كولن، ص١١، ٢، ٢٠١٣ م، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة

ب. الوعي بأسباب الأزمة وسبل الخلاص:

يقول الشيخ كولن: "ومن أشد ما يؤلم أن هذا العالم وقد ابتعد عن المحركات التاريخية والقيم الإسلامية التي رفعت هامته قرونًا طويلة فوق أسيرًا في قيود الجهل والانحلال الخلقي والخرافة والأهواء البدنية والجسمانية، فانحدر من هنا إلى مهاوي الظلام والخسران..."^(١) ومن سُبُل خلاص الأمة مِمَّا هي فيه الالتجاء إلى القيم الذاتية، والتي جعلت ماضي الأمة عظيمًا، وستجعله في المستقبل كذلك.

يقول كولن: "إنَّ سعينا لتحقيق هذا الأمل وانتظارنا له هو حقنا وواجبنا وضرورة إيماننا ومن اللوازم أثناء استعمال حقنا، والإيفاء بواجبنا أن نراجع ماضينا المجيد باستمرار ونلجأ إلى قيمنا التي جعلت أمسنا زاخرًا بالعظمة..."^(٢)

المرتكز الثالث: الحركية والفكر:

يرى الأستاذ فتح الله كولن "أنه لا بد من تربية وارثي الأرض على الحركية والفكر لتحقيق الانبعاث الحضاري من جديد. الحركية التي ينطلق منها لتربية الإنسان في القدرة على الدعوة والتأثير وإيصال رسالة الإسلام إلى الآخرين"^(٣).

أما الفكر فهو: "تفريغ داخل الإنسان من أجل أن يتسع المكان للتجارب الميتافيزيقية في أعماق داخله بالذات، هذا هو أول مدارج الفكر، وأما المدرج الأخير في ذلك السلم فهو الفكر المتحرك"^(٤).

فالفكر ليس حالة ذهنية يعيشها الإنسان بل هو استيعاب جميع تجارب الإنسانية بداخله ثم الحركة بعد هذا الاستيعاب. "وبهذا يرد الشيخ كولن على من يقول إن الفكر أو الفكر الإسلامي يتعلق بالقضايا الذهنية والجهود العقلية أي هو تصورات وكماليات متعلقة بالإنسان والكون والحياة دون أن يكون له ثمرة في السلوك"^(٥).

١ - ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ص ١٠، ط ٢، ٢٠١٣ م، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٢ - ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ...، ص ١٠.. مختصر، ط ٢، ٢٠١٣ م، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٣ - ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، ص ١٢-١٣، ط ٢، ٢٠١٤ م، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٤ - ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، ص ٢٢، ط ٢، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة، ٢٠١٤ م.

٥ - ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، مختصر، ص ٥٢، ط ٢، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة، ٢٠١٣ م.

والحركية التي يريدها الأستاذ كولن، يقول: " يجب أن تكون منضبطة ومنطلقة من الفكر الإسلامي الذي هو مجموعة المفاهيم والتصورات والمبادئ والعقائد التي يؤمن بها الإنسان ومصدرها الوحي الإلهي المتمثل في الكتاب والسنة، أو التصورات البشرية المنضبطة بالوحي الإلهي"^(١)

ويحذر الشيخ كولن من الانفصام بين الحركة والفكر، فيرى الشيخ كولن: " أن الحركة من غير فكر تؤدي إلى الفشل والفوضى، والأفكار الجامدة من غير حركة تبقى تصورات ذهنية"^(٢).

- إن غياب التربية الإيمانية في بناء الشخصية المسلمة من أسباب التراجع الحضاري للأمم، فالانفصال القائم بين اعتقاد المسلم وبين واقعه وفعله وسلوكه، نتج عنه غياب القيم الإسلامية في الواقع الاجتماعي للأمم، وغابت قيم "النقد" و"المراجعة" و"المساءلة" الحضارية فغابت معها القدرة المنهجية التربوية على تشخيص واقع الأمة ومرضها الاجتماعي والحضاري فغاب معه طرح العلاج المناسب لها فطال الألم وزاد المرض.

المرتکز الرابع : القدوة ودورها وتأثيرها في النفوس:

جاء القرآن الكريم يبين موقع وأهمية القدوة في التربية وتعديل السلوك، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}^(٣).

فالآية الكريمة تبين أهمية القدوة في المجتمع، وما لها من تأثير واضح على أفراد المجتمع، لذا جعل الإسلام القدوة الدائمة في شخص المصطفى (ﷺ)، فهو عليه الصلاة والسلام قدوة متجددة على مر الأجيال وفي واقع الناس.

" ولا تعرض التربية الإسلامية هذه القدوة للإعجاب والتأمل، إنما تعرضها على الناس ليحققوها في ذوات أنفسهم بقدر ما يستطيع كل فرد منهم وبقدر ما يصبر على الصعود"^(٤).

لذا فالقدوة من أفضل الوسائل وأقربها إلى النجاح، فمن السهل تأليف كتاب في التربية ومن السهل تصور منهج، ولكن يظل هذا غير ذي جدوى ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في

١ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٢ - ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، ص٢٢، ط٢، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة، ٢٠١٤ م.

٣ - سورة الأحزاب آية : ٢١.

٤ - أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٧٥، ط٢، م٢٠٠٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

واقع الأرض، وما لم يترجمه البشر بسلوكيات وتصرفات حقيقية، فعندئذ يتحول المنهج إلى حقيقة وواقع.

بناء على ما تقدم فإن "التربية" في مدارس كولن، تقوم على مجموعة من المبادئ والمنطلقات الفكرية وهي:-

أولاً- "جوهرية فكرة" التغيير الذاتي" لتوليد المجتمع الجديد الذي يحمل قيم الحضارة والفاعلية والشروط الأخلاقية والمادية ذات الرسالة العمرانية"^(١)

ثانياً- "تجديد كيان الإنسان طبقاً للتعاليم الإسلامية، ومناهج العلم الحديث بحيث لا ينفصل عن أصلته (ذاته) وواقعه ومستجداته العلمية"^(٢).

ثالثاً- التأكيد على محورية "الوعي": الوعي بالذات، والوعي بالماضي والوعي بالحاضر والمستقبل.
رابعاً- "تحقيق التفاعل والتوازن بين العوامل الثلاثة المشكلة للحضارة: عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء بما يبلغنا مجتمع التحضر ومجتمع الحضارة"^(٣).

خامساً- تحقيق التفاعل والتوازن بين العوامل الثلاثة المشكلة للحضارة: عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء بما يبلغنا مجتمع التحضر ومجتمع الحضارة.

سادساً- "تحديد النماذج العليا والأفكار المثالية في العالم الثقافي الذي يستمد مرجعيته من الأفكار المطبوعة (الوحي) والسيرة التاريخية الأولى له، بما يساهم في بناء الإنسان الجديد الذي يتوافق سلوكه في المسجد مع سلوكه في الشارع، أي يتوافق ما يعتقده من قيم مع ما يسلكه في واقعه"^(٤).

هذه أبرز سمات العمل التربوي في فكر ومدارس كولن، والتي تنطلق من الإسلام والدعوة العملية لمقاصده، وتهدف إلى إعداد الإنسان المسلم ليقوم بدوره في أداء الرسالة الملقاة على عاتقه على أتم وأكمل وجه، وهناك سمات أخرى تحدث عنها كولن وهي: الذاتية والاستقلال، والتشبع بالأخلاق والقيم الإنسانية، التحرك في كل الدوائر، ابتداءً بالدائرة الوطنية (تركيا) ثم الدائرة القومية (بلدان الأتراك وسط آسيا) مروراً بالدائرة الإسلامية "العالم الإسلامي" وصولاً إلى الدائرة الإنسانية الرحبية "العالم أجمع".

١- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، فؤاد البناء، ص ٨٠، الطبعة الثانية دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٢- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، فؤاد البناء، ص ٨١، الطبعة الثانية دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٣- المرجع السابق، نفس الصفحة.

٤- ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ص ٥٤، ط ٢، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة، ٢٠١٣ م.

المطلب الخامس

نماذج لمدارس كولن الإصلاحية في الداخل والخارج

اختارت حركة الخدمة التركية التي أسسها تلامذة الشيخ فتح الله كولن عدة مسارات عملية إيجابية ، من أهم تلك المسارات مسار التعليم، واختارت لنفسها في التعليم، أن تبني نماذج تحاكي أفضل مؤسسات التعليم العالمية، وهو ما يأخذ في معظم الدول التي تنتشر فيها تلك المدارس في قارات العالم، فرسالتها إذاً ذات شقين :

الأول :إعداد الجيل الدعوي إعداداً سليماً

والثاني :نشر نور المعرفة النافعة بين أوساط الشعب

لقد عرف كولن قدر هذه الوسيلة ، واقتنع اقتناعاً تاماً بأهمية المدرسة والجامعة ، "حيث كانت الشيوعية منتشرة جداً في بداية الستينيات ، وكانت الأسر يعترها الخوف من إرسال أبنائهم إلى المدرسة والجامعة خوفاً من تأثير الجامعة على أبنائهم من هنا كان تركيز الشيخ كولن على التعليم ، فاقترح أن يقيم نظاماً تعليمياً يحتضن كلَّ الشعب"^(١)

" كانت بداية حملة فتح المدارس في الخارج، في آسيا الوسطى والبلقان بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، حيث أوصى الشيخ فتح الله باستثمار الحركة للواقع الجديد، لإزالة الآثار الأحادية التي خلفتها الشيوعية، في حياة وثقافة مسلمي تلك المناطق، فكانت بداية الحملة في كازاخستان، حيث تم فتح أكثر من ثلاثين مدرسة حتى الآن، ثم امتد توسع مدارس الحركة إلى بقية دول آسيا الوسطى فبقية القارات"^(٢)

❖ نماذج من مدارس الحركة :

مدرسة صلاح الدين الدولية في مصر^(٣) : هي مدرسة تركية بنيت على أرض مصرية تنهج نهج المدارس التي تدير وفق لفلسفة الأستاذ فتح الله كولن في التعليم والتربية .

١ - جولة تاريخية في مدارس كولن الإصلاحية ، نواز صواش ، مجلة حراء ص ٦٢ ، عدد ١١ ، إصدار عام ٢٠١٦م .
٢ - فتح الله كولن وحركة الخدمة ، رؤية مغايرة ، د. محمد خليفة ، مجلة حراء ، ص ٢٢ ، عدد ٧ ، إصدار عام ٢٠١٧م .
٣ - تقع هذه المدرسة في ٨ شارع جعفر بن ابي طالب ، أمام ستاد بتروسبورت ، حي الياسمين ، التجمع الخامس ، القاهرة الجديدة ، القاهرة .

■ أساتذة المدرسة :

يمثل أساتذة هذه المدرسة نموذجاً ومثلاً يقتدى به في ساحة التربية والتعليم ، حيث إن علاقة الطالب بمدرسه علاقة ابوية ممتلئة بمشاعر الحب والمودة حيث يعد المدرس بالنسبة للطالب القدوة الحسنة في الحياة العامة والتعليمية ويحرص المدرس على تفوق الطالب اخلاقياً وعلمياً لاعلى المستوى المحلي فحسب ، وإنما بين النماذج المتفوقة عالمياً ودولياً^(١).

■ طلاب المدرسة:

"تلاميذ هذه المدرسة تحسبهم طرازاً خاصاً ، تعمق في قلوبهم قيم التوقير والإجلال، وتعظم في نفوسهم شيم المحبة والإكبار لمعلميهم الآباء، وآبائهم المعلمين الذين أعطوا المثل في الثقافة الواسعة، والعلم الغزير والأبوة الحانية"^(٢).

وأكد أوقن أنه سيكون لهذا وذاك رد فعل حميد بل ودود لدى السادة المدرسين؛ يدفعهم إلى مضاعفة الجهد، وبذل أقصى ما يستطيعون لتنمية مهارات أبنائهم، يغمروهم الرضا ويحدوهم الأمل، ويحتويهم مزيج من السعادة والثقة.

وعندئذ سنرى كيف ستعود للمدرس هيئته، وكيف ستعظم مكانته الأثيرة في نفوس

تلاميذه وبنيه.

١ - زيارة خاصة للباحث ، مدرسة صلاح الدين الدولية ، ٥-١٠-٢٠١٥م

٢ - حوار أجراه الباحث مع الأستاذ . سليمان شيخ سليمان ، المسؤول عن مدارس كولن ، (تاريخ الحوار والمقابلة ٢٣- يونيو-٢٠١٨م).

الفصل الثالث

وهذه إحصائية لعدد المدارس وعدد الطلبة ونسب حضور المسلمين وغير المسلمين فيها في عشرين بلد فقط من البلدان التي وصل عددها إلي ما يقرب من مائتين دولة حسب احصاء عام ٢٠١٧-٢٠١٨ م^(١).

اسم البلد	عدد المدارس	عدد الطلاب	نسبة المسلمين في مدارس كولن	نسبة غير المسلمين في مدارس كولن
كازاخستان	٢٩	٨٢٨٤	%٨٠	%٢٠
أفغانستان	٦	٢١٤١	%١٠٠	
الفلبين	٥	٦٩٤	%٤٥	%٦٥
تايلاند	٤	١١٩١	%١٠	%٩٠
إندونيسيا	٥	١٢١٦	%٩٩	%١
أستراليا	١٠	٢٦٥٥	%٩٤	%٤
مقدونيا	٤	٤٠٠	%٤٤	%٢٦
نيجيريا	٤	١٤٤٦	%٦٥	%٤٥
السنگال	٤	٦٤٠	%٩٠	%١٠
النيجر	٤	٤٥٠	%٩٩	%١
المغرب	٥	٨٤٤	%١٠٠	
كينيا	٤	٩٤٦	%٢٥	%٤٥
أفريقيا الجنوبية	٤	١٠٢٠	%٤٥	%٦٥
داغستان	٥	١٠٢٤	%٢٠	%٨٠
السودان	٤	٢٨٥	%١٠٠	
ألبانيا	١٤	٢٨٣٣	%٩٤	%٤
باكستان	١٤	٤٤٤٥	%٩٩	%١
مصر	٣	١٧٦٤	%٨٤	%١٦

١ - حوار أجراه الباحث مع الأستاذ . سليمان شيخ سليمان ، المسؤول عن مدارس كولن ، (تاريخ الحوار والمقابلة ٢٣- يونيو- ٢٠١٨ م) ..

• نموذج لمدارس الحركة في الخارج :-

مدرسة رينبو الدولية (RIS) في سيئول بكوريا الجنوبية.

"يعمل في مدرسة رينبو الدولية حديثة النشأة (٢٠١٢) خمس وعشرون من أعضاء هيئة التدريس، ويدرس بها حتى الآن "مائة وخمس" تلميذ فقط حتى المرحلة الثامنة (توازي نهاية المرحلة الإعدادية)، ولا يزيد عدد طلاب الفصل عن "ستة عشر" تلميذاً في المراحل المختلفة"^(١).
"المدرسة معتمدة من مجلس المدارس الدولية، والرابطة الغربية للمدارس والكليات، وهي عضو منتسب في الرابطة الوطنية للمدارس المستقلة والمجلس الإقليمي لشرق آسيا للمدارس الخارجية، والمجلس الكوري للمدارس الخارجية"^(٢).

• مناهج الدراسة في هذه المدرسة: -

تعلم المدرسة للطلاب منهجاً واسعاً ومتوازناً، يشتمل على ثلاثة عناصر أساسية هي:
"المحتوى، والمهارات، والتقييم، وتبنى المدرسة المعايير المشتركة الأساسية للدولة، ومقاييس العلوم للجيل القادم، والمعايير الوطنية للدراسات الاجتماعية، وهي كلها دعوة لتفكير عالي المستوى في مجالات المحتوى الأساسية، وتعلم المدرسة اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم والدراسات الاجتماعية والفنون الأدائية، والتربية البدنية، والفنون، واللغات الكورية والتركية، والتكنولوجيا، ويتم تقييم الطلاب عبر اختبار مقاييس التقدم الأكاديمي ثلاث مرات في العام خلال أشهر سبتمبر وفبراير ومايو"^(٣).

الغرض من المدرسة: "مساعدة الطلاب على التطلع إلى المستويات العليا في جميع جوانب التعلم مع الحفاظ على فضولهم وإبداعهم، وسيتعلم الطلاب من المدرسة التعاطف مع الآخرين والتفكير في قيمهم وقيم الآخرين، وهذا سوف يساعدهم على العيش في الشركات أو الجامعات في جميع أنحاء العالم مع الاحتفاظ بفضولهم وإبداعهم، وهو ما يمكنهم من العيش والنجاح في المهنة التي يختارونها"^(٤).

١ - نموذج المدارس الدولية لحركة الخدمة التزكية، مجدي سعيد، ص٣٣، مجلة حراء، عدد ٣٧، ٢٠١٥م.

٢ - جولة تاريخية في مدارس كولن الإصلاحية، نواز صواش، مجلة حراء ص٦٣، عدد ١١، إصدار عام ٢٠١٦م.

٣ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

٤ - جولة تاريخية في مدارس كولن الإصلاحية، نواز صواش، مجلة حراء ص٦٣، عدد ١١، إصدار عام ٢٠١٦م.

أهداف المدرسة:

تهدف المدرسة لخلق بيئة تعليمية آمنة، يحظى فيها التلاميذ بالرعاية والاحترام من أجل تعزيز وتطوير معارف ومهارات وقدرات التلاميذ، حيث تعد المدرسة طلابها كي يكونوا ذوي تفكير نقدي وإبداعي، لديهم القدرة على تحليل الحجج واتخاذ قرارات عقلانية، يبحثون عن الحلول المبتكرة والملائمة والأخلاقية للمشاكل، يمكنهم التعامل بثقة واقتدار مع مواقف الحياة اليومية^(١).

مما سبق يتضح الآتي:-

اختارت حركة الخدمة التركية التي أسسها تلامذة الشيخ فتح الله كولن عدة مسارات عملية إيجابية لإعمال الفعالية الروحية وتشغيلها، من أهم تلك المسارات مسار التعليم، واختارت لنفسها في التعليم، أن تبني نماذج تحاكي أفضل مؤسسات التعليم العالمية، وهو ما يأخذ في معظم الدول التي تنتشر فيها تلك المدارس في قارات العالم، شكل المدارس الدولية، وعلى الرغم من أنني زرت بعضًا من تلك المدارس في مصر، فلأول مرة يقدم لي أحد مسؤولي تلك المدارس شرحًا للنظام التعليمي المطبق فيها، وكان ذلك في مدرسة "صلاح الدين الدولية" في مصر، القاهرة التجمع الخامس .

وتهدف هذه المدارس إلى عدة أهداف منها:

- تعليم الطلاب من كل أنحاء العالم اللغة العربية والعلوم الدينية، مجانًا، وتوفير إقامة وانتقالات لهم.
- بناء الجامعات في تركيا واستقدام الأساتذة لها من تركيا وبلدان العالم الإسلامي.
- نشر العلم الديني واللغوي في العالم عن طريق بناء المدارس والمعاهد في مختلف الدول.

١ - نموذج المدارس الدولية لحركة الخدمة التركية ،مجدي سعيد ، مجلة حراء ، ص٣٣ عدد٩، إصدارعام ٢٠١٥م.

المبحث الثالث

دور الدعوة الإصلاحية عند الشيخ كولن

• المطلب الأول: الحوار القرآني ودعوة كولن الى تطبيقه .



• المطلب الثاني: الحكمة والموعظة الحسنة.



• المطلب الثالث : ضرب الأمثال .



• المطلب الرابع: القدوة الحسنة .



المبحث الثالث

دور الدعوة الإصلاحية عند الشيخ كولن

توطئة :-

إن الجانب العقدي في فكر الأستاذ فتح الله مرتبط بمنهجه الدعوي بصفة عامة وهو وسيلة دعم لرؤيته في الواقع. ولذلك كان هذا المنهج مفتوحاً على كل النماذج الإنسانية باعتبار ما فيها من خيرية.

فإذا كان الإنسان هو العنصر المركزي الذي يحظى باهتمام الشيخ كولن فإنه يجتهد من أجل تحصيله، بعبارة أخرى إن الأستاذ فتح الله كولن عندما يركّز على العقيدة الصحيحة في تعاليمه مع الإنسان، يركز على المرامي الإصلاحية والحضارية والإنسانية التي يتطلع إلى الوصول إليها، وكأن الإنسان المهزوز العقيدة لا يمكنه السير بمشروع الأستاذ كولن الإصلاحية نحو أهدافه ومراميه القريبة والبعيدة.

لقد عاصر الأستاذ فتح الله كولن موجة الفكر الإلحادي والفلسفات التي قدمت للشباب على أنها فلسفات تقدم الوجه الحقيقي للإنسان، فهرع الشباب إليها دون تعقل أو تدبر ودون أن يجدوا مرشداً يرشداهم..

"فانتشرت أولاً فلسفة "فرويد"^(١) تحت مصطلح "الليبدو"^(٢) الذي جرح مفهوم الحياء لدى الناس.

١ - سيغيسموند شلومو فرويد يعرف اختصاراً بسيغموند فرويد (٦ مايو ١٨٥٦—٢٣ سبتمبر، ١٩٣٩) هو طبيب نمساوي من أصل يهودي، اقتص بدراسة الطب العصبي ومفكر حريص مؤسس علم التحليل النفسي. وهو طبيب الأعصاب النمساوي الذي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث. اشتهر فرويد بنظريات العقل واللاوعي، وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي. كما اشتهر بتقنية إعادة تحديد الرغبة الجنسية والطاقة التحفيزية الأولية للحياة البشرية، فضلاً عن التقنيات العلاجية، بما في ذلك استخدام طريقة تكوين الجمعيات وحلقات العلاج النفسي، ونظريته من التحول في العلاقة العلاجية، وتفسير الأحلام كمصادر للنظرة الثابتة عن رغبات اللاوعي في حين أنه تم تجاوز الكثير من أفكار فرويد، أو قد تم تعديلها من قبل المحافظين الجدد و"الفرويديين" في نهاية القرن العشرين ومع التقدم في مجال علم النفس بدأت تظهر العديد من العيوب في كثير من نظرياته، ومع هذا تبقى أساليب وأفكار فرويد مهمة في تاريخ الطرق السريرية وديناميكية النفس وفي الأوساط الأكاديمية، وأفكاره لا تزال تؤثر في بعض العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. (المصدر: عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، فؤاد البنا ص ١٣٢).

٢ - الليبدو مصطلح يستخدم غالباً في التحليل النفسي، ويشير إلى السلوك الممتع للوصول إلى إثارة الغرائز الطبيعية.

ثم طغت الفلسفة الوجودية لـ "جان بول سارتر" ^(١) و"كامو" ^(٢) فجردت حصون الحياء وجعلتها أثراً بعيداً حتى غدا الشاب يستيقظ صباحاً فيصفق للفوضوية، وفي الظهر يقف احتراماً للنظام الماركسي، وفي العصر يجيى الوجودية، وفي العشاء قد ينشد نشيداً هتلرياً. ولم يعد هناك شاب يلتفت أبداً إلى جذور روحه، ولا إلى شجرة أمته، ولا إلى ثمار هذه الشجرة" ^(٣).

"رأى فتح الله كولن بعينه كل هذا الفساد الروحي والتدني الأخلاقي، فسعى جاهداً بحمل سيف الكلمة والقلم والتوجيه والوعظ والإرشاد، شارحاً ومبيناً فساد هذه الفلسفات الإلحادية وأثرها الخطير وأنها لا تصلح منهجاً ينتهجه المسلم في حياته" ^(٤).

■ منهج بسط العقيدة عند الأستاذ فتح الله كولن :

إن منهج تلقين العقيدة عند كولن لا يخرج عن منهج أهل السنة والجماعة .

فالشيخ كولن : يميز بين القضايا العقدية التي تربط الإنسان بالخالق وفائدتها في تقوية هذا الإنسان، حتى يكون كائنًا يحسن معرفة الخالق من خلال كل مكونات الكون والوجود.

١ - جان-بول شارل إيمارد سارتر (٢١ يونيو ١٩٠٥ باريس - ١٥ أبريل ١٩٨٠ باريس) هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية استاذاً. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين إحتلت ألمانيا النازية فرنسا، إنخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية. عرف سارتر واشتهر لكونه كاتب غزير الإنتاج ولأعماله الأدبية وفلسفته المسماة بالوجودية ويأتي في المقام الثاني لإتحاقه السياسي باليسار المتطرف. كان سارتر رفيق دائم للفيلسوفة والأديبة سيمون دي بوفوار التي أطلق عليها اعدائها السياسيون "السارترية الكبيرة". برغم أن فلسفتهم قريبة إلا أنه لا يجب الخلط بينهما. لقد تأثر الكاتبان ببعضهما البعض. دُفن سارتر في مقبرة مونبارناس بباريس (الحى ١٤). في ١٤ أبريل ١٩٨٦م. (المصدر: مجلة الأعلام الإلكترونية . تاريخ الزيارة ٣-١-٢٠١٧م)

٢ - ألبير كامو (٧ نوفمبر ١٩١٣ - ٤ يناير ١٩٦٠) فيلسوف وجودي وكاتب مسرحي وروائي فرنسي-جزائري ، ولد في قرية الدرعان وتعرف أيضاً ببلدة مندوفى بمقاطعة قسنطينة بالجزائر، في بيئة شديدة الفقر من أب فرنسي قُتل بعد مولده بعام واحد في إحدى معارك الحرب العالمية الأولى ومن أم إسبانية مصابة بالصمم، ألا إنه تمكن من إنهاء دراسته الثانوية ثم تعلم بجامعة الجزائر من خلال المنح الدراسية وذلك لتفوقه ونبوغه حتى تخرج من قسم الفلسفة بكلية الآداب، وانخرط في المقاومة الفرنسية أثناء الاحتلال الألماني، وأصدر مع رفاقه في خلية الكفاح نشرة باسمها ما لبثت بعد تحرير باريس أن تحولت إلى صحيفة "الكفاح" اليومية التي تتحدث باسم المقاومة الشعبية، واشترك في تحريرها جان بول سارتر. ورغم أنه كان روائياً وكاتباً مسرحياً في المقام الأول، إلا أنه كان فيلسوفاً. وكانت مسرحياته ورواياته عرضاً أميناً لفلسفته في الوجود والحب والموت والثورة والمقاومة والحرية، وكانت فلسفته تعاش عصرها، وأهلته لجائزة نوبل فكان ثاني أصغر من نالها من الأدباء. وتقوم فلسفته على كتابين هما ((أسطورة سيزيف)) ١٩٤٢ و(التمرد ١٩٥١ أو فكرتين رئيسيتين هما العبيثية والتمرد ويتخذ كامو من أسطورة سيزيف رمزاً لوضع الإنسان في الوجود)،(المصدر: مجلة الأعلام الإلكترونية . تاريخ الزيارة ٣-١-٢٠١٧م)

٣ - اسئلة العصر المحيرة، فتح الله كولن، ترجمة أورهان محمد علي، ص٢٧،ط الرابعة، ٢٠١٤، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٤ - ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ترجمة عوني عمر لطفي، ص٣٣، ط الخامسة ٢٠١٢، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

ولذلك عندما تطرح عليه أسئلة متعلقة بذات الله أو متعلقة بأمورٍ غيبية يعتبر كل ذلك نوعاً من سوء الأدب مع الله تبارك وتعالى، يقول الشيخ كولن في كتابه "أسئلة العصر المحيرة" جواباً على سؤال وُجّه له عن جوهر الله وماهيته:

"أجل، فنسبة ما يراه الإنسان في هذا العالم يبلغ فقط خمسة في المليون تقريباً، وكذلك نسبة ما يسمعه. فمثلاً لا يستطيع أن يسمع صوتاً اهتزازاه أربعون تردداً في الثانية، كما إذا تجاوز هذا التردد الآلاف فلن يسمع أيضاً. إذاً فحاسة السمع عند الإنسان محدودة، ولا تدرك هذه الحاسة إلا نسبة صغيرة في المليون. كما أن مجال بصره وسمعه محدودان جداً. إذن كيف يستطيع هذا الإنسان المحدود في علمه وبصره وسمعه أن يتجرأ ويسأل: لماذا لا يرى الله؟ وكيف هو؟ إن طرح الإنسان مثل هذا السؤال ومحاولته نسب الكمية والكيفية لله تعالى أو محاولة التفكير في ذاته جرأة وتجاوز للحد"^(١)

لا شك أن الجواب يحمل في طياته الكثير من الأبعاد التربوية التي تقوم على توظيف المنطق العقلي، حيث لوحظ حرص الأستاذ كولن على تقديم أجوبة علمية منطقية قريبة من مستوى إدراك الإنسان. وضمنياً فالأستاذ فتح الله كولن عندما يقف على مثل هذه القضايا، إنما يوجه انتباه الناس إلى أن المنهج الأسلم هو منهج السلف ومنهج أهل السنة والجماعة.

• وأرى على حد علمي القاصر، أن العقيدة من أهم القضايا التي تعرض لها فتح الله كولن في أغلب خطبه وفي محاضراته وفي كتبه نظراً لأهميتها عنده، فلا مجال للحركة دون عنصر العقيدة التي تقوم بمهمة توجيه الفعل والحركة. فالعقيدة هي التي تحافظ على توازن علاقة الإنسان بواقعه ووجوده كله، ومن السهل إدراك العوامل التي تجعل الأستاذ فتح الله يهتم بموضوع العقيدة والفكر الديني كل هذا الاهتمام، والمتأمل في كتاب "القدر في ضوء الكتاب والسنة" للشيخ كولن يدرك الأبعاد العقدية التي تأسست عليها رؤية الأستاذ فتح الله كولن، خاصة عندما يتناول موضوع الإرادة في علاقتها بالقضاء والقدر، إذ تظهر صعوبة تناول القضية العقدية نظراً للعوامل الآتية^(٢):-

١ - أسئلة العصر المحيرة، فتح الله كولن (ترجمة: أورخان محمد علي)، ص: ١٧ دار النيل، ط: ٢، القاهرة ٢٠٠٦م.
٢ - ندوة نقاشية بعنوان - قضايا العقيدة في فكر الشيخ كولن - دعي إليها الباحث بمقر مركز النيل لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، الحي السابع ، القاهرة ، مصر ، تاريخ الندوة ٢٢-٤-٢٠١٦م.

العامل الأول: هو تعدد مستويات الفكر الديني بصفة عامة عند الأستاذ فتح الله والفكر العقدي على وجه الخصوص عما ذكر سابقاً.

العامل الثاني: "تداخل فكر الأستاذ فتح الله وارتباطه بروح الدين، لأن منطلق أفكار الأستاذ وحلوله وتحليلاته من الإسلام. فكل مشاريع الخدمة المختومة بروح العصر والأصالة، توجهها الفكرة الدينية أو الرؤية الدينية، ولذلك فإن الفصل بين مستويات هذا الفكر مجرد فصل إجرائي أو صوري، لأن الأفكار في ظل منظومة الأستاذ فتح الله الإصلاحية لا تدرك كل مراميها إلا في دائرة مظاهر تنزيلها وتطبيقها"^(١).

العامل الثالث: حاجة الأستاذ فتح الله في كل ما كتب إلى استحضار روح العقيدة السليمة في كل ميادين الحياة، وخاصة في مجال شحذ الهمم وترغيب الناس في الفعل والعمل.

١ - ندوة نقاشية بعنوان - قضايا العقيدة في فكر الشيخ كولن - دعي إليها الباحث بمقر مركز النيل لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، الحي السابع ، القاهرة ، مصر ، تاريخ الندوة ٢٢-٤-٢٠١٦م.

المطلب الأول

الحوار القرآني ودعوة كولن إلى تطبيقه

إن أصل الحوار هو القرآن الكريم، الكتاب المنزّل من الله تعالى بطريق الوحي على رسوله سيدنا محمد (ﷺ) والمتضمن لكثير من الحوارات بين الله تعالى وملائكته وحوار الله تعالى مع رسله الكرام، وحواره تعالى مع المؤمنين والمشركين، وحواره عز وجل مع أهل الكتاب وأتباع الأديان الأخرى، كما يشتمل على حوارات الأنبياء مع أقوامهم.

أولاً: تعريف الحوار:

الحوار لغة : مراجعة الكلام وتداوله ويتحاورون أي : يتراجعون الكلام، والحوار والمحاورة : المجاورة ، والتحاور : التجاوب^(١).

الحوار اصطلاحاً: المدلول الاصطلاحي للحوار غامض يستعمل بأكثر من صورة، ويحتاج إلى بيان أنواعه والفروق التي بينها .

ومدار الحوار اصطلاحاً هو: مراجعة وتبادل الأفكار بين طرفين بهدف الوصول إلى الحقيقة^(٢).
 ويعني في مفهومه إدارة فكرة بين طرفين مختلفين تقوم على أساس من تبادل الحجج والبراهين يقدمها كل طرف للآخر .

وقد جاء في التنزيل {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا} (٣)

■ أما الحوار بين الأديان فليس الهدف منه التنازل عن معتقد أودين ولا هو قضية سياسية أو مصالح دنيوية يراد ترميها بهذا المصطلح، كما أنه ليس دعوة لإعلاء دين على آخر، بل هو: "بيان لاشتراك الأديان السماوية في المبادئ والقيم الإيمانية والأخلاقية التي تدعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له"^(٤).

١ - مختار الصحاح محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، دراسة وتقديم د/عبد الفتاح البركاوي، دار المنار، ص٩٢.

٢- الحوار منهجا وثقافة، سعيد اسماعيل علي، ص ٩، دار السلام القاهرة، ٢٠٠٨م.

٣- الكهف اية ٣٧.

٤ - تقارب الشعوب موعده الحضارات، د. هدى درويش، ص٢٤، ط ١- دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة، ٢٠١٠م.

■ أما حوار الحضارات فالمقصود به " التفاعل الثقافي الخلاق للجنس البشري في مجالات الإبداع المختلفة ، والحضارة على تعددها لا يمكن أن تتوحد وتتطابق لأن كل حضارة تطبع ما تأخذه بطابعها الخاص" (١).

ويؤكد الشيخ كولن على أهمية الحوار الذي ينشده الإسلام ويحيطه بسياج من الحرية والسلام فلا إكراه في الدين ، حيث إن الإسلام يقبل تعددية الآراء ونرى هذا واضحاً تمام الوضوح في حوار النبي (ﷺ) مع نصارى نجران وكذا عند كتابة موثيق وبنود صلح الحديبية والذي عده بعض المسلمين إجحافاً وظلماً بينما نجد أن القرآن الكريم جعله فتحاً مبيناً للرسول (ﷺ).

● أساليب منهج الحوار في القرآن:

أولاً- "بيان كيفية التعامل مع الأديان الأخرى على أساس استباق النية الحسنة ضمن كافة الأخلاقيات الكريمة التي وضعها الله سبحانه وتعالى" (٢).

قال تعالى: { وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (٣).

ثانياً- بيان كيفية مخاطبة العقل بالمنطق العلمي المقنع. ويظهر ذلك في قوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِآلهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } (٤).

ثالثاً- " استخدام أسلوب الأمثلة لتقريب المفاهيم إلى الأذهان بما هو ظاهر أمامنا مثلما ضرب الله تعالى لنا مثلاً بالبعوضة، ومثلاً بالذباب" (٥).

رابعاً- "توضيح طرق التحاور والتعامل من خلال سرد قصص الأنبياء الكرام وأحاديثهم مع أقوامهم ويتضح فيها أخلاقيات هذا الحوار، وأمثلتها أكثر من أن تُحصى" (٦).

وهذا في حقيقته يمثل طرفاً من المفهوم الذي أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْرِفُوا } (٧).

١ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٢ - الحوار والتعايش ، فتح الله كولن نموذجاً ، هدى محمود درويش ص٦٦ ، ط٢ ، دار النيل للنشر بالقاهرة .

٣ - سورة العنكبوت : آية ٦ .

٤ - سورة الأنبياء : آية ٢٢ .

٥ - الحوار والتعايش ، فتح الله كولن نموذجاً ، هدى محمود درويش ص٦٦ ، ط٢ ، دار النيل للنشر بالقاهرة .

٦ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٧ - سورة الحجرات آية ١٣ .

وفي مجتمعاتنا العربية والإسلامية يعد الحوار أصلاً ثابتاً من أصول الحضارة الإسلامية ومبدأ من مبادئ الشرع الحنيف، استناداً إلى قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ} ^(١)، فهذه الآية دعوة صريحة إلى الحوار الهادف بين المسلمين من جهة وبين أصحاب الأديان والحضارات من جهة أخرى.

■ ومن هنا، فإن الحوار الذي ندعو إليه وندخل فيه هو الذي يستمد التوازن من روح الإسلام وتعاليمه التي تدعو إلى الوسطية في كثير من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} ^(٢)، والمقصود بالوسط هنا الاعتدال والمثالية وعدم التعصب، بحيث يكون حواراً بالكلمة الراقية والمنهج السوي.

❖ الحوار مع الآخر عند الشيخ فتح الله كولن:

انطلاقاً مما سبق ونظراً لأن المنبع الذي يمد فكر الشيخ كولن ونشاطاته يرجع إلى التمسك بالنصوص الإسلامية العامة وأصولها "فقد أطلق الشيخ كولن دعوته بإرساء ثقافة الحوار وقبول الآخر وإبداء المرونة والابتعاد عن التعصب، وقام أيضاً بمحاولات وتجارب أولية لمشروعه الكبير لإرساء قواعد الحوار بين المثقفين الأتراك المنتمين إلى أطراف فكرية متناقضة، فعقدت اجتماعات بين ممثلي مختلف الأفكار، وبين ممثلي مختلف أنماط المجتمع" ^(٣).

فالحضارة المعاصرة هي نتيجة حتمية لتراكم معرفي وعلمي واجتماعي متواصل منذ بدء الخليقة وإلى اليوم.

• فمن يدقق النظر في الحضارة الإسلامية يجدها قد قامت على أساس التفاعل الحضاري، وهي بذلك تعتمد ثقافة الحوار والتواصل، حيث أخذت عن الحضارات السابقة، واقتبست من

١ - سورة آل عمران آية ٦٤

٢ - سورة البقرة: آية ١٤٣

٣ - العمل المدني ودوره في صناعة الإنسان والمجتمع والحضارة نموذج تركيا، نوزاد صواش، ص ١٤، ط ٣، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

ثقافات الأمم والشعوب التي احتكت بها، وصهرت جميع ذلك في بوتقة الإسلام، فكانت حضارة إنسانية لها أثر كبير في نقل روح المدنية إلى جميع الشعوب التي تفاعلت معها.

- "ويستند التفاعل الحضاري في مفهوم الإسلام إلى مبدأ التدافع الحضاري وليس فكرة الصراع الحضاري، وهو المبدأ القرآني المحض الذي نجد له أصلاً في قوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} ^(١) وفي قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} ^(٢) فالتفاعل في الإسلام عملية تدافع لا تنازع، وتجاوز لا تناحر" ^(٣). بمعنى: أن كل أمة تدافع الأخرى وتتنافس معها نحو الأفضل والأحسن، لأن التفاعل يفيد استمرار الحياة والتصارع يؤدي إلى الفناء، وبهذا يكون التفاعل الحضاري حواراً دائماً ينشد الخير والحق والعدل والتسامح للإنسانية، بغض النظر عن توجهاتها الفكرية .

ويعلن الشيخ كولن في بعض محاضراته :

فيقول "إذا كان العدل والحق والمساواة بين الناس هو السند الفكري لقواعد القانون الدولي، فإن هذه المفاهيم أصل ثابت من أصول الإسلام الذي أنزله الله رحمة للعالمين ودعا فيه إلى إقامة الموازين بالعدل والقسط بين الناس أجمعين" ^(٤)... حتى إن القرآن الكريم ليشير إلى أن غاية الرسائل السماوية التي جاء بها الأنبياء جميعاً هو تحقيق العدل والقسط بين الناس، وذلك في قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} ^(٥) ثم يستطرد الشيخ كولن حديثه فيقول: "إذا استند الحوار بين الثقافات والحضارات إلى هذه

١ - سورة البقرة آية : ٢٥١

٢- سورة فصلت آية : ٣٤

٣- العمل المدني ودوره في صناعة الإنسان والمجتمع والحضارة نموذج تركيا، نوزاد صواش، ص ١٥، ط ٣، دارالنيل للطباعة والنشر بالقاهرة.

٤ - محاورات حضارية، حوارات نصية بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني، د.جيل كارول، ترجمة د. ١.د. إلهام فتحي أحمد سعيد، ص ٥٥، ط ١، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١م.

٥- سورة الحديد آية ٢٥.

القاعدة وكان الهدف منه هو تقوية هذه المفاهيم كان هذا الحوار خيراً للإنسانية في حاضرها ومستقبلها، وكان عملاً صالحاً ومنهجاً قوياً يقره الإسلام ويدفع الأمة باتجاهه"^(١).

وأعتقد على حد علمي أن المنهج الحضاري المطلوب اتباعه في شكل الحوارات القائمة بين الحضارات وطبيعتها ، يتم تجاوزه في أغلب الأحيان وعلى أكثر من مستوى بدافع غلبة روح الهيمنة لدى بعض الأطراف، وحرصاً منهم على المصالح المادية الآتية على حساب القيم والمبادئ الأخلاقية السامية، ومن هنا تبرز رغبة بعض أطراف الحوار في الغرب على فرض هيمنة ثقافة الغرب وحضارته على الثقافات والحضارات الأخرى، وهو أمر واقع وله آثار ملموسة، وحقيقة ظاهرة لا سبيل لإنكارها أو تجاوزها.

وفي مقابل ذلك يقول كولن : "إن المسلمين وعلى مدى تاريخهم القديم والمعاصر أثبتوا أنهم دعاة حوار وتفاهم وتعاون بين بني الإنسان، وهم يصرون في ذلك عن مبادئ دينهم وتعاليمه وعن قيم الحضارة الإسلامية"^(٢).

ولو نظرنا إلي هذه المبادئ والقيم التي نشرها المسلمون الأوائل بلغة وثقافة الحوار فأسسوا بذلك حضارة إسلامية راقية التي تعايش في ظلها أكثر الملل والنحل وأصحاب الحضارات والثقافات المختلفة في أخوة إنسانية بعيدة عن التعصب أو فرض الهيمنة، وهو أمر يشهد به غير المسلمين في أكثر من مناسبة وعلى أكثر من صعيد .

• وللحوار عند كولن ضابط أساسي ، يوزن بميزان الوحي والشرع ، فما أقره الشرع أقرناه ، يقول الشيخ كولن : "وفي الوقت الذي يرفض فيه الإسلام فكرة تقليد الأمم الأخرى في عاداتها وسلوكها ويرفض مظاهر الحضارة التي تتعارض مع قيمه في اللباس وطرائق المعيشة، فإنه في نفس الوقت يسمح بالنقل والاقتباس من تلك الحضارات والثقافات في جميع مجالات الحياة الأخرى حينما لا يشكل النقل خروجاً عن المبادئ والقيم الإسلامية وثوابتها الأساسية"^(٣).

١ - محاورات حضارية ، حوارات نصية بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني، د.جيل كارول، ترجمة. د.إلهام فتحي أحمد سعيد، ص ٥٥، ط ١، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١م.

٢ - المرجع السابق، نفس الصفحة .

٣ - تقارب الشعوب موعد الحضارات، د هدى درويش، ص ٢٦ ط ١، - ٢٠١٠ - دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

• ثم عدَّ كولن الحوار ضرورةً عصريةً للتعايش والتقارب، يقول كولن:

"وإذا كان الحوار مع (الآخر) «حوار الحضارات والأديان» ضرورةً إنسانيةً أملت بها طبيعة الحياة المعاصرة، فإنه في الإسلام واجب شرعي وتكليف ديني ألزم الله به المسلمين حرصًا على إشاعة قيم التعاون والتسامح في إطار وحدة الجنس البشري"^(١)، وصدق الله تعالى إذ يقول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْرِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ^(٢)

■ ضوابط المحاور في فكر الشيخ كولن:

وضع الشيخ فتح الله كولن ضوابط وشروط أساسية ينبغي أن تتوفر في الشخص المحاور، من أهمها مايلي:-

أولاً- استخدام الوسائل الصحيحة والمنطقية وسيلة تؤدي إلى بلوغ الحق، ويعبر كولن عن ذلك بقوله: "لا يمكن الوصول إلى الحق بوسائل باطلة. يجب أن تكون الوسائل المستعملة وسائل حق"^(٣).

ثانيًا- عدم اليأس والقنوط، مهما عظمت المصاعب وانتابته النوائب. ويوضح كولن ذلك بقوله: "لقد قمت بما أملت على فطرتك السليمة وسجيتك... وأصبح ما حوالبك حديقة زهور وزنابق.. إذن فلِمَ الشكوى من وجود ثلاث أو أربع أشواك بجانب كل هذه الورود والزهور؟ ولا سيما إن كان وجود هذه الأشواك نتيجة نقص عند التنشئة والإعداد"^(٤).

ثالثًا- التلطف في القول والرفق في التعامل. وفي هذا يقول الأستاذ كولن: "إن المبلغ هو بطل الشفقة والرحمة قبل كل شيء. لا يتوسل لدفع الآخرين إلى قبول الحق الذي يدعو إليه بالوسائل الخاطئة كاستعمال القوة والخشونة والإكراه؛ لأن استقرار الإيمان بالله في القلوب ليس بهذه

١ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٢ - سورة الحجرات اية : ١٣

٣ - الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، المترجم إحسان قاسم الصالحى، ص٢٧٠، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٢.

٤ - المرجع السابق ، ص٣٧،

الوسائل قطعاً. بل الشفقة في الإرشاد تلين القلوب وترقق الوجدان، وتجعلها تستأنسان وتتهيآن لقبول الإيمان بالله وبرسوله"^(١).

مما سبق يتضح أن: الشيخ فتح الله كولن اعتمد على منهج الحوار، الذي اعتمد فيه على القرآن الكريم وفعل النبي (ﷺ) فهما الموجهان الأساسيان لهذا الحوار، وعده ركيزة أساسية ضمن مشروعه الإصلاحية، الذي انفتح على الغرب ولقي ترحاباً وقبولاً هناك .

١ - الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، المترجم إحسان قاسم الصالحى، ص١٨٧، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة

المطلب الثاني

الحكمة والموعظة الحسنة

أولاً: تعريف الحكمة :

ذُكرت كلمة الحكمة في أكثر من آية وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم ، وقد اختلف اللغويون والمفسرون في تفسير الكلمة ، فقد جاء في لسان العرب : (أن الحكمة هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم)^(١)، وفي تاج العروس : (الحكمة هي العلم بحقائق الأشياء والعمل بمقتضاها)^(٢) فالحكمة هي صواب الفكر والقول والعمل والالتزام بما أنزل رب العالمين من الكتاب وبما تعارف عليه المجتمع المؤمن بالله الخالق البارئ المصور .

وقد جاءت كلمة الحكمة صفةً لله عز وجل ، { . . إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }^(٣)

قال تعالى، (يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)^(٤)

تعريف الحكمة اصطلاحاً :

لها تعريفات عدة أقتصر على التعريفات التالية :

الحكمة هي : "التعليم المتقن الدقيق الواضح الدلالة وإن اختلفت صورها ودارت بين

التفسير والفقه والفهم وغيرها"^(٥)

قال أبو إسماعيل الهروي: (الحِكْمَةُ اسم لإحكام وضع الشيء في موضعه)^(٦) .

١ - لسان العرب لابن منظور، مادة حكم ، ج٢، ص٩٥١،

٢ - تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)

الحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي ط الكويت، ج١١، ص٨٤٠ .

٣ - سورة البقرة اية : ٣٢

٤ - سورة النمل اية : ٩

٥ - الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، أحمد غلوش ، ص١١ ، ط ١ - دار الكتاب المصري القاهرة ، ١٩٨٩م .

٦ - منازل السائرين، عبد الله الأنصاري الهروي، ص٧٨، دار الكتب العلمية للنشر: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

وقال النووي: (الحِكْمَةُ، عبارة عن العلم المتَّصف بالأحكام، المشتغل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفس، وتحقيق الحقِّ، والعمل به، والصدِّ عن اتِّباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك)^(١)

ثانياً: أسلوب الحكمة عند الشيخ فتح الله كولن :

لما كانت الحكمة تحمل لمن منحها الخير الكثير ، فإن أولى الناس بها الرسل ، والأصفياء قال - تعالى - عن داود عليه السلام { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابِ }^(٢) وقال عن لقمان { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }^(٣).

وقال عن آل إبراهيم جميعاً { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا }^(٤). وأولى الناس بالحكمة بعد الرسل هم الدعاة ، لأنهم ورثة الأنبياء ، وحملة اللواء من بعدهم ، ويتحدث الشيخ كولن عن الحكمة فيقول : "من أهم منابع النور التي تنقذ فكر الإنسان من الأكدار وقلبه من الوحشة، وتصفي روح الإنسان والتي تعطي وجدان الإنسان شعلة تنير طريقه وتساعد على التعرف على سر الوجود هي الحكمة أو الفلسفة الإسلامية"^(٥).

ويتحدث الشيخ كولن عن غاية الحكمة، وما يستطيع الحكيم أن يحققه بحكمته فيقول: " غاية الحكمة هي تنوير الطريق المؤدية إلى الله وإلى الروح، وهذا التنوير يحدث أحياناً من الأثر إلى المؤثر و أحياناً من المؤثر إلى الأثر. والذي يحمل شعلة الحكمة في يده يستطيع أن يوصل الإنسان - بدرجة سلامة نيته- وقوة نظره إلى الخير وإلى الجمال المطلق في كلا الطريقتين "^(٦).

١ - شرح النووي 'على صحيح مسلم ، ج ٢ ، ط، دار الحديث ، بالقاهرة ، ص ٣٢.

٢ - سورة ص اية ٢٠

٣ - سورة لقمان اية ١٢

٤ - سورة النساء آية ٥٤

٥ - الموازين أو أضواء على الطريق، محمد فتح الله كولن، ترجمة اورخان علي، ص ٢١٧، ط ٩، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة . ٢٠١٣م.

٦- الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن ، ترجمة اورخان علي ، ط ٩ ، ٢٠١٣ ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر ص ٢١٧.

▪ أثر الحكمة في الأسلوب التربوي عند الشيخ فتح الله كولن:

والتربية بالحكمة لها دور مؤثر في منهج الشيخ فتح الله كولن، فلا يتناول موضوعاً من الموضوعات إلا وهو يقرنه بالحكمة ويزنه بها .

"يروى أن الشيخ كولن رأى يوماً بعض تلامذته الشباب أمام باب السينا، وعندما حضروا نادى أحد أعوانه أن يجيء بالسياط فشعر التلاميذ بذنبهم وأحاط بهم الرعب من أن ينهال عليهم بالسياط، وعندما جيء بالسياط نزع الشيخ ملابسه وكشف عن ظهره قائلاً للشباب: هيا اضربوا..... هيا اضربوا ولم يتجاسر أحدهم أن يقرب منه: فكرر الأستاذ الخطاب: هيا اضربوا.... هيا اضربوا إنني لم أستطع أن أربيكم تربية حسنة..... فاستحقت الضرب، فبكى الشباب واغرورقت أعينهم بالدموع وغشيتهم الأسى قائلين: لا نذهب ولن نذهب بعد اليوم إلى السينا أبداً. فأصبح مثل هذا التصرف الحكيم من الشيخ كولن درساً تربوياً لهؤلاء الشباب، حتى أصبح اليوم كل واحد منهم قدوة حسنة لمئات من الناس"^(١)

وهذا منهج نبوي حكيم سلكه رسول الإنسانية (ﷺ) عندما جاءه شاب وقال له يا رسول الله ائذن لي في الزنا عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال: ((ادنه))، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: ((أتحبه لأمك؟))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم))، قال: ((أفتحبه لابنتك؟))، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لبناتهم))، قال: ((أفتحبه لأختك؟))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأخواتهم))، قال: ((أفتحبه لعمتك؟))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لعماتهم))، قال: ((أفتحبه لخالتك؟))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لخالاتهم))، قال: فوضع يده عليه، وقال: ((اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه))، فلم يكن بعد - ذلك الفتى - يلتفت إلى شيء؛^(٢)

١ - من معالم منهج التربية عند فتح الله كولن، جميل شانلي، موقع مجلة حراء، عدد ١٢، إصدار عام ٢٠١٥م، ص-٢٢،

تاريخ الزيارة ١٣-١-٢٠١٥م

٢ - رواه أحمد بإسناد جيد، ورجاله رجال الصحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٢٩: رجاله رجال الصحيح،

هكذا كانت الحكمة في التبليغ والتربية أمراً ملازماً للشيخ كولن لا ينفك عنه ، في خطبه ومواعظه ودروسه .

▪ نماذج من الحكمة القولية عند الشيخ فتح الله كولن :

يخاطب الشيخ تلاميذه ومحبيه خطاباً ينم عن حكمة قولية بالغة شارحاً المقياس الذي يجب أن يكون عليه العفو والسماح مقتدياً في ذلك برسول الله (ﷺ).

وفي ذلك يقول الشيخ كولن: "العفو والسماح والصفح صفة من صفات المسلم ، ويجب على كل مسلم الاتصاف بها ، فالعفو يرقق القلوب ، وإيصال الحقائق إلى القلوب يتم عن طريقه".^(١)
دعوته للدعاة أن يكونوا حكماً:

كما يدعوا كولن الدعاة الحاليين أن يكونوا حكماً ويبين لهم كيف ينفذون إلى القلوب فيقول: "على دعائنا الحاليين النفوذ إلى القلوب وبيان الحقائق بخلقهم الرفيع وسماحتهم ، أما الخشونة والحدة والفظاظة فلم تجني إلا الحقد والبعد والفرقة"^(٢).

أمثلة لبعض حكم الشيخ كولن :

- "الطبع اللين والكلمة الطيبة هما مفتاح القلوب"^(٣).
- "تكلم بليوناً لكي تفتح لك القلوب كن دافئ القلب تتقبل الضمائر أفكارك كن مخلصاً لكي يدوم تأثيرك"^(٤).
- "الجهل أسوأ صديق . والعلم أخلص صديق"^(٥).
- "عنا يغضب الجاهل يصرخ ويسب ، أما العاقل فيقوم بالتخطيط لما يجب عليه عمله"^(٦).

١ - أسئلة العصر المحيرة ، محمد فتح الله كولن ص ٢٥٧ ، ط ٣ ، ٢٠١٤م ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر .

٢ - المرجع السابق نفسه ، نفس الصفحة .

٣ - الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن ، ترجمة اورخان علي ، ص ٢٣٥ ، ط ٩ ، ٢٠١٣ ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر .

٤ - المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٥ - الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن ، ترجمة اورخان علي ، ص ٢٣٥ ، ط ٩ ، ٢٠١٣ ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر .

٦ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣٦ .

أسلوب الموعدة الحسنة عند الشيخ فتح الله كولن :

ذكر الله في كتابه العزيز ثلاثة أساليب من أساليب الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - في آية واحدة عند قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (١) وهي:

١- الحكمة. ٢- الموعدة الحسنة. ٣- الجدل بالتتي هي أحسن.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فليستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يُدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يُدعى بالموعدة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة، والمعاند الجاحد يجادل بالتتي هي أحسن" (٢).

تعريف الموعدة لغة :

يقال وعظه يعظه وعظا، أمره بالطاعة ووصاه بها وعليه قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ.....} (٣). أي أوصيكم وأمركم .

فاتعظ أي اتتمر وكف نفسه والاسم الموعدة والجمع وعاظ (٤).

تعريف الموعدة اصطلاحاً :

قال الطبري -رحمه الله-: "والموعدة الحسنة: العبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله" (٥).

وقال ابن القيم: "هي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة" (٦).

١ - سورة النحل آية: ١٢٥

٢ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: ابن قيم الجوزية، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد ، ج ١، ص ١٥٣ الطبعة الأولى: (ط. مجمع الفقه) الناشر: مجمع الفقه الإسلامي - جدة : ١٤٣٢هـ .

٣- سورة سبأ آية: (٤٦)

٤ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، احمد بن محمد بن علي المقرئ ، تحقيق الرافي ، ط المكتبة العلمية بيروت ، ١٩٥٨م، ص٦٦٦، ٦٦٥.

٥ - جامع البيان في تفسير القرآن، المعروف بتفسير الطبري، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر جعفر الطبري، ج٧، ص٦٦٣. ط ٤ ، ١٩٩٩، دار الخلي ، القاهرة .

٦ - مفتاح دار السعادة، ج١، ص١٥٣.

وبتعريف الإمام الشوكاني - رحمه الله - يتبين لنا معنى كونها حسنة:

قال الشوكاني: "هي المقالة المشتملة على الموعدة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها، قيل: وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة"^(١).

وقال الجرجاني: "الموعدة هي التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة"^(٢).

قال عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: "هي الترغيب بالعاقبة الحسنة والسعادة الخالدة لمن اتبع سبيل ربه، والترهيب من العاقبة السيئة الوخيمة والشقاوة والتعاسة لمن أبى أن يتبع سبيل ربه، بشرط عرضها بأسلوب حسن جميل مقبول لا تنفر منه الطباع السوية"^(٣).
والوعظ أخص من التعليم، فإنك قد تعظ الناس بشيء هم يعلمونه ولكن المقصود منه التذكير، وقد تعظهم بشيء لا يعلمونه فتكون قد جمعت بين الوعظ والتعليم؛ ولذلك يفرق العلماء بينهما، وقد بوب البخاري - رحمه الله - في صحيحه فقال: باب ما كان النبي (ﷺ) يتخولهم بالموعدة والعلم كي لا ينفروا"^(٤).

وقال: باب الغضب في الموعدة والتعليم إذا رأى ما يكره"^(٥)، ثم ذكر حديث الباب وهو عن أبي مسعود الأنصاري (رضي الله عنه) قال: قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان فما رأيت النبي (ﷺ) في موعدة أشد غضبا من يومئذ فقال: {أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة}^(٦)، فالذي قاله النبي (ﷺ) هو بيان وتعليم وهو أيضاً وعظ؛ لأن الترهيب فيه ظاهر وهو قوله (ﷺ) "إنكم منفرون"، فكان وعظاً منه وتعليماً، وتبويب سيدنا الإمام البخاري - رحمه الله - بذلك دليل اعتناؤه باختيار الألفاظ المناسبة.

- ١ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام الشوكاني ج٣، ص ٢٩١، دار الكتب العلمية لبنان .
- ٢ - التعريفات. المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ). المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. ص ٣٠٥.
- ٣ - فقه الدعوة إلى الله، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج١، ص ٦٠٩.
- ٤ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعدة والعلم كي لا ينفروا، حديث رقم ٦٨.
- ٥ - أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعدة والعلم كي لا ينفروا،
- ٦ - أخرجه البخاري، في كتاب العلم، باب الغضب في الموعدة والتعليم إذا رأى ما يكره، برقم: ٩٠.

أسلوب الموعدة الحسنة عند الشيخ فتح الله كولن :

"إذا أمعنا النظر في خطب ومواعظ الشيخ كولن فلا نجدها مجرد كلمات بل ألفاظ سامية تصويرية حية للتربية الصحيحة والسلوك الإسلامي القويم حتى إذا ارتقى المنبر ينشر جواً من الوقار والجدية فيما حوله فلا يسمح لنفسه ولا للجماهير أن تبدر منه أو منها كلمة أو تصرف غير لائق"^(١).

وقد وضع الشيخ كولن أصولاً وقواعد للموعدة الحسنة منها :

أ- معرفة المخاطب

يقول الشيخ كولن "إن المبلّغ يتفقد أحوال مخاطبه عن كثر، ويتصرف تجاه أخطائه برحابة صدر، فيتخذ تجاه المؤمن طور المروءة. أما تجاه أهل الكفر والإلحاد فيتصرف بالدراية والكياسة. وبهذه الأساليب يتمكن أن يتقرب إلى قلب مخاطبه"^(٢).

ثم يحذر الشيخ كولن أنه ينبغي على المبلّغ أن يعرف جيداً أوضاع مخاطبه، فيتعد كلياً عن كل ما ينفره من أسلوب أو تصرف، فما يبلغ إلا أموراً سامية طاهرة .

يقول كولن: "ولاشك أن من يبلغ عن الله ورسوله وكتابه واليوم الآخر ويجب ذلك إلى قلب مخاطبه، يُقدر مدى أهمية عمله فيقوم أحواله وأطواره وتصرفاته وفق تلك الأهمية؛ لأن أي امتعاض يستشعره المخاطب من أطواره، ربما يكون سبباً لتنفيره مما هو مكلف أن يحبه إليه. فهل من خسارة أفدح من هذا؟ وستتحمل جميع المسؤوليات في الآخرة إن كانت نابعة من أحوالنا وسلوكنا"^(٣).

١- الموازين أو أضواء على الطريق، محمد فتح الله كولن، ترجمة اورخان علي، ط٩، ٢٠١٣، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر ص٢٣٧.
٢- طرق الإرشاد في الفكر والحياة، محمد فتح الله كولن، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ص١٠٥، ط الخامسة، ٢٠١١، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .
٣- طرق الإرشاد في الفكر والحياة، محمد فتح الله كولن، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ص١٠٥، ط الخامسة، ٢٠١١، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

ب- معرفة البناء الفكري للمخاطب:

إن معرفة المخاطب هي الإحاطة بمستواه الاجتماعي وبناءه الثقافي . هذه حالة مهمة جدًا من حيث فن التبليغ، فكما أن التبليغ والإرشاد وظيفة، فإن معرفة فن التبليغ وظيفة أخرى .
وفي هذا الصدد يقول الشيخ كولن: "على المرشدين والمبليغين أن يهتموا اهتمامًا جادًا بالبناء الفكري لمخاطبيهم، والحقيقة أن مدى ارتباط المبلِّغ بالله سبحانه يتبين مما يمده من عرى العلاقة مع كل من له ارتباط بالله؛ فمقياس علاقتنا مع مخاطبيننا هو بنسبة علاقتهم بالله سبحانه . والمرشدون والمبليغون يراعون هذا الأمر أكثر من غيرهم، فيدعون الناس لا إلى مشربهم بل إلى الإسلام مباشرة"^(١).

ج - استعمال الوسائل المشروعة:

الداعي إلى الله يتحرى بدقة الوسائل والطرق المشروعة لدى دعوته الناس وتبليغهم . إذ لا يُسلك إلى هدف مشروع إلا بوسيلة مشروعة، بل لا يمكن بلوغ الهدف المشروع بوسائل ووسائل غير مشروعة ألبته .

ولذا يقول الشيخ كولن: " ولما كان هدفنا هو الحق ونحن أعداء الباطل، فلبلوغ هذا الهدف الحق ليس لنا أن نستعمل الباطل الذي هو عدوُّنا . فبخلافه نكون قد كذبنا أنفسنا وناقضنا جميع ما قمنا به من أعمال "....."^(٢).

مما سبق يتضح أن : الشيخ فتح الله كولن قد وجه أنظار الدعاة إلى الله أن ينوعوا في خطابهم بضرب المثل واستخدام أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، وأن يحترم الداعية ذاته وذات مدعويه بأن يتعرف على البناء الفكري للمخاطب ، مقتديين بسيد الخلق (ﷺ)، شريطة أن يتحلوا بالصدق في دعوتهم وأن يخلصوا النية لخالقهم .

١ - المرجع السابق، ص ١٠٧ .

٢ - طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، محمد فتح الله كولن ، ترجمة إحسان قاسم الصالحيبتصرف، ص ٩٨، ط الخامسة ، ٢٠١١، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة .

المطلب الثالث

ضرب الأمثال

لقد حفلت آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي (ﷺ) بالعديد من الأمثال ، كأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

فلقد ضرب الله مثلا للمعركة الدائمة بين الخير والشر في قوله - تعالى - : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ }^(١)

لذلك كان أسلوب ضرب المثل أحد الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم والرَّسول (ﷺ) في بيان الحقائق التي يهتدي بها النَّاس، وفي إقامة الحجَّة على مَنْ ضلَّ عن الهدف الذي يرمي إليه القرآن والسنة، وهو تحقيق العبوديَّة لله وحده، وغير ذلك من أهداف التَّربية الإسلاميَّة؛ كتربية العواطف الرَبَّانيَّة بإثارة الانفعالات المناسبة للمعنى من خلال المثل المَضروب، وتربية العقل على التَّفكير الصَّحيح، والقياس المنطقي السَّليم.

أسلوب ضرب الأمثال في السنة النبوية :

لقد كان رسولُ الله (ﷺ) يستعين على توضيح المواعظ بضرب المثل ممَّا يشاهده النَّاس بأمِّ أعينهم، ويقع تحت حواسِّهم وفي متناول أيديهم؛ ليكون وَقَع الموعظة في النَّفس أشدَّ، وفي الذهن أرسخ، ومن الأمثلة على ذلك: ما رواه أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحُ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ: طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحُ لَهَا)^(٢).

١ - سورة إبراهيم ، الآيات: ٢٤-٢٦.

٢ - التَّربية على منهج أهل السنَّة والجماعة، أحمد فريد، ص ٢٧٦، الناشر: الدار السلفية للنشر والتوزيع ٢٠٠٦م. والحديث أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب: إثم من رآى بقراءة القرآن (٥٠٥٩)، ومسلم (٥٤٩/١) كتاب صلاة المسافرين، باب: فضيلة حافظ القرآن (٧٩٧/٢٤٣).

ومن الأحاديث - أيضًا - التي استخدم فيها النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب إثارة الانتباه، وطرح السؤال على أصحابه؛ ليثير النشاط الذهني، ويجذب انتباههم ويشوقهم لما سيقوله لهم: ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أنه سمع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟)) قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: ((فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا))^(١).

نماذج لأسلوب ضرب الأمثال عند الشيخ فتح الله كولن:

يظهر أسلوب ضرب الأمثال عند الشيخ كولن جليًا في أكثر من موضع، ويتضح منها كيف يملك الشيخ كولن أدواته في الدعوة ومدى قدرته على الإقناع فيتحدث في مسألة أن القدر نوع من العلم الإلهي والعلم تابع للمعلوم دائمًا؛

ويوضح هذه المسألة بالمثل التالي: فيقول "لنفكر - مثلاً - في قطار يقطع المسافة بين محطتين معلومتين بزمن معلوم. فهذه نتيجة محسوبة وهي معلومة قبل حركة القطار بكثير. وتطبع هذه المعلومات في قوائم ولوحات أحيانًا. فالنتيجة المعلومة هذه عبارة عن تخطيط وتصميم. والآن إذا ما قسنا المثل على مسألتنا نقول:

"إن هذه النتيجة هو القدر". "إلا أن هناك أمرًا وهو أن هذه المعلومات التي لدينا ليست قوة جبرية تدفع القطار إلى الحركة؛ بمعنى أن القطار لا يسير إلى المحطة المعنية لأن هذه الخطة مرسومة ومصممة، وإنما لأن القطار سيكون في تلك المواعيد في تلك المحطات حسب تصميم هذه الخطة، أي في قدر -القطار يُسجّل هكذا، حيث إن العلم تابع للمعلوم. فكيفما يكن الشيء يمكن العلم به، ويوضع التقدير بحقه وفق ذلك العلم"^(٢).

١ - أصول تربية الطفل المسلم: الواقع والمستقبل، د/ آمنة أرشد بنجر، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص (١٦١، ١٦٢). والحديث أخرجه البخاري (١١/٢) كتاب مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفارة (٥٢٨)، ومسلم (٤٦٢/١ - ٤٦٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات (٦٦٧/٢٨٣)، والترمذي (٤١٨/١) كتاب الصلاة، باب: ما جاء في فضل الصلوات الخمس (٢١٤)، وأحمد (٤٨٤/٢).
٢ - القدر في ضوء الكتاب والسنة، محمد فتح الله كولن، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص ٢٣، ط٦، القاهرة ٢٠١٠ دار النيل للطباعة والنشر.

إن علم الله سبحانه يطل من الأعلى، ينظر في آن واحد إلى كل ماحدث ويحدث وما سيحدث كأنه حادث الآن.

يقول كولن : "فالسبب والنتيجة، والعلة والمعلول، والبداية والنهاية، مندمجة كلها في علمه، منحصرة كلها في نقطة واحدة بلا زمان ولا مكان. ولهذا فليس هناك أول وآخر، وقبل وبعد. أي أن علم الله سبحانه محيط بكل شيء من جميع جهاته"^(١).

ويتحدث أيضاً عن إرادة الإنسان فيقول: "إننا لا ننظر إلى إرادة الإنسان على أن لها وجوداً؛ وهذا ما يعتقد أهله السنة والجماعة الذين يمثلون معظم عقيدة الأمة.... إن لنا إرادة، وهذا صحيح، ولكن ليس لها وجود خارجي فهي مخلوقة، ولهذا لا يمكننا أن ننظر إلى إرادتنا أنها موجودة. فالأشياء غير الموجودة هي التي لم تُخلق، إلا أنها معلومة في علم الله سبحانه. أي أن لها وجوداً علمياً..... ولنمثل الأمر بمثال : ما نجده في أيدينا من مخطط وتصميم لبناء لا تأثير له بأي حال من الأحوال في إنشاء البناء، فلو حملتم خريطة البناء بتصميمها ومخططها ليل نهار ووضعتموها نصب أعينكم، فلا تؤثر في إنجاز البناء. أي لا قيمة ولا أهمية للخريطة والتصميم من هذه الناحية. ولكن ما إن تباشروا فعل البناء، فالتصميم والمخطط يحوز الأهمية؛ لأن فعل البناء لا يمكن إلا بوجود ذلك المخطط والتصميم، أما تحقيق هذا المخطط فعلاً وإيجاده، فهو بخلق الله - سبحانه - ومما يلاحظ أن خلق الله يجري وفق هذا المخطط؛ لذا لا جبر على الإطلاق بل جبر مشروط . فالخالق هو الله - سبحانه - ألا أنه جعل إرادة الإنسان شرطاً عادياً لخلقه"^(٢).

هكذا استعمل الشيخ كولن أسلوب ضرب الأمثال لغرض توضيح المسائل التي استشكل على المخاطبين فهمها رغبة منه في حمل المخاطبين على الاقتناع والإذعان والقبول لكل ما يرشدهم إليه .

١ - المرجع السابق ، القدر في ضوء الكتاب والسنة ، ص ٢٤ .

٢ - القدر في ضوء الكتاب والسنة ، محمد فتح الله كولن ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي بتصرف ص ٢٧ ، ط ٦ ، القاهرة ٢٠١٠ دار النيل للطباعة والنشر .

المطلب الرابع

القدوة الحسنة

إن أسلوب التربية بالقدوة قد يكون أسلوباً أصلياً مستقلاً بذاته في إيصال كثير من الأخلاق ، وقد يكون مكملاً للوسائل الأخرى ومؤيداً لها، فقد ثبت أن النبي (ﷺ) أمر الصحابة بالإفطار في رمضان يوم الفتح فتردد بعض الناس، (فَدَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ ثُمَّ شَرِبَ)^(١) فجمع بين القول والفعل، والجمع بين الأمرين مهم جداً، فهل يصلح يا ترى أن يأمر الوالد ابنه بالصلاة وهو يراه يتهاون في شأنها ويؤخرها عن وقتها، أو أن ينهاه عن التدخين وهو يراه ملازماً له، وهل يصح أن يأمره بالصدق وهو يراه يكذب، فلا بد للمربي إذا أمر بفضيلة أن يكون سبباً إلى التحلي بها وإذا نهى عن رذيلة فلا بد أن يحذر من اقترافها.

إن التربية بالقدوة قد تكون أبلغ من التعليم والترغيب والترهيب وغيرها من الوسائل ، لأن الأخذ بالشيء عملياً والتمسك به أكثر إقناعاً للمتعلم من الحديث عنه والثناء عليه، فمجرد العمل بالخير، يحصل قناعة عند الولد بصلاحية هذا الخير، وهذا واقع مشاهد في حياة الناس، وقد أكد على هذا علماء الإسلام منذ القديم ونقلوا وصية عمرو بن عتبة لمؤدب أولاده: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت»^(٢).

"فالطفل ابتداء من السنة السادسة من عمره تقريباً يمكن أن يحدد مدى التزام أهله ومعلميه بالتوجيهات التي يأمرونه بها، فالتلقين لا يثمر مع الولد وإن استعملت معه جميع أنواع ووسائل التربية إن لم توجد القدوة الصالحة التي تكون بمثابة ترجمة عملية للمعاني المجردة"^(٣).

أولاً - أهمية القدوة الحسنة :

إن الكلمة لتنبعث ميتة وتصل هامة - مهما تكن رنانة طنانة متحمسة - إذ لم تنبعث من قلب يؤمن بها ، "ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يتحول هو ترجمة حية لما يقول ، وتجسيماً واقعياً لما ينطق عندئذ يؤمن الناس ، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين

١ - رواه مسلم، كتاب الصيام ، باب أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل ، حديث رقم ١٦٩٣.

٢ - مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ، عدنان حسن صالح ، ص ٦٦ ، ط ١٠ ، دار المجتمع للنشر ، جدة ٢٠٠٥ م.

٣ المرجع السابق ص ٦٧.

ولا بريق ، إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من زينتها وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها إنها تتحول يومئذ دفعة حياة لأنها منبثقة من حياة

ويقول الإمام علي (عليه السلام): "قسم ظهري رجلان: عالم متهتك ، وجاهل متنسك".

ولله در القائل (١):

يا أيها الرجل المَعْلَمُ غَيْرُهُ	***	هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى	***	كَيْمًا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَى عَنْ غِيَّهَا	***	فَإِذَا انْتَهَيْتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَذَاكَ تُعْذِرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى	***	بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَحْصِلُ التَّسْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ	***	عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

ما أبلغ تصوير الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين أوصى أهله بالتحلي بالأخلاق الحميدة ، والضبط المتين، والحذر من مقارفة المنهيات ، فقال: (إن الناس ينظرون إليكم نظرة الطير إلى اللحم) (٢).

وعلى هذا فلا بد للداعية أن يكون قدوة حسنة في كل أمر من أمور حياته ، وفي اقواله وأفعاله فهو صادق مع ربه ونفسه ، ومع الناس ، قدوة في بيته كزوج واب ، وفي مجتمعه كعامل أو موظف ، وإلا سخر الناس منه في الدنيا وسخط عليه الله وكان في أبشع صورة وأفظعها منظرًا وخزياً في الآخرة .

قال (عليه السلام): {يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في نار فتندلق أفتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع عليه أهل النار ، فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى ، كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية} (٣). تندلق: أي تخرج - أفتاب أي - أمعاء .

١ - القصيدة مختلف في نسبتها فمنهم من نسبها لأبي الأسود الدؤلي، ومنهم من نسبها لغيره، ومنهم من أوردها غير منسوبة كالماوردي (ت: ٤٥٠هـ) في أدب الدنيا والدين

٢ - تاريخ الطبري ، ج٤ ، ص٢٠٧ ، ط ٣ ، ٢٠٠٥م ، دار المعارف ، القاهرة .

٣ - أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله، حديث رقم ٥١ ، ج ٢٤ ، ص ٢٢٩١ .

ثانياً: وسيلة القدوة عند الشيخ فتح الله كولن:

لقد تأكد للشيخ فتح الله كولن أن من أسباب انصراف الناس في عصرنا الحاضر عن الدين ونفورهم عن العلم ، رؤيتهم لبعض العلماء أنهم يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يقولون، فجعلوا من العلم وظيفة للحصول على منصب دنيوي أو كسب مادي ، وكان الأحرى بهم أن يجعلوا من علمهم قرابة إلى الله ورسالة ورثوها عن الأنبياء .

"حرص فتح الله كولن كل الحرص أن يكون طعامه ، وشرابه ، ولبسه على علاقة بالموقف الاجتماعي والنفسي للجماهير التي يخاطبها ، فعاش مهتما بكل حركة تبدر منه وبكل كلمة تخرج من فمه ، ويتصرف بشعور شخص موضوع تحت المراقب و مما يدل على مراقبته لله وعفته، يذكر انه مرض ذات مرة مرضا شديدا فجئ له ببعض الأدوية فسأل من أين أتيتم بها ؟، فقيل له من أدوية الطلبة فرفض رفضا تاما أن يأخذ منها"^(١)

لقد ركز الشيخ كولن في خطبه ومواعظه على ضرورة تمثيل الإسلام ، وإيجاد الداعية الذي يتحدث عن الإسلام بسلوكه واخلاقه وأفعاله قبل أقواله يقول كولن " هناك فرق بين أن تكون عالماً وبين أن تكون إنساناً . فبنسبة استعمال العالم لعلمه في خدمة الإنسانية وبنسبة تمثيله لعلمه بخلقه وفضيلته يتخلص من كونه مجرد حامل علم ويرقى إلى مستوى الإنسان الفاضل ، وإلا فهو شخص مسكين أضع عمره فيما لا ينفع . فالأخلاق والفضيلة هي التي تحول المعدن الصديء للجهل إلى معدن ثمين ومفيد كالذهب"^(٢)

ثم نراه يتحدث عن الاستقامة فيقول : " إياك أن تخدع أحداً حتى وإن تعرضت أنت للخداع . ومع أن الوفاء والاستقامة تجلبان في بعض الأحيان مصاعب وخسائر لصاحبه إلا أنهما خصلتان ساميتان إياك أن تتعد عنها"^(٣)

١- التجديد في الفكر الديني المعاصر نموذج دعوة محمد فتح الله كولن ، أبو زيد عبد الرحيم رسالة ماجستير بمعهد البحوث والدراسات الاسيوية بالزقازيق إشراف ، هدى درويش ص ٢٨٢ .

٢- الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن ، ترجمة اورخان علي ، ص ٨٥ ، ط ٩ ، ٢٠١٣ ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر .

٣- المرجع السابق ، نفس الصفحة

أهمية أسلوب القدوة عند الشيخ فتح الله كولن:

إن أهمية أسلوب القدوة في المجال الدعوي والتربوي تتضح من خلال الأمور الآتية:

أولاً- يقول كولن "إن حاجة الناس إلى قدوة نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر، وهي التقليد والمحاكاة، فالطالبة تندفع برغبة ملحّة قد لا تشعر بها نحو محاكاة من تعجب بها من معلماتها في لهجتها وأسلوبها ومعظم عادات سلوكها، ويقوى الميل إلى المحاكاة والتقليد إذا كان من التجهت إليها الأنظار قد فرضت احترامها وتقديرها وحبها، ولذلك اتخذ الإسلام القدوة الحسنة وسيلة لترقية المجتمعات المسلمة في سلم الكمال السلوكي"^(١).

ثانياً- يقول كولن "إن تأثير القدوة ينتقل من الداعية إلى المدعويين دائماً، سواء كان هذا التأثير عفويا غير مقصود، كاتصاف الداعية القدوة بصفات تدفع المدعو إلى تقليدها كإخلاصه وحسن خلقه، أو كان التأثير مقصوداً، كما يحدث في مقام التعليم"^(٢).

ثالثاً- يقول كولن "إن القدوة دعوة غير مباشرة، مما يجعلها أقرب لموافقة طباع المدعو الذي يأنف من اتباع التوجيه، ويرفض الأمر المباشر، والذي لا تجدي معه عشرات النصائح والمواعظ والمحاضرات، بينما قد يقتنع بالاتباع عند رؤيته القدوة المثالية الصادقة، فينطلق من قناعات ذاتية إلى العمل"^(٣).

رابعاً- تجاوز أسلوب القدوة لحدود اللغة، يقول كولن: "إن القدوة تتخطى مرحلة اللغة والدعوة والتعليم إلى مرحلة التربية والتدريب العملي، وبذلك تكون أبعد من مجرد الانتفاء النظري"^(٤).

خامساً- إن القدوة تتطلب - عادة - أكثر من مجرد المحاكاة والتقليد، يقول كولن: "تعد القدوة نموذجاً ومعيّاراً يحكم تصرفات المدعوا ويوجه سلوكه الوجهة المرغوبة، فالقدوة تعتمد العمليات العقلية العليا، بينما تعتمد المحاكاة على المشاهدة المباشرة والتقليد البسيط"^(٥).

١- الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن ، ترجمة اورخان علي ، ص٨٦، ط ٩ ، ٢٠١٣ ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر .

٢ - المرجع السابق ، نفس الصفحة

٣ -التجديد في الفكر الديني المعاصر نموذج دعوة محمد فتح الله كولن ، أبو زيد عبد الرحيم رسالة ماجستير بمعهد البحوث والدراسات الاسيوية بالزقازيق إشراف ، هدى درويش ص ٢٨٢ .

٤- الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن ، ترجمة اورخان علي ، ص٨٦، ط ٩ ، ٢٠١٣ ، القاهرة دار النيل للطباعة والنشر .

٥ -دعوة كولن بين التنظير والسلوك . نواز دصواش ص ٤٦ .مجلة نسيمات ، عدد ٢٢ ، إصدار عام ٢٠١٦ م.

سادساً- إن القدوة مكّمة للمعارف الدينية في تأثيرها على المدعوا، فالمعرفة العلمية لا تكفي لتهديب السلوك وغرس القيم، يقول كولن: " ليس من المحتم أن يكون صادقا من يعرف الصدق، ولكن قل أن تحقق القدوة الطيبة في هذا المجال، فإذا نجحت المدرسة وإدارتها ومدرسوها وجميع العاملين بها في أن لا تقع عينا التلميذ إلا على كل مظهر حسن، ولا تتلقى أذناه إلا كل لفظ شريف مهذب، ولا ينمو رصيده من المشاهدات والمدركات إلا بكل تصرف عادل، وكل عمل مخلص مفيد، إذا نجحت المدرسة في هذا؛ فقد وفّرت لتلاميذها مثلاً طيبة تؤتي ثمارها في اقتدائهم بها وتخلقهم بها"^(١).

مما سبق يتضح: أهمية القدوة في حياة الداعية وكيف استثمارها الشيخ كولن كوسيلة دعوية لتبليغ دين الله، وكيف بث في تلاميذه ومحبيه ضرورة أن يكونوا قدوة يحتذى بها وأمثلة يقتدى بها فينبغي على الداعية والمدرس أن يحرص كلاً منهما على سلوكه وفعله قبل قوله فتأثير الفعل أشد أثراً على المدعوا أو التلميذ قبل القول، وقد وردت أحاديث كثيرة في سنة سيدنا رسول الله (ﷺ) تبين وتوضح هذا الأمر جلياً .

وخلاصة هذا الفصل تتجلى في عدة ركائز:

أولاً: دعا كولن إلى بناء منظومة تربوية تعليمية متكاملة تتناغم فيها الجوانب المادية والعقلية بالجوانب الروحية والأخلاقية، فجعل مشكلة التربية والتعليم ضمن مواعظه ومقالاته وخطبه.

ثانياً: بدأ التنافس في فتح بيوت للطلبة لما حققته من نجاح في بناء جيل جديد من الشباب التركي المؤمن بدينه، المحترم لتاريخه وهويته، فكانت هذه البيوت فاتحة خير في إنشاء مدارس وجامعات داخل تركيا وخارجها، حيث توجد اليوم أكثر من ألفي مدرسة في تركيا وأكثر من ألف مدرسة خارج تركيا منتشرة في مائة وستين دولة، كما توجد أكثر من عشرين جامعة متميزة في مختلف التخصصات.

ثالثاً: إعادة صياغة شخصية الطلبة، وكانت في الوقت ذاته صمام أمن الناس رغم اختلاف توجهاتهم، وذلك حماية لأبنائهم من الأيديولوجيات الماركسية التي انتشرت في مؤسسات التعليم

١- دعوة كولن بين التنظير والسلوك . نواز دصواش ص ٤٦. مجلة نسيمات ، عدد ٢٢، إصدار عام ٢٠١٦م.

رابعاً: المزج بين الإيمان والعلم، تجسّدت على أرض الواقع في هذه المدارس التي بُنيت وفق أحدث التصاميم وبوسائل تعليم متقدمة تستخدم أحدث منجزات التكنولوجيا، ومناهج تعليمية تعمل على تغذية العقل وتنشيط المعرفة مع تربية النفس وزرع المثل والقيم العليا.

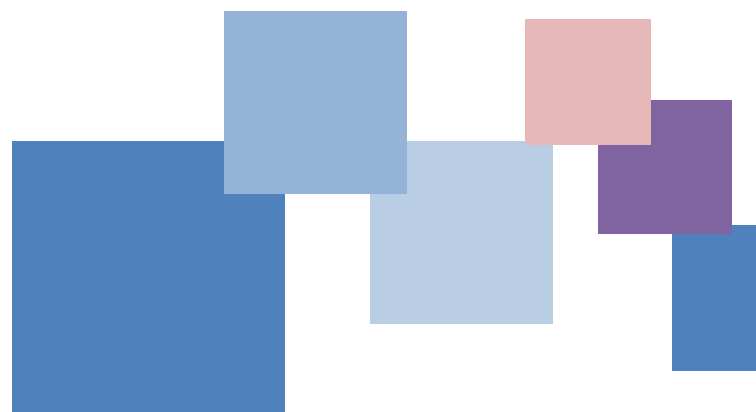
خامساً: لقد بيّن الأستاذ فتح الله كولن أن سر مركزية التعليم في العمل الإصلاحية، هو دورانه على الإنسان معلّمًا ومتعلّمًا؛ ذلك أن المعلّم المنخرط في مهنته بروح التعبّد الخالص، يستطيع أن يصنع من تلميذه إنسانًا جديدًا ينظر إلى مستقبل الأمة بعيون يملؤها الأمل وبقلب ينبض بالمحبة والسلام. ومن ثم فإن إصلاح الأجيال مرتين بإصلاح التعليم وإخراج فلسفته من ضيق المنطق الوظيفي الميت إلى سعة العمل الإنساني النبيل، ألا وهو بناء الإنسان بكل أبعاده النفسية والفكرية.

سادساً: أولى الناس بالحكمة بعد الرسل هم الدعاة، لأنهم ورثة الأنبياء، وحملة اللواء من بعدهم .

مما سبق يتضح : أن الشيخ كولن استخدم كافة الوسائل المتاحة في مشروعه الإصلاحية، والذي اعتمد فيه على الفرد ثم المجتمع، فأنشأ البيوت الحاضنة للطلبة بعد أن شجع أصحاب الأموال أن يقدموا أموالهم لخدمة أوطانهم في سبيل تحصين أبنائهم من موجة الإلحاد والفكر العلماني المنتشر في ذلك الوقت، ثم قام بإعداد المعلم إعدادًا جيدًا ليكون أسوة وقدوة لطلابه، ثم دعا الشيخ كولن إلى ثقافة الحوار ونبذ العنف والكراهية وأمر الدعاة أن يدعوا الناس بدعوة رسول الله التي قامت على الحكمة والموعظة الحسنة مستخدمًا في ذلك أسلوب ضرب المثل معتمدًا في ذلك على القرآن الكريم وسنة الرسول الأمين - صلوات ربي وتسليّماته عليه - .



الفصل الرابع



الفصل الرابع

المنهج التطبيقي عند الشيخ فتح الله كولن

وقد اشتمل على أربعة مباحث

• المبحث الأول:

الخدمات الإغاثية ودورها الإصلاحي في حياة الشيخ كولن.

• المبحث الثاني:

تحديد الأولويات وتوجيه الطاقات في حركة الخدمة.

• المبحث الثالث:

الرحلات الخارجية ودورها التربوي الإصلاحي في مدارس الشيخ كولن.

• المبحث الرابع:

سمات المنهج العملي في حياة الشيخ كولن.

توطئة:-

لقد أدرك الشيخ فتح الله كولن منذ وقت مبكر أن أكبر معضل يواجه المجتمعات الإسلامية - بل العالم كله- هو مشكل "الإنسان الصالح" الذي يتحرك حركة متوازنة ومنسجمة مع مكونات الوجود؛ يقول الشيخ كولن: "الإنسان كائن عاجز بحد ذاته، ولكنه لا تخفى عن النظر حقيقة واضحة وهي أنه يبدي مقدرة كبيرة عندما يستند إلى صاحب القدرة اللانهائية. أجل، عندما يستند إلى صاحب القدرة اللانهائية ينقلب من قَطْرَة إلى سيل، ومن ذرّة إلى شمس، ومن متسوّل إلى سلطان"^(١).

لقد كان الرسول (ﷺ) نموذجًا للإنسان الكامل الذي اصطفاه الله تعالى، ليكون قدوة للإنسانية في سعيها إلى إعمار الأرض وفق المسلك الذي يرضاه تعالى.

" وقد نظر الشيخ فتح الله كولن لشخصيته النبوية والإنسانية (ﷺ) على أنها الغاية والهدف الذي يتحتم التمسك به بغرض الوصول إلى تجاوز أزمة الذات الإنسانية والحضارية"^(٢).

أدرك الشيخ فتح الله كولن منذ وقت مبكر حاجات الواقع، فحدد الأولويات ورسم الخطط في عالمه الداخلي، وتسليح بالثقة في الله تعالى مستحضراً روح القرآن وقوله تعالى: ﴿لَا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٣).

من خلال ماسبق يتضح اهتمام الشيخ كولن بضبط المنهج التربوي الذي طبّقه في بداية المشروع الإصلاحية، ومنها توفير الظروف المواتية للشباب حتى يتفرّغوا للتحصيل العلمي والمعرفي الذي يؤهلهم ليكونوا أفراداً قادرين على المشاركة في بناء الوطن وتطويره نحو الأفضل... ومنها كذلك حماية هؤلاء الشباب من أن تنزلق أقدامهم إلى شتى أنواع الانحراف الأخلاقي والفكري وإلى العنف بشتى أنواعه.

١ - التغيير الناجح لمحات من المنجز في رؤية الأستاذ فتح الله كولن، محمد حكيب ، مجلة حراء.....بتصرف، العدد ٤٢، لعام

٢٠١٥، ص-٣٢.

٢ - المرجع السابق، نفس الصفحة .

٣ - سورة مريم آية: ٩٦.

المبحث الأول

الخدمات الإغاثية ودورها الإصلاحي في حياة الشيخ كولن

أولاً: ما المقصود بالعمل الإغاثي؟

"هو بذل الجهد الإنساني، بصورة فردية أو جماعية، بما يعود بالنفع على المجتمع دون تكليف محدد، ويقوم - بصفة أساسية - على الرغبة الحرة، والدافع الذاتي"^(١).

"ولا يهدف المتطوع إلى تحقيق مقابل مادي أو ربح خاص، بل اكتساب شعور الانتماء إلى المجتمع، وتحمل بعض المسؤوليات التي تُسهم في تلبية احتياجات اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية ملحة، أو خدمة ومعالجة قضية من القضايا التي يُعاني منها المجتمع، سواءً كانت من القضايا الكليّة؛ كدعم الحقوق، أو تأصيل الحريات"^(٢).

ويمكن أن يؤدّي العمل الخيريّ التطوعي بشكلٍ فردي، لكن الأغلب أن يؤدي في عصرنا عن طريق كيانات منظمة غير حكومية أو شبه حكومية، تسمى جمعيات خيرية، أو منظمات مدنية غير ربحية، والتي تمثل في مجموعها ما يطلق عليه المجتمع المدني أو الأهلي، وقد شرعت لها قوانين وأنظمة تنظم عملها وعلاقتها بالدولة، وبالكيانات الأخرى في المجتمع.

ثانياً: نظرة الإسلام إلى العمل الإغاثي :

إنّ العمل الإغاثي في مجتمعنا يستمد جذوره من تعاليم الإسلام الحنيف التي حضت على التواضع والتراحم، والتعاون والتكافل، والتناصر والتآزر، والمناصرة والمروءة، والبذل والعطاء، والإنفاق والمسارة إلى الخيرات، والتي أجملت وفصلت في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وقد اتخذ التطوع والصدقة في الإسلام والدولة الإسلامية صورةً مؤسسيةً في شكل الأوقاف التي ينفق ريعها على المساجد، والمستشفيات، ودور العلم، وتجهيز الجيوش، وإغاثة المنكوبين والمحتاجين.

^١ - العمل الإغاثي في حركة الخدمة بين الواقع والمأمول، سليمان شيخ سليمان، مجلة حراء، عدد ٩، ٢٠١٦م، ص ١٤.
^٢ - مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، خبرات مقارنة حركة فتح الله كولن نموذجاً، ص ٤٧٠، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠٠٩م.

❖ العمل الإغاثي في القرآن الكريم:

- قوله تعالى: - {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} (١)
- قوله تعالى: - {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ} (٢)
- قوله تعالى: - {وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} (٣)

❖ العمل الإغاثي في السنة النبوية:

- ورد في السنة النبوية المطهرة كثيرٌ من التَّغْيِيبِ فِي السَّعْيِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ، فَمِنْ ذَلِكَ:
- أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: {الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (٤)
 - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: {مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ} (٥)
 - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): {كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ} (٦)
 - أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: {خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ} (٧) وَهَذَا الْحَدِيثُ يُشِيرُ إِلَى نَفْعِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلَيْسَ نَفْعُ الْمُسْلِمِينَ فَقَطْ.

١ - سورة المائدة آية: ٢

٢ - سورة البقرة آية: ١٨٤

٣ - سورة البقرة آية: ١٧٧

٤ - رواه البخاريُّ باب المظالم برقم ٤٤٢ ، أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم رقم ٢٥٨٠ .

٥ - صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاحتجاج على تلاوة القرآن والذكر، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الحدود باب ما جاء في الستز على المسلم.

٦ - أخرجه مسلم في الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف رقم ١٠٠٩ .

٧ - أخرجه الطبراني في الكبير وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن ابن عمر رضي الله عنهما

والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة، تؤكّد قيمة التطوُّع والعمل الخيريّ، والمشاركة إلى الخيرات، والمساهمة في نفع النَّاس والمجتمع.

ثالثاً أسس العمل الإغاثي في فكر الشيخ كولن :

أ- الخدمة الإغاثية وجه من وجوه التبليغ:

"الخدمة الإغاثية دعوة حركية شاملة تستغرق الإنسانية والأسرة والمجتمع والفرد في تكامل دائم، ففكرة "الخدمة" حركية تتحرّك في شعاب الحياة، فهي فكرة للتحقق والتحقيق، وليست فكرة للتداول الأدبي أو الوعظي بقدر يطلب أن تكون في التفاصيل اليومية حياة الناس....."^(١)

ب- الخدمة الإغاثية وأثرها الميداني في حركة الخدمة :

يقول الشيخ كولن: "الخدمة الإغاثية رحلة مستمرة تستغرق كلّ الحياة من المهد إلى اللحد، فليس من حق المؤمن القول: "لقد أدت ما عليّ ولم يبق أمامي عمل شيء آخر"... لا يجوز له أن يقول هذا وينسحب من الميدان للراحة والدعة،.... وأن يتصرف على ضوء أنّ العالم المادي يكمل العالم اللامادي، وأن العالم اللامادي يكمل العالم المادي، فيعيش كإنسان لم يدع هناك أي فجوة في حياته"^(٢)

ج) من صفات الخدمة الإغاثية أنها مسلك التلطّف وكسب القلوب:

الخدمة الإغاثية مسلك امتلاك قلوب الخلق، ذلك أنّ من أهم الطرق المؤدية إلى كسب قلوب الآخرين هو البحث على الدوام عن أي فرصة لتقديم الخير والخدمة إليهم دون إضاعة أي وقت.

يقول الشيخ كولن: "نحن بحاجة إلى تدريب قلوبنا على عمل الخير على الدوام. وتأييد وتشجيع كل خدمة في سبيل الحق والصدق والاستقامة إشارة إلى احترام وتوقير الحق، ومن اختار

١ - روح الجهاد وحقائقه في الإسلام، محمد فتح الله كولن،...بتصرف، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٢٩، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ط ٢ ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.

٢ - أضواء قرآنية في سماء الوجدان/فتح الله كولن، ترجمة: أورهان محمد علي، ص ٣٨٥، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣.

هذا المسلك، فليعلم أنه واحد من جنود الأمة وليس كل الأمة، لهذا نحن بحاجة إلى التكامل والتعاون والتضامن"^(١).

أراد الشيخ كولن في مشروعه الإصلاحى أن يقدم للمجتمع خدمة شاملة في شتى مناحي الحياة، هذه الخدمة لها صفات وميزات خاصة تقوم على إغاثة الناس وتقديم كافة الوسائل المساعدة لهم في النكبات والنوازل دون مقابل مادي أو معنوي.

خامساً: الجانب التطبيقي للخدمات الإغائية عند الشيخ فتح الله كولن:

تغطي مؤسسات الخدمة مجمل المجالات الحياتية، ففيها مؤسسات ذات الطابع التعليمي والبحثي، ومؤسسات ذات طابع صناعي وتجاري، وأخرى ذات طابع طبي، ورابعة ذات طابع إعلامي، فضلاً عن مؤسسات الخدمة ذات الطابع الإغائي، ولكل مجموعة منها أثرها المشهود في محاربة الفقر، والغالب أنه يأخذ طابع الإغاثة.

^١ - الموازين أو أضواء على الطريق/فتح الله كولن، ترجمة: أورهان محمد علي، ص ١٤٥ دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ط، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢ م.

أولاً: مؤسسات الخدمة ذات الطابع التعليمي و البحثي وتوابعهما:-

تتوزع جهود الخدمة في هذا المجال على المؤسسات التعليمية بمختلف مراحل التعليم ومبيلات الطلبة، وقد شملت تلك المؤسسات التعليمية مدارس ابتدائية وتكميلية وثانوية وجامعية، فضلاً عن قاعات القراءة المطالعة.

"تؤسس هذه المؤسسات التعليمية وتديرها شركات خاصة ذات أسهم، تعمل في إطار القوانين التي تضبط القطاع الخاص وتتبع وزارة التربية والتعليم التركية، وهي مؤسسات وإن كان بينها اتصال في فكرة الخدمة إلا أنّها مستقلة عضويًا عن بعضها، فلكل مؤسسة تعليمية شركتها الخاصة وإدارتها المستقلة، وهذا لا يمنع من استفادة تلك المؤسسات من بعضها في الخبرة المهنية والعلمية والإدارية..^(١)

تميّز هذه المدارس بالجودة العلمية والنوعية التعليمية، التي بلغت بها رتبة متقدمة حوّلت لها تمثيل البلد في المحافل الدولية المتعلقة بالمسابقات العلمية العالية، ويقرب عدد تلك المدارس من خمسمائة مؤسسة تعليمية في تركيا^(٢)

ويظهر دور مؤسسات الخدمة الإغائية في التعليم بمحاربة الفقر في المجالات الآتية^(٣):-

- مساعدة الفقراء على الانتساب إلى هذه المؤسسات بتكلفة رمزية أو تكلفة يغطي نفقاتها بعض المتحققين بفكرة "الخدمة" من التجار أو الصناعيين، كما يمكن أن تتولى الشركة المؤسسة للمؤسسة التعليمية بتغطية النفقات.
- تتولى هذه المؤسسات مجمل النفقات المتعلقة بالتدريس والتعليم، وما يترتب عليها، وهذا له صلة بقاعات المطالعة والمبيت، التي يتولى نفقاتها الأغنياء والتجار لصالح أصحاب الحاجة من الفقراء.

^١ - ظهرت هذه المدارس بسبب الاختبار الوطني الذي ترتبه الدولة ويتأهل بموجه خريج الثانوية لدخول الجامعة حيث إن نسبة النجاح في المسابقة الوطنية ضئيل؛ فإن وجود هذا النوع من المدارس بجانب المدرسة العادية ضروري، يزداد الطالب على هذه المدارس أثناء الأسبوع أو في نهايته.

^٢ - محاربة الفقر: المطلقات والغايات - حركة فتح الله كولن أمودجًا- د عمار جيدل ، مجلة حراء العدد ٢٤ ، ٢٠١٥ م، ص٣٣

^٣ - مكافحة الفقر في الداخل والخارج ، نماذج مختارة من حركة فتح الله كولن ، مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، خبرات مقارنة مع حركة كولن التركية ، جامعة الدول العربية الفترة ، ٢١-١٩- أكتوبر -٢٠٠٩ / ص٤٨٠ ، ط دار النيل للنشر ، القاهرة.

ثانياً: مؤسسات الخدمة ذات الطابع الصناعي والتجاري:

مؤسسات الخدمة ذات الطابع التجاري والصناعي كثيرة عدداً في الخارج والداخل، فبعض التجار والصناعيين يتكفلون ببعض الطلاب الدارسين في مختلف مراحل التعليم، وهي الفلسفة التي تقوم عليها فكرة الخدمة.

وقد ظهر بهذا الصدد تنافس كبير بين المتحقيقين بفكرة الخدمة في مجال خدمة التعليم بما يرفع من منسوب التحصيل العلمي العام للأمة في المجتمع التركي والعالم، ستركز جهدنا على بيان الأعمال الاقتصادية في الداخل ثم الخارج.

• "أسس التجار فكرة "الخدمة" مؤخرًا أكبر اتحاد رجال أعمال في تركيا يعرف باسم توسكون^(١)، يعمل هؤلاء على مد الجسور التجارية بين تركيا والعالم، ولـ"توسكون" حضور مشهود في كثير من أرجاء المعمورة، ويستقطب رجاله الأموال الأجنبية للاستثمار في تركيا حتى غدا من العادة أنه ما وجدت مدرسة إلا وجد التجار والصناعيون القائمون على خدمتها، لهذا لهم حضور في أكثر أربعين ومائة دولة، بحسب وجود المدارس"^(٢).

الخدمات المقدمة في مجال محاربة الفقر المادي والمعنوي:

- "اقتسم التجار والصناعيون المقتنعون بفكرة "الخدمة" المدارس والمؤسسات التعليمية والعلمية والطبية المبتوثة في العالم، فتكفل كل شركة أو مؤسسة بمدارس مخصوصة يتولون تسديد كل نفقاتها التي تعود في آخر المطاف إلى خدمة الفقراء والمساكين"^(٣).

ثالثاً: مؤسسات الخدمة ذات الطابع الطبي:

قامت حركة الخدمة بإنشاء عدّة مستشفيات في تركيا، وهي مؤسسات خاصة يحكمها القانون الذي يضبط القطاع الخاص، وأنشئ بعضها في المدن ذات الكثافة السكانية العالية من نحو إسطنبول وأزمير وقونيا وإزروم وبورصة...

^١ - الاتحاد الكونفدرالي أو الكونفدرالية (بالإنجليزية: Confederation) هو رابطة أعضاؤها دول مستقلة ذات سيادة والتي تفوض بموجب اتفاق مسبق بعض الصلاحيات لهيئة أو هيئات مشتركة لتنسيق سياساتها في عدد من المجالات وذلك دون أن يشكل هذا التجمع دولة أو كيانا وإلا أصبح شكلا آخر يسمى بالفدرالية. أما كونفدرالية الصناعيين التركية، وهي تتضمن سبع فيدراليات ضخمة لرجال الأعمال تشتمل على مئات من جمعيات التجار المنبثقة في مناطق مختلفة من تركيا. وتوسكون تشتمل على خمسة عشر ألف عضو من عالم التجارة.

^٢ - محاربة الفقر: المنطلقات والغايات - حركة فتح الله كولن أمودجاً - د عمار جيدل، ص ٤٢، مجلة حراء العدد ٢٤، ٢٠١٥ م.

^٣ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

"يدير هذه المؤسسات إدارة مستقلة تتكفل بكل مستلزمات العمل الاستشفائي الناجح، وهي تشمل كافة التأمينات الرسمية للموظفين والعمال وأصحاب العمل. وأشهر تلك المؤسسات الاستشفائية "مستشفى السماء" المتميز بخدماته النوعية والمهنية العالية، لهذا كان محلّ عناية كثير من رجال الفكر والعلم والسياسة والتجارة... في الخارج والداخل"^(١)

الخدمات الإغائية المقدّمة في المجال الطبي:

— "لم يقتصر نشاط الخدمة الطبي على تركيا، إذ نظم المقتنعون بفكر الخدمة من الأطباء والإطار "شبه الطبي"، سواء أكانوا في المشافي القائمة على "فكرة الخدمة" أم الموظفون في القطاع العام والقطاع الخاص الآخر، بتنظيم رحلات طبية لبعض الدول الأفريقية، مثل نيجيريا وكينيا والكونغو وتنزانيا والسودان وإثيوبيا وأماكن أخرى كثيرة"^(٢)

— العمل على تأسيس مستشفيات في مختلف الأماكن من العالم، وخاصة في الدول الفقيرة أو التي تعيش توترات سياسية أو اقتصادية أثرت على مستوى الصحة العام في تلك البلدان، وخاصة البلدان الإفريقية وبعض بلدان القارة الآسيوية"^(٣).

❖ خلاصة ما سبق :

يمكن في ختام المبحث عرض بعض الملاحظات المهمة:

هناك علاقة بين طبيعة البرنامج وبين المستوى الحضاري والاقتصادي للمناطق التي يخدمها، فكما لوحظ أن برامج مكافحة الفقر تزداد في مجال معين نتيجة لنقص فيه، سواء كان ذلك النقص بسبب زيادة مفاجئة ككارثة أو نازلة، أو بسبب عدم سد الحكومات لهذا النقص. لذلك يجب مراعاة ذلك عند التخطيط للأولويات في منطقة معينة، وكذلك عند مقارنة البرامج من منطقة لأخرى يجب مراعاة سياق الأولويات.

ظهر أن هناك إختلاف في طرق تنفيذ المشروعات من جهة إدارتها وحشد المتطوعين لها وجمع الأموال والإعلان عنها من منطقة لأخرى، ولعل هذا ما يبرز مسألة إختلاف نمط رأس

^١ - محاربة الفقر: المنطلقات والغايات - حركة فتح الله كولن أمودجًا - دعمار جيدل، ص ٤٤، مجلة حراء العدد ٢٤، ٢٠١٥م.

^٢ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

^٣ - مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، الجلسة الثالثة، مكافحة الفقر، ص ٤٤٩، ط ١، القاهرة ٢٠١١، دار النيل للطباعة والنشر.

المال الاجتماعي، من جهة طرق التواصل، ومقدار الثقة والتفاعل. كما تظهر الحاجة إلى مزيد من الدراسات حول أنماط رأس المال الاجتماعي وعلاقتها بالمستوى الحضاري والتكنولوجي والاقتصادي.

لذلك من الضروري عند التأكيد على أهمية الجهود المدنية لمحاربة الفقر بمختلف الصور الإشارة إلى ضرورة معالجة بنية إنتاج الفقر، واستبدالها ببنية لإنتاج الوفرة والعدل للجميع.

المبحث الثاني

تحديد الأولويات وتوجيه الطاقات في حركة الخدمة

لقد جاء الإسلام منظماً لحياة البشر، مؤكداً على ضرورة الترتيب بين الأشياء بحسب أولويتها وأهميتها بالنسبة للفرد المسلم وللأمة المسلمة، قال تعالى: { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ }^(١)، وقال أيضاً: { أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }^(٢)، وقال رسول الله (ﷺ) ردّاً على سؤال أي الجهاد أفضل؟ فقال: { كلمة حق عند سلطان جائر }^(٣).

■ إن ترتيب الأولويات يجعل حياة المسلم متوازنة، فقد وازن الإسلام بين المطالب كلها في اتساق لا طغيان فيه لجانب على جانب؛ بل أكد على ذلك بالنهي عن الغلو والإفراط، كما نهى عن التفريط والإهمال، وأمر بالتوسط والاعتدال في جميع الأحوال.

أولاً:- مفهوم الأولويات:-

"الأولى بمعنى الأحق والأجدر والأقرب.. أو وضع كل شيء في مرتبته فلا يؤخر ما حقه التقديم، أو يقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير ولا يكبر الأمر الصغير"^(٤).

ولذا كثر في الأحاديث: أفضل الأعمال كذا، أو أحب الأعمال إلى الله كذا وكذا، فعن عمرو بن عبّسة (رضي الله عنه) قال: قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: { أن يسلم الله قلبك، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك؟ قال: فأبى الإسلام أفضل؟ قال: (الإيمان)، قال: وما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، والبعث بعد الموت) قال: فأبى الإيمان أفضل؟ قال: (الهجرة)، وقال: وما الهجرة؟ قال (أن تهجر الشوء)، قال: فأبى الهجرة أفضل؟ قال: (الجهاد)، قال:

١ - سورة الزمر آية: ٥٥.

٢ - سورة التوبة آية: ١٩.

٣ - أخرجه مسلم في صحيحه باب تحريم الغدر برقم ٣٣٧٤ و باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتن برقم ٥٠٥٤ ، والترمذي في جامعه ، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر برقم ٢١٩٤ ، وابن ماجه في سننه باب الوفاء بالبيعة برقم ٢٨٨٩ .

٤ - دراسات شرعية ، د. متولي البراجيلي، مجلة التوحيد ، الصادرة عن جمعية أنصار السنة المحمدية ص ٣٨ ، عدد ٥٦٣ ، لعام ١٤٣٩هـ ، ٢٠١٧م ..

وما الجهاد؟ قال (أن تقاتل الكفار إن لقيتهم)، قال: فأبي الجهاد أفضل؟ قال: (من عُقر جواده وأهريق دمه)^١.

ومن تتبع ما جاء في القرآن الكريم، ثم ما جاء في السنة المطهرة في هذا المجال، جواباً عن سؤال، أو بياناً لحقيقة، رأى أنها قد وضعت أمامنا جملة معايير لبيان الأفضل والأولى والأحب إلى الله تعالى من الأعمال والقيم والتكاليف، وبيان ما بينها من تفاوت كبير، وذكرت بعض الأحاديث نسبة، مثل (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ (الفرد) بسبع وعشرين درجة)، وقوله صلي الله عليه وسلم (سبق درهم مائة ألف درهم)، (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه)، (إن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلواته في بيته سبعين عاماً).

ثانياً: رؤية فتح الله كولن في تحديد الأولويات في بناء جيل الخدمة .

لقد خلق الاستهداف العلماني الشامل عند أبناء الخدمة قدرًا كبيرًا من اليقظة والحذر والتوثب، وإلى هذا يشير كولن بقوله: "... نقوم نحن بإنشاء بناء لبنة لبنة وحجرًا حجرًا، كما نقوم بحراسة الجزء المشيد من البناية"^٢. قال هذا الكلام بعد شرحه لما يلقونه من صنوف الإيذاء والحرب التي تلاقيها دعوتهم من الأوضاع المنحرفة التي خلقتها العلمانية المتطرفة. وتتضح هذه الرؤية في عدة أمور:

- الدوران حول المقاصد وتجفيف منابع الفُرقة:

الناظر في خلافات المسلمين الداخلية، يدرك أن أحد أسبابها الخوض في التفاصيل والجزئيات، والدوران حول نصوص وقضايا جزئية، وإهمال المقاصد العامة التي جاء الإسلام من أجل تحقيقها، ولذا فإن كولن يجعل الدوران حول مقاصد الشريعة أساسًا من الأسس التي يقوم عليها فقه الأولويات.

^١ - أخرجه مسلم في صحيحه (باب إسلام عمرو بن عبسَة، وأبو داود في سننه في باب تفرّيع صلّاة السّفَر برقم ١١١٧ والنسائي في الصغرى (ثواب من توضأ كما أمر برقم ١٤٧ والنهي عن الصلاة بعد العصر برقم ٥٧٢ وإباحة الصلاة إلى أن يصلي الصبح برقم ٥٨٤) وابن ماجه في سننه (باب ثواب الطهور برقم ٢٨٥ و باب ما جاء في الساعات التي تُكره فيها الصلّاة برقم ١٢٥٤ و باب ما جاء في أيّ ساعات الليل أفضل برقم ١٣٦٧ و باب القتال في سبيل الله

^٢ - أسئلة العصر الخيرة، فتح الله كولن، ترجمة أروخان محمد علي، ص١٧١، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٨، دار النيل للطباعة والنشر.

وبدأ الأمر بقراءة أسباب الفُرقة في تاريخنا الإسلامي، حيث وجد أن غياب الرؤية الكلية والتصور الشامل هو السبب الرئيسي، يقول كولن: "لقد غابت عن واقعنا منذ قرون، منظومة فكرية ذاتية، وفلسفة حياة ذاتية، تعتمد على الحركات الإسلامية التي تشكل جذور المعنى لثقافتنا" الملّية "فتشّنتنا شذّر مدّر، نحن وعالم كبير مرتبط بنا"^(١).

ولهذا فإنه يدعو إلى إيجاد هذه الرؤية الكلية المعاصرة بعيدًا عن الفلسفات الأجنبية، ويحث على تفعيل فقه مقاصد الشريعة الإسلامية في هذا السبيل.

يقول كولن: "يجب أن يتحقق هذا، سواء بالشعور التضامني المشترك، أو بدافع العلم والحس، أو بعمل منسق متكامل، أو بالدهاء العقلي. فلا شبهة ولا شك في حاجتنا الماسة إلى هذا النظر الكلي والشمولي، والتقييم العمومي والموضوعي"^(٢).

ولهذا فإنه يشترط في المثقف والداعية وصاحب همّ التغيير أمورًا عديدة في دائرة الوعي، ومنها "أن يكون محترمًا للمقصد، خبيرًا بحكمة التشريع ومراد صاحب الشريعة، عالمًا بالأسس المحضة لأحكام الدين، مستقبلاً للواردات الإلهية"^(٣).

- الامتناع عن ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة:

إن زعم كثير من الشخصيات والجماعات امتلاكها للحقيقة المطلقة، هو سبب تسفيهاها للآخرين، ومن ثم الوصول إلى حالة من الصراع والصراع الآخر، وبروز ظاهرة التشرذم والانقسام، سواء كان هذا الادعاء بلسان المقال أو بلسان الحال.

ولهذا ظل كولن ينتقد هذه الظاهرة، ويحذر من الوقوع فيها، ويبين الحلول لها والمخارج منها. " فإنه حتى في هذه الحالة يبين أن الإنسان بروحه وعقله قادر على أن يدرك الحقيقة بفطرته: ولكن العوائق من أمثال الكبرياء وتجاوز الحد والخطأ في زاوية النظر تمنع رؤية الهدف بشكل

^١ - ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ترجمة عوني عمر لطفي ص: ١٤٣، ط ٥، القاهرة ٢٠١١، دار النيل للطباعة والنشر.

^٢ - المرجع السابق، نفس الصفحة ..

^٣ - ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ترجمة عوني عمر لطفي، ص ١٤٤، ط ٥، القاهرة ٢٠١١، دار النيل للطباعة والنشر.

واضح. وحتى لو بلغ الإنسان ذروة العلم فلن يستطيع الخلاص من القرارات الخاطئة ما لم يستطيع الخلاص من هذه العوائق"^(١).

ويشرح هذه الظاهرة من كل جوانبها، وهو يرى أن "الاختكار الفكري وادعاء صاحبه بأن الحق دائماً معه ليس إلا تعبيراً عن عبادة الوسيلة وإشارة إلى غياب الهدف. وإلا فكيف يمكن تفسير مشاعر الحقد والنفور والكراهية عند بعضهم نحو أناس يشاركونهم العقيدة والمشاعر والمبادئ نفسها؟ أليس هذا دليلاً على عدم وجود هدف؟ آه من هؤلاء المساكين عبيد أنفسهم الذين يطمحون إلى إدارة العالم حسب أفكارهم العرجاء"^(٢).

ولذا كان يدرّب تلاميذه على إدراك النسبية وعدم وجود الخير المحض والشر الخالص، أو عدم وجود الصواب الكامل والخطأ التام، وكان يلفت أنظارهم إلى هذه الحقيقة في ثنايا موضوعات كثيرة، وعلى سبيل المثال: "وضح لهم في إحدى محاضراته أن كل المذاهب، كالمعتزلة والجبورية في التاريخ الإسلامي، وكل الثقافات غير الإسلامية كالرأسمالية والشيوعية، أنها جميعاً تمتلك شيئاً من الصواب ووجهاً من أوجه الحقيقة"^(٣).

التخطيط الكلي والتدرج المرحلي:

دعا كولن إلى عدم التشاؤم بسبب قلة الإمكانيات ومحدوديتها، يقول كولن "أجل! على المسلم أن يخطط على الدوام ويبرمج كيف يضرب بحجر واحد أكثر من عصفور، مثلما نرى في العديد من الإجراءات الربانية. فكما نحصل من بذرة واحدة نبذرها في الحقل على سبع أو سبعين أو سبعمائة من البذور، علينا أن نخطط في كل خدمة نريد تحقيقها في سبيل الإيمان وفي سبيل الملة للحصول على سبع أو سبعين أو سبعمائة ضعف"^(٤).

^١ - أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ترجمة أورشان محمد علي ص: ١٣١، ط٥، القاهرة ٢٠١٣، دار النيل للطباعة والنشر.

^٢ - ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ترجمة عوني عمر لطفي، ص٢٩، ط٥، القاهرة ٢٠١١، دار النيل للطباعة والنشر.

^٣ - أسئلة العصر المحيرة، فتح الله كولن، ترجمة أورشان محمد علي، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٨، دار النيل للطباعة والنشر، ص١٥٠، ١٥١.

^٤ - أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ترجمة أورشان محمد علي ص١٤١، ط٥، القاهرة ٢٠١٣، دار النيل للطباعة والنشر.

دعا كولن إلى ضرورة التنظيم للحاضر والتخطيط للمستقبل، من أجل حساب الأرباح والخسائر المحتملة، وهو ما يدخل تحت مسمى "فقه المآلات" كما عند الأصوليين من علماء الإسلام، "فقبل القيام بأي عمل وبأي نشاط إن لم يتم التفكير جدياً في العاقبة، وإن لم تؤخذ آراء المجريين، فلا يمكن التهرب من عاقبة خيبة الأمل والندامة. كم من نشاط وعمل بُدء به دون إمعان فكر، لذا فلم يتم تسجيل خطوة واحدة فيه إلى الأمام.. ليس هذا فحسب بل خسر القائمون به سمعتهم كذلك"^(١).

"وحضّ كولن على التخطيط الذي يتضح فيه الهدف تمامًا حتى لا تتعدد الأهداف أثناء العمل، ويظهر الاضطراب والفوضى، وحتى لا تتحول الوسائل إلى أغلال تقيد الإنسان وتربطه بها"^(٢).

ويرى كولن أن "وضع خطة مدروسة بشكل جيد لإنشاء ورشة أو مصنع أمر ضروري لنجاحهما، فكيف "بالتخطيط الذي يتناول أمور الأمة كاملة، ويتناول إدارة دولة، وإرادة الإنسان، وهي أمور حافلة بالمعضلات والألغاز لكونها متعلقة بهذا الإنسان اللغز"^(٣).

- تركيز طاقة النقد على الذات وإعذار الآخرين:

العمل الناجح، سواء صغر أو كبر، يحتاج لكي ينجح ويكون فاعلاً، لثلاث مراحل رئيسية، الأولى: مرحلة التخطيط، والثانية: مرحلة التنفيذ، والثالثة: مرحلة التقييم والنقد الذاتي. "ولا يمكن أن يصل تيار الخدمة إلى الفاعلية التي صار عليها، ما لم يكن قد سار في هذه المراحل الثلاث، بفضل الله ثم بحكمة المؤسس والموجه كولن، ولهذا فإنه أولى التقييم والنقد الذاتي اهتماماً بالغاً في مواضع كثيرة، وبأساليب وفيرة"^(٤).

١ - الموازين أو أضواء على الطريق/فتح الله كولن، ترجمة: أورهان محمد علي، ص ٣٢ دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ط ١٤٢٢، ١/هـ-٢٠٠٢م.

٢ - المرجع السابق، ص-٣٧.

٣ - الموازين أو أضواء على الطريق/فتح الله كولن، ترجمة: أورهان محمد علي، ص ٣٣ دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ط ١٤٢٢، ١/هـ-٢٠٠٢م.

٤ - طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ترجمة، إحسان قاسم الصالحى ، ص-١٠٧، ط ٢٠١١م.

مثال ذلك :-

فعدت تفسيره لقوله تعالى { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ }^(١)
أوضح منهج القرآن في اتهام الذات، ومما قاله بهذا الصدد: "والحقيقة أن معرفة الإنسان بأن
المصائب التي تصيبه هي نتيجة أعماله وما اقترفت يدها هي من أمر القرآن. وأي تفكير مخالف لهذا
يسوق الإنسان إلى التفتيش عن متهم ومذنب خارجي. أجل! يعطينا القرآن مقياساً في البحث عن
المذنب: المذنب ليس شخصاً آخر، بل هو أنفسنا"^(٢).

ويوضح هذا جلياً في شأن معصية سيدنا آدم - عليه السلام - ومعصية إبليس اللعين -
فأشار في ذات السياق إلى أن الفرق بين معصية سيدنا آدم - عليه السلام - ومعصية إبليس، هو أن
سيدنا آدم - عليه السلام - اتهم ذاته، بينما نسب إبليس الغواية إلى الله. وفي مقام آخر يقول:
"والحقيقة أن أفضل طريق لجلب رحمة الله ومغفرته هو اعتراف الإنسان بتقصيره، وهذا هو طريق
الأنبياء العظام عليهم السلام"^(٣).

- ضرورة تفعيل النقد الذاتي المبني على المحاسبة :

والنقد ضروري كي نعرف نواقصنا وطبائعنا، وحتى لا نحرم من إمكانيات تعديلها،
ولذلك فإنه من علامات الإنسان العاقل.

وما يعرف بالنقد الذاتي في هذا العصر، هو ما يعرف في التراث الإسلامي بالمحاسبة، وقد
تحدث عنه كولن بأسلوبه فقال: "إن تقييم الفرد لوضعه الحالي وتهيأه للمستقبل، وتلافيه الأخطاء
التي ارتكبها في الماضي وتطهره منها لدى الحق تعالى، واكتشافه لقيمته الحقيقية بتفقدته لنفسه في
أمسه ويومه وغده، والأهم من هذا تجديد عالمه الداخلي باستمرار، من حيث علاقته بالله تعالى، لا
يكون إلا بعد محاسبته لنفسه محاسبة دقيقة صارمة"^(٤).

١ - سورة الشورى آية : ٣٠.

٢ - أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، محمد فتح الله كولن ، ترجمة أروخان محمد علي ، ص٣٧، ط٥، القاهرة ٢٠١٣، دار
النيل للطباعة والنشر .

٣ المرجع السابق، نفس الصفحة .

٤ - التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ، محمد فتح الله كولن، ص٣٢، ط٣، القاهرة ٢٠١٣، دار النيل للطباعة والنشر.

وبسبب أهمية العوامل الداخلية في النجاح أو الخسارة، وبسبب دور صلاح الذات في إصلاح الآخرين، وبسبب تأثير الفكر على الذات سلباً أو إيجاباً، "فقد أكثر كولن من الحديث عن العالم الداخلي وضرورة الاهتمام به ومراقبته وتركيبته، والمزاوجة في إحيائه بين الفكر والشعور، أو بين العقل والقلب"^(١).

- عدم استنزاف الفكر والعقل وإعذار الآخرين:

"ولهذا فقد حث كولن على البحث للآخرين عن أعذار، وظل شعاره في هذا الشأن مقولته الذهبية الرائعة: "على الإنسان أن يتصرف تجاه أخطائه كمدعي عام، وتجاه أخطاء الآخرين كمحامي دفاع"^(٢).

ويؤكد مرة أخرى على عدم جواز إصدار الأحكام في حق المؤمنين، وعدم جواز سوء الظن بالمسلمين، وحث على اتباع القاعدة السابقة، ومنها البحث للمسلمين عن أعذار، كالمحامي الذي يبرئ موكله من التهم المنسوبة إليه، ويؤكد أن: "هذا كان تصرف وسلوك النبي (ﷺ) وسلوك الصحابة والتابعين من بعدهم، فلم يؤولوا أحوال المؤمنين تأويلاً سيئاً، فمن دخل إلى حديقة أو بستان لم يلتفت إلى وجود بعض الأشواك فيها، بل يجب حصر نظره على الأزهار وعلى الثمار الموجودة فيها، وشعاره "خذ ما صفا، دع ما كدر"^(٣).

وبهذه الوسائل التي أصبحت جزءاً من مشروع تيار الخدمة في العمل المدني والدعوة السلمية المعتمدة على القدوة الحسنة والدعوة العملية، وبجانب الأسس السابقة نجح فتح الله كولن بإيجاد ما يمكن تسميته بفقهاء الأولويات، في زمن تفرق فيه المسلمون حتى صاروا مضرب المثل في ذلك.

١- الموازين أو أضواء على الطريق/فتح الله كولن، ترجمة: أروخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ط١٤٢٢، ١ هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٢١٠.

٢- المرجع السابق، ص ٢٦٠.

٣- أسئلة العصر المحيرة، فتح الله كولن، ترجمة أروخان محمد علي، ط٤، ص ٣١٠، ٣١١، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ٢٠٠٨.

وفي مجال توجيه الطاقات واستخدام الكفاءات:-

نجد أن الشيخ كولن اعتمد في هذا الجانب على فهمه ومعايشته لسيرة النبي (ﷺ)، وقد ظهر هذا واضحاً في كتابه "النور الخالد محمد (ﷺ) مفخرة الإنسانية" حيث تحدث في بعض فصوله عن "القائد واستخدام الكفاءات في المكان المناسب" يقول الشيخ كولن في مقدمة لهذا العنوان: "لقد استخدم الرسول (ﷺ) أصحابه ومن اتبعه بشكل صحيح، فوضع كلا منهم في مكانه المناسب، وعندما كان ينتدب أحداً لمهمة ما، فمن المؤكد أنه كان أنسب الأشخاص الموجودين لتلك المهمة وإجراءاته شاهدة على هذا، إلى درجة أنه لو لم يكن هناك دليل آخر على نبوته لكان اكتشافه لقابليات الأفراد واستعمال كل فرد منهم في موضعه الصحيح وفي مكانه المناسب وإعطاء كل واحد منهم الوظيفة المناسبة والملائمة له للاستفادة القصوى من قابلياته وطاقاته وعدم وقوعه في أي خطأ في هذا الموضوع، -هذا باستثناء الحالات التي استخدم بعضهم لمدة مؤقتة تألفاً لقلوبهم ومراعاة لحالاتهم النفسية- دليلاً قائماً بذاته على هذه النبوة بحيث لا نملك إلا أن نهتف: "محمد رسول الله. (ﷺ)"^(١)

تعامل الرسول (ﷺ) مع كل واحد معاملة خاصة، فلم يأمر مثلاً سادتنا أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) بالهجرة إلى الحبشة، ولم يأمر كذلك سادتنا علياً وزبيراً لصغر سنهما، ذلك لأن أمثال هؤلاء كانوا من الذين يستطيعون تحمل ما يجري في مكة.

كان سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ذا بنية نحيفة، وكان من الصعب عليه أن يتحمل ذلك ألبو القاسي الذي كان يعصف في مكة، ثم كان هو أفضل من يستطيع حماية المسلمين في الحبشة، لذا كلفه الرسول (ﷺ) بهذه المهمة وأرسله إلى الحبشة.

ثم ضرب الشيخ كولن الأمثلة على ذلك من سيرة الرسول (ﷺ) وتوجيه طاقات أصحابه رضي الله عنهم:-

سيدنا أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه)

"فمثلاً جاء سيدنا أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) إلى مكة ثم أعلن إسلامه، ولكن وجود مثل هذا الشخص ذي المشاعر الفوارة والعواطف المتأججة في مكة آنذاك لم يكن مناسباً بل ضاراً له

^١ - النور الخالد محمد (ﷺ) مفخرة الإنسانية ، محمد فتح الله كولن ط ٨، ص ٣٥٣ م دار النيل للنشر ، القاهرة ٢٠١٣ م .

ولغيره، لذا أمره الرسول (ﷺ) بالرجوع إلى قبيلته والقيام بمهمة الإرشاد هناك وقال له: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيتك أمري.» فرجع إلى قومه ولم يأت إلى الرسول (ﷺ) إلا بعد فتح خيبر^(١)

كان سيدنا أبو ذر عابداً زاهداً، ومن أنصار العدالة الاجتماعية إلى درجة قد تحير علماء الاجتماع الحاليين، كان سيدنا أبو ذر (رضي الله عنه) أول بطل طرح هذا الأمر، وهو أحد الثلاثة الذين تشتاق لهم الجنة. ومع ذلك فإنه عندما جاءه يطلب الإمارة رده. ففي الحديث الوارد في صحيح مسلم عن أبي ذر: قال: قلت: يا رسول الله! ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: {يا أبا ذر! إنك ضعيف. وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها.}^(٢)

عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا لسيدنا أبي ذر (رضي الله عنه)، لم يقل القول نفسه لسيدنا أبي بكر أول سيدنا عمر (رضي الله عنه)، على العكس من ذلك فقد أشار إلى إمارتها عندما أمسك بيده اليمنى يد سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه) وبيده اليسرى يد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقال: {إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض. فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر}^(٣)

ومن ناحية أخرى فقد اطلع من وراء ستار الغيب إلى خلافة الصحابة الأربعة الراشدين وأعطى بعض الإشارات والإيحاءات حولها. وعندما جاء ذكر عثمان بن عفان رضي الله عنه قال (رضي الله عنه): {أئذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه.}^(٤) وبالفعل أحاطت البلايا بأواخر خلافة سيدنا عثمان (رضي الله عنه).

١ - النور الخالد محمد (ﷺ) مفخرة الانسانية، محمد فتح الله كولن، ص ٣٥٥ م.س.

٢ - اخرجته مسلم في صحيحه (باب كراهة الإمارة بغير ضرورة برقم ٣٥١٣) وأبو داود في سننه (باب ما جاء في الدخول في الوصايا برقم ٢٥٣٠) والنسائي في الصغرى (النهى عن الولاية على مال اليتيم برقم ٣٦٤٧) وأحمد في المسند حديث أبي ذر الغفاري برقم ٢١٠٥٢

٣ - أخرجته الامام مسلم، باب الامارة برقم ٣٥١٤،

٤ - أخرجته البخاري في صحيحه باب قول الله تعالى: {لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم} برقم ٦٨٧٢ و باب الفتنة التي تموج كموج البحر برقم ٦٧١٩ و باب نكت العود في الماء والطين برقم ٥٨٨٧ و باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه برقم ٣٥٢٥ و باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه برقم ٣٥٢٣، ومسلم في صحيحه باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه برقم ٤٥٤٤ والترمذي في جامعه برقم ٣٨٠١.

يقول الشيخ كولن: "أجل، كان يعرف صحابته معرفة جيدة... بل كان يعرفهم أكثر مما يعرفون هم أنفسهم، فلم يخطئ أبداً عند إسناد المهات إلى أي فرد منهم، فقد يعتقد أبو ذر (رضي الله عنه) أنه أهل للإمارة، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يعرف أبا ذر أكثر مما يعرف أبو ذر نفسه، لذا قال له: «يا أبا ذر! إنك ضعيف. وإنما أمانة وإنما يوم القيامة خزي وندامة...» قال له هذا ولم يؤمره".^(١)

ب- سيدنا عمرو بن عَبَسَةَ (رضي الله عنه).

جاء في صحيح مسلم ومسند ابن حنبل (رضي الله عنه) عن عمرو بن عَبَسَةَ (رضي الله عنه) أنه جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) بمكة فقال له بغلظة: ما أنت؟ قال: { "أنا نبي". فقلت: وما نبي؟ قال: "أرسلني الله." قلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: "أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يُشرك به شيء" قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: "حرٌّ وعبد" قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به. فقلت: إني متبعك}.^(٢)

يقول كولن: "حدث هذا في العهد المكي وفي وقت كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حاجة ماسة إلى أي رجل فرد يقف بجانبه ليزداد قوة، ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يعلم من يستعمل وأين يستعمل ذلك الشخص، وما المهمة التي يعهد بها إليه، لذا فقد قال لسيدنا عمرو بن عَبَسَةَ ما قاله لسيدنا أبي ذر الغفاري... قال له أن يرجع إلى قومه لأنه لن يستطيع المكوث في مكة ومقاومة الظلم والإرهاب فيها: قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا. ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني".^(٣)

وهكذا كان... إذ رجع سيدنا عمرو إلى قومه... وممرت السنوات وبدأت الانتصارات تتوالى على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين، وبلغت أنباؤها عمرواً فتوجه إلى المدينة المنورة وقصد المسجد النبوي حيث كان النبي هناك مع أصحابه... لتتابع الرواية: فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟ قال: "نعم، أأنت الذي أتيتني بمكة؟".

^١ - النور الخالد محمد (صلى الله عليه وسلم) مفخرة الانسانية ، محمد فتح الله كولن ص ٣٥٥ م.س.

^٢ - أخرجه مسلم في صحيحه بابُ إِسْلَامِ عَمْرُو بْنِ عَبَسَةَ برقم ١٤٢٩ وأبو داود في سننه (تَفْرِيعُ صَلَاةِ السَّفَرِ برقم ١١١٧) والترمذي في جامعه (باب برقم ٣٦٦٠) والنسائي في الصغرى (ثواب من توضع كما أمر برقم ١٤٧) والنهي عن الصلاة بعد العصر برقم ٥٧٢ وإباحة الصلاة إلى أن يصلي الصبح برقم ٥٨٤)

^٣ - النور الخالد محمد (صلى الله عليه وسلم) مفخرة الانسانية ، محمد فتح الله كولن ص ٣٥٦ م.س.

واندهش سيدنا عمرو من ذاكرة النبي (ﷺ)... لأن تذكّر عمرو للحادثة في مكة ليس مهماً، لأنه لا يمكن أن ينسى هذه الحادثة التي تعد أهم حادثة في حياته ولكن الوضع يختلف بالنسبة لرسول الله (ﷺ)، فقد مرت عليه حوادث مشابهة عديدة ضمن هذه السنوات العديدة الحافلة بالآلام وبالمشقات، فكان من الغريب أن يتذكر وجهاً رآه لمدة خمس دقائق فقط بعد كل هذه السنوات الثقيلة التي تنسي الشخص أقرب أصدقائه. ولكن الرسول (ﷺ) تذكره لما رآه لأنه لم يكن ينسى أي إنسان ارتبط به. ولو لم يأت إليه عمرو بن عَبَسَةَ وأبو ذر رضي الله عنهم بعد فتح مكة لأرسل في طلبهما، لأن النصر إنما تم بعد فتح مكة.^(١)

أجل، لقد كان يعرف أتباعه أكثر مما نعرف نحن أولادنا. ذلك لأنه كان لكل إنسان مكانه الخاص في قلبه، لأن مثل هذه المعرفة كانت ضرورية له لكي يستطيع أن يوكل المهمات إلى أصحابها الذين يستطيعون إنجازها وحمل عبئها.

هكذا ترجم كولن فهمه ومعايشته للسيرة النبوية ترجمة واقعية في مشروعه الإصلاحية على أرض الواقع، فحدد الأولويات ووجه طاقات البشر لما يتناسب مع قدراتهم فدعا كولن إلى ضرورة التنظيم للحاضر والتخطيط للمستقبل، واستخدم أيضاً منهج التخطيط الكلي والتدرج المرحلي حيث جفف المنابع، ودار حول المقاصد، بعد أن نزع فتيل الفرقة ووجد وجهه أتباعه إلى ما ينفع البلاد والعباد.

^١ - النور الخالد محمد (ﷺ) مفخرة الإنسانية، محمد فتح الله كولن، ص ٣٦٠.م.س.

المبحث الثالث

الرحلات الخارجية ودورها التربوي الإصلاحي في مدارس كولن

اختارت حركة الخدمة التركية التي أسسها تلامذة الشيخ فتح الله كولن عدة مسارات عملية إيجابية، من أهم تلك المسارات مسار التعليم، واختارت لنفسها في التعليم، أن تبني نماذج تحاكي أفضل مؤسسات التعليم العالمية، وهو ما يأخذ في معظم الدول التي تنتشر فيها تلك المدارس في قارات العالم، شكل المدارس الدولية.

تُعلم المدرسة للطلاب منهجا واسعا ومتوازنا، يشتمل على ثلاثة عناصر أساسية هي: المحتوى، والمهارات، والتقييم، وتبنى المدرسة المعايير المشتركة الأساسية للدولة، ومقاييس العلوم للجيل القادم.

• تعتبر الرحلات والزيارات الميدانية التي تقوم بها المدارس والكليات سواء للطلاب أو الطالبات ذات أهمية وبعد تربوي كبير كما أن لها دورًا في صقل المهارات وتعزيز المسؤولية الاجتماعية في الحاضر وأيضًا على المدى البعيد من ناحية تحديد الاتجاهات المستقبلية وحب العمل الاجتماعي والتطوعي بغض النظر عن ماهية تلك الرحلات أو الهدف منها علمية كانت أو ترفيهية أو مشاركة اجتماعية في نشاط من الأنشطة الميدانية في الفعاليات التي تنظمها الجهات في المناسبات وغيرها.

أولاً- اهتمام الشيخ فتح الله كولن بالرحلات الخارجية في مدارسه كأحد المرتكزات التربوية الرئيسية.

"في عام ١٩٦٨م كان كولن مع مفتي إزمير في زيارة لمدينة أنقرة، فتلقيا دعوة للزيارة من أحد بيوت السكن للطلاب الجامعيين، والذي كان يتبناه طلاب النور - وهم من أتباع بديع الزمان النورسي - ولما رأيا مدى إخلاص هؤلاء الطلاب في حبّ هذا الدين وتفانيهم في خدمته، أبدى المفتي انبهاره وطلب من كولن أن يتبنى مثل هذا المسكن في إزمير، وهو يبحث عن ممولين، وهنا

بدأت علاقته القوية بهذا الميدان الخصب للتربية والتزكية والإرشاد، حيث سابق أهل "النور" حتى سبقهم وتفوق عليهم".^(١)

"بدأ كولن منذ عام ١٩٦٨ م بإقامة مخيمات صيفية لتربية طلابه، وعادة ما كان يقيم هذه المخيمات في الجبال الغارقة بين الأشجار. وعندما اشتهر أمر هذا المخيم وسط أهل هذه الدعوة، تولى تجار من محبي الخدمة دعمه بقوة، وسرعان ما بدأت هذه المناشط تأخذ شهرتها بين الأوساط حتى كثر عدد الزائرين عليها".^(٢)

من فوائد هذه الطريقة:^(٣) -

أولاً - نقل التعليم والتعلم من داخل المدرسة، إلى الواقع الفعلي، إلى الطبيعة والحياة.

ثانياً - المساهمة في بناء مواقف إيجابية لدى المتعلم تجاه البيئة المادية والاجتماعية.

ثالثاً - تنمية روح المحافظة على البيئة ومواردها وصيانتها من خلال الاتصال المباشر بها.

رابعاً - تنمية ميول علمية إيجابية لدى المتعلمين: بجمع عينات وأشياء ودراستها بشكل علمي.

خامساً - السماح للمتعملم بالحصول على خبرات ومهارات حسية مباشرة لا يحصل عليها داخل المدرسة.

ثانياً: المخيمات ودورها التربوي في دعوة الشيخ كولن:

رحلات الحوار بين الأديان:

لا تتوقف حركة كولن عند الوسائل التقليدية للحوار والتقارب مع الآخر؛ ولكنها تبتكر أفكاراً وبرامج جديدة وجذابة، ومن هذه البرامج المبتكرة "برنامج يدعى: "Be Muslim for a month" أي: "كن مسلماً لمدة شهر"؛ وهو برنامج سياحي يُقدّم دعوات لسيّاح غربيين غير مسلمين ليقضوا شهراً في إسطنبول، وغالباً ما يكون في شهر رمضان حيث الروحانيات المرتفعة، وخلال هذه الرحلة يعيش السائح الغربي الحياة الإسلامية بكل تقاليدها، ويتم دعوته لحضور الصلوات الخمس، وزيارة الآثار الدينية في تركيا، والاستماع إلى محاضرات بعض من اعتنق

^١ - عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، فؤاد البناء، ط ٣، ص ١٣٤، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠١٤م.

^٢ - المرجع السابق، ص ١٣٤.

^٣ - نموذج المدارس الدولية لحركة الخدمة التزكية، مجدي سعيد، مجلة حراء، عدد ٥٤، شهر إبريل، إصدار عام ٢٠١٥م، ص ٤٤.

الإسلام من الغربيين لعرض تجربتهم وكيف ساعدهم الإيمان على سعة الأفق والتفاعل مع العالم.... ولمزيد من التقارب والتعارف تستضيفه بعض الأسر التركية الملهمة بفكر الأستاذ فتح الله كولن....^(١)

■ أهداف هذا البرنامج :-

أولاً: تحسين صورة الإسلام لدى الغرب التي شوهدت المغرضون.

ثانياً: القضاء على ظاهرة "الإسلام وفوبيا"، والسعي نحو مزيد من الشعور بالوحدة بين الناس.

ثالثاً: "منذ عام (٢٠٠٥م) أصبح مئات من غير المسلمين مطلعين على حركة كولن نتيجة للمشاركة في رحلات الحوار بين الأديان إلى تركيا التي ترعاها مؤسسات تابعة لحركة كولن.

رابعاً: يتعرف المشاركون في الرحلات -التي تتراوح مدتها من ثمانية أيام إلى عشرة- على المواقع التاريخية والثقافية والدينية في تركيا، وتوفير فرصة للتفاعل مع عائلات مسلمة، وليس الغرض من تلك الرحلات بأي شكل من الأشكال التعبئة للحركة، بل هي رحلات يتم تنظيمها للترويج للحوار بين الأديان" ونشر الصورة الصحيحة لوسطية الإسلام.^(٢)

■ مميزات هذا البرنامج

وميزة هذا البرنامج أنه يعتمد على الاحتكاك المباشر ومعايشة الحياة الإسلامية عن قرب،.... فإذا كان الحوار والتعارف والتعاون المشترك هو أحد الأبعاد المهمة من وراء الفعاليات المتعددة للمؤسسات التابعة لحركة كُولْن؛ فإن هذا البُعد في الأصل يُخدم بُعداً أكبر وهدفاً أسمى وهو تبليغ دين الله تعالى إلى آفاق الدنيا، لأن جميع الفعاليات التي تقوم بها الحركة في شتى المجالات هدفها إبراز جمال الإسلام وعظمته، ودون أن تُبرز محاسن الإسلام وعظمته لا يمكن أن توصل شيئاً للآخرين.^(٣)

^١ - عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، فؤاد البنا ،...بتصرف ، ص١٣٤ ط٣، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٤م.

^٢ - نموذج المدارس الدولية لحركة الخدمة التركية ، مجدي ، مجلة حراء ، عدد ٥٤ ، شهر إبريل، إصدار عام ٢٠١٥م، ص٤٤.

^٣ - مكتبة إلكترونية بين الباحث والأستاذ جلال ترك أوغلو، نائب رئيس الجمعية، حيث تم إرسال مجموعة من الأسئلة عبر البريد الإلكتروني، وتمت الإجابة عليها في الفترة من ٢١-٢٨-٩-٢٠١٥م.

ثالثاً: الهجرة من أجل الخدمة -

يأخذ مفهوم "الهجرة" شكلاً عملياً ذا بُعد عقائدي عند "مشروع الخدمة"، بل يمكن القول إن هذه السمة العملية والتي تعني التعرُّب لخدمة الناس في بلدانٍ أخرى هي السمة الأبرز من الناحية المرئية في حركة الخدمة.

ويحتل مفهوم "الهجرة" مكاناً بارزاً في خطاب كولن لأبناء الخدمة ومحبيها فيتناوله من زاوية أن الهجرة من أجل الخدمة "رحلة مقدّسة"، يقول موضحاً مدى أهمية الهجرة لرجل الدعوة: "الهجرة أساسٌ مهم في كل دعوة كبيرة، ولا بد من تثبيت النقطة الآتية: لا يوجد رجل دعوة كبرى، ولا رجل فكر كبير ولا رجل تحمل عبء وظيفة عظيمة لم يهاجر، لقد ترك كلُّ رجلٍ دعوة البلد الذي وُلد فيه وذهب من أجل دعوته إلى بلدٍ آخر"^(١).

ثم يوضح المعنى المراد من الهجرة فيقول الشيخ: "صحيحٌ أن الهجرة إلى المدينة المنورة بمعنى الفرار بالدين انتهت... لكنه يدعوهم لأن تصير كلُّ مدينةٍ يهاجرون إليها "منورة" بتعاليم الإسلام، يقول كولن: "صحيح أنه لا توجد الآن "مدينة منورة"، يهاجر إليها، ولكن ستكون هناك مدنٌ تحاول تقليد مثال "المدينة"، وبتعبيرٍ آخر لكي نستطيع المثل بين يدي صاحب المدينة (ﷺ) علينا أن نُنشئ مُدناً عدة"^(٢).

يقول الأستاذ جلال ترك أوغلو: "ألقي نظرة على خريطة العالم، ضع إصبعك على أي مكان في هذه الخريطة، وتساءل: هل للخدمة هنا أثر؟ سيكون الجواب قطعاً: نعم، قد مرُّوا من هنا. إذا كان لي أن أختار سمة تميّز الخدمة عن غيرها من مشاريع الصحوة والنهوض فهي الهجرة، وإذا كان من حقي أن أقيّم فكر الأستاذ ومشروعه الحضاري بالمقارنة بغيره من المشاريع الحضارية والأفكار التجديدية -وما أظنني أصلح لهذا-، فلن أجد أعظم أثراً وأبقى نفعاً من إحيائه مفهوم الهجرة على هذا النحو. الهجرة عند الخدمة ليست رحلة عابرة أو سياحة ترفيهية، إنها هجرة بمعنى اللاعودة، هجرة نفسية وبدنية وروحية"^(٣).

١ - فتح الله كولن، "أسئلة العصر الحيرة"، ص ٢٨٨ م.س.

٢ - الاستقامة في العمل والدعوة فتح الله كولن، "، ط ١. ص ٢٧١ دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠١٤ م.

٣ - مكتبة إلكترونية بين الباحث والأستاذ جلال ترك أوغلو، نائب رئيس الجمعية، حيث تم إرسال مجموعة من الأسئلة عبر البريد الإلكتروني، وتمت الإجابة عليها في الفترة من ٢١ - ٢٨ - ٩ - ٢٠١٥ م

وخلاصة ماسبق :

تعتبر الرحلات والزيارات العلمية من أهم الأنشطة المدرسية إثراء لخبرات الطالب التربوية والاجتماعية، كما تعد وسيلة تعليمية تربوية ناجحة لكسر جمود المناهج إذا أُجيد استخدامها وتوجيهها وفق برامج علمية مدروسة، تأخذ بعين الاعتبار ألا تتحول إلى مجرد رحلات ترفيهية خالية من الأهداف ، مثل: الانضباط والنظام والاحترام، إضافة إلى تكوين عادات حميدة كالاعتناء على النفس وتحمل المسؤولية والصبر، فضلاً عن كونها تنمي العلاقات الاجتماعية وتساعدهم على التكيف مع أنفسهم وزملائهم ومجتمعهم، كما تتيح الفرصة للمعلم للتعرف إلى سلوكيات الطالب عن كثب ما يساعده على تقويمها، وربما يكتشف مواهب واتجاهات فيدعمها وينميها .

ولابد أيضاً من ترجمة الأفكار والمناهج الدعوية إلى برامج ومشروعات حضارية كبرى تُخاطب العالم أجمع؛ لأن توقّف العقل المسلم عن الحركة والامتداد يُحدث فراغاً يتيح “للاّخر” أن يتمدد فيه بمناهجه وبرامجه وأفكاره.

المبحث الرابع

سمات المنهج العملي في حياة الشيخ كولن.

توطئة :-

لقد استطاع الشيخ كولن أن يربط المعرفة بالحركة، والحركة بالمعرفة، لذا يقول كولن في "طرق الإرشاد" ما نصه: "دستورنا في هذا الصدد أن الأفكار التي تسري في مفاصل الحياة المعيشة هي التي تستحق الحياة"، أي أن الأفكار الفلسفية المجردة "لا تستحق الحياة"، وبمعنى آخر "تستحق الموت والإفناء والرمي في غياهب النسيان والهجران"^(١).

وفي "الأسئلة المحيرة" (عرّف فتح الله كولن: النبي والنبوة تعريفاً دقيقاً، معتبراً هذه العلاقة المتينة بين الفكر والفعل، فقال: "ليس النبي مجرد عبقرى يملك عقلاً كبيراً يستطيع النفوذ إلى صلب الأحداث. فالنبي هو منقذ البشرية من غياهب الظلمات إلى نور وحي السماء)^(٢).

تكاد تكون مشكلة التغيير هي المشكلة الأساسية في فكر الشيخ كولن لأنها الوجه الآخر لمشكلة الحضارة. لذلك نجدها تحتل الصدارة في مؤلفاته ومحاضراته. وتأتي في مقدمتها المحاضرة التي ألقاها بعنوان "كيف نبني حضارتنا"؟ وقام فيها بمقارنة دقيقة بين النهضة الإسلامية والنهضة اليابانية.

أولاً: تعريف المنهج الحركي -

المنهج الحركي مركب يفهم معناه بفهم جزئيه، المنهج والحركي. ومنهج مشتقة من نهج قال تعالى { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا }^(٣)، وورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) قوله: { لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترككم على طريق ناهجة }^(٤)، إن كلمة المنهاج والطريق الناهج تعني الطريق الواضح، ويعزز هذا المعنى ما جاء في المعجم الوسيط: أن أصل كلمة المنهج هو نهج، ويقال: نهج فلان الأمر نهجاً؛ أي: أبانه وأوضحه، ونهج الطريق: سلكه، والنهج - بسكون الهاء: سلك الطريق

١- طرق الإرشاد في الفكر والحياة، محمد فتح الله كولن، ص ٢٩، ط ٥، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠١١م.

٢- أسئلة العصر المحيرة، فتح الله كولن، ص ١٢٣، ط ٤، دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠١٥م.

٣- سورة المائدة آية رقم ٤٨.

٤- قال البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة): رَوَاهُ إِسْحَاقُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ الْعَبَّاسِ فَهُوَ مُتَّصِلٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

قال ابن حجر في (المطالب العالية): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ الْعَبَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الواضح^(١)، أما ابن منظور في لسانه فقد أورد: أنهج الطريق: وضح واستبان، وصار نهجًا واضحًا بينًا، والمنهج عنده - بفتح الميم وكسرها - هو النهج والمنهاج؛ أي: الطريق الواضح والمستقيم^(٢).
المنهج الحركي: "هو النظام الدعوي الذي يعتمد على تحويل الأفكار إلى مؤسسات، وتوجيه الطاقات نحو العمل والبناء." وهذا واضح من خلال العدد الهائل من المتطوعين الذين أهتمتهم أفكار كولن فحولوها إلى مشروعات ومؤسسات خدمية عملاقة تمتد فروعها إلى دُول شتّى؛ منها ما هو تعليمي تربوي، ومنها ما هو إعلامي تثقيفي، ومنها ما هو إغاثي، ومنها ما هو اقتصادي... وشعاره الحركي في هذا الصدد "الأذان شَبَعِي والعيون جوعى"^(٣).

وفي الاصطلاح، للمنهج تعريفات عدة، منها قول الدكتور أحمد بدر:

"هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى تصل إلى نتيجة معلومة"^(٤). وقال الخالدي "إن المنهج هو الخطة العلمية الموضوعية المحددة المرسومة الدقيقة، التي يتعرف عليها الباحث، ويقف على قواعدها وأسسها ويلتزم بها، لتكون دراسته علمية منهجية موضوعية صحيحة"^(٥). وواضح أن هذا تعريف لمصطلح المنهج عموماً، يفيد الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته المشكلة لاكتشاف الحقيقة.

و"الحركي" نسبة إلى الحركة، وهي في اللغة ضد السكون، حُرْك - يحرك - حركة - حركاً، وحَرَكَه فتحرك^(٦)، والحركة حالة جسم يتغير موقعه باستمرار بالنسبة إلى نقطة ثابتة^(٧)، وفي المعجم الوسيط، حُرْك أي خرج عن سكونه، وفي العرف العام هو انتقال الجسم من مكان إلى مكان آخر أو انتقال أجزائه كما في حركة الرحى^(٨). وقال الراغب: قال تعالى: { لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ }^(٩)، ثم

١- المعجم الوسيط من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثالثة عام ١٩٩٨، ج٢. مادة نهج ص٤٦٧

٢- لسان العرب لابن منظور، جمال الدين، (١٩٩٤)، الطبعة الثالثة، دار، بيروت ج٢ ص٩٦٠.

٣- طرق الإرشاد في الفكر والحياة، محمد فتح الله كولن، ص٢٩. م.س.

٤- مبادئ البحث العلمي ومناهجه، د أحمد بدر، ط٣، ص٣٥، الكويت، ١٩٨٨ م.

٥- منهجية المعلقون، د صلاح عبد الفتاح، دار القلم، دمشق ط٢٠٠٢، ص١٧

٦- لسان العرب لابن منظور، جمال الدين، (١٩٩٤)، ج٢ ص٩٦٠. م.س.

٧- قاموس اللغة الحديثة دار القلم، بيروت، ط١٩٩٠، ص٥٥٠. م.س.

٨- المعجم الوسيط من إصدار مجمع اللغة العربية، مادة حرك ص٣٣٠. م.س.

٩- سورة القيامة: آية ١٦.

ثم الحركة لا تكون إلا للجسم وهو انتقال الجسم من مكان، وربما قيل تحرك كذا إذا استحال وإذا زاد في أجزائه وإذا نقص من أجزائه^(١).

فيتضح مما سبق أن "المنهج الحركي" بمعناه اللغوي هو الطريق العملي للتحرك في الواقع، وأما ظهوره كمصطلح له صلة وثيقة بالحركة الإسلامية، وقد أصبح شعاراً على مناهجها في التجديد والإصلاح، إذ هو المنهج لهذا الدين وطبيعته. ولهذا يمكن القول إن المراد العام بـ "المنهج الحركي" هو منهج التغيير عند الحركة الإسلامية. فالمقصود بالمنهج التغيير هو نظرية العمل التي أتبعها الحركة الإسلامية للانتقال بالتصورات والأهداف التي دعته إليها من المستوى النظري المجرد إلى التطبيق في أرض الواقع وذلك ضمن خطة ذات مراحل عدة وخصائص .

أما مصطلح "المنهج الحركي"، فقد عرفه الدكتور منير الغضبان بقوله:

"المنهج الحركي هو الخطوات المنهجية التي تحرك بها النبي (ﷺ) منذ بعثته حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى. ويقتضى متابعة المراحل خطوة فخطوة ومتابعة السير في الحركة الإسلامية لأن السيرة النبوية هي التطبيق العملي للإسلام."^(٢)

ويلاحظ أن الغضبان يذكر في التعريف مصدر المنهج، وهو السيرة النبوية التي تستقى منها نظريات العمل عند الحركة الإسلامية. ولهذا كان - وغيره من مؤلفي السيرة - يعتني في دراسة السيرة النبوية بالوقوف على الدروس والعظات التربوية، دون أن يخوض في تفاصيل أحداث السيرة النبوية والوقائع التاريخية إلا بمقدار ما تقتضيه الضرورة في إيضاح المراحل التي مر بها النبي (ﷺ) وسماتها - وهذه المراحل هي: سرية الدعوة، وجهرية الدعوة، ومرحلة إقامة الدولة، ومرحلة التأسيس، ومرحلة انتشار الدعوة في الأرض -، لأن الغرض من هذه الدراسة وفتحها أن يتصور المسلم الحقيقية الإسلامية في مجموعها مجسدة في حياته (ﷺ)، بعد أن فهمها مبادئ وقواعد وأحكاماً مجردة في ذهن^(٣).

١- غريب المفردات، للراغب الأصفهاني، ص١١٤م.س.

٢- المنهج الحركي في السيرة النبوية، د محمد منير الغضبان، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء "ج١، ص٣٣.

٣- المنهج الحركي في السيرة النبوية، د محمد منير الغضبان "ج١، ص٣٣م.س.

ثانياً : مرتكزات المنهج الحركي وسماته في فكر كولن:-

اعتمد المنهج الحركي في فكر كولن على عدة ركائز أساسية وهي :

- أولاً: الفكر والحركية أو ما يسميه كولن " إنسان الحركة والفكر "
- ثانياً: المراحل الخمسة لتحويل الفكر والمعرفة إلى حركة وسلوك في فكر كولن
- ثالثاً: سورة الكهف : نموذج المزاوجة بين الفكر والحركة عند كولن
- أولاً: الفكر والحركية أو ما يسميه كولن " إنسان الحركة والفكر "-

في ضوء ما سبق فإن الشيخ كولن يعرف الحركية بقوله : " إن الحركية تعني : احتضان الإنسان للوجود كله بأصدق وأخلص القرارات، والتدقيق فيه، والسير من خلال المعابر التي فيه إلى اللانهاية، ثم إحلال دنياه في فلك غاية الخلقة الحقيقية مستخدماً الطاقة الكلية لذكائه وإرادته بالسر والقوة التي اكتسبها من اللامتناهي".^(١)

ومن ثم يعرف الشيخ كولن الفكر المقترن بالحركة، لا باعتباره مصطلحاً مجرداً ولكن باعتباره كياناً نابضاً بالحياة فيقول : " إن الفكر عمل حركي داخلي. فالفكر المنظم والهادف هو التساؤل من الكائنات بذاتها عن المجاهيل التي تجابهنا في وتيرة الوجود، والاستماع إلى جوابها عنها. أو بتصريح آخر: فعالية الشعور الباحث عن الحقيقة في لسان كل شيء وفي كل مكان، بتأسيس قرابة بين ذاته والوجود كله".^(٢)

• يرى الشيخ فتح الله كولن أنه لا بد من تربية وارثي الأرض على الحركية والفكر لتحقيق الانبعاث الحضاري من جديد. الحركية التي ينطلق منها لتربية الإنسان في القدرة على الدعوة والتأثير وإيصال رسالة الإسلام إلى الآخرين.

يقول الشيخ كولن : "الفكر ليس حالة ذهنية يعيشها الإنسان بل هو استيعاب جميع تجارب الإنسانية بداخله ثم الحركة بعد هذا الاستيعاب. وبهذا يرد الأستاذ كولن على من يقول إن الفكر أو الفكر الإسلامي يتعلق بالقضايا الذهنية والجهود العقلية أي هو تصورات وكميات متعلقة بالإنسان والكون والحياة دون أن يكون له ثمرة في السلوك".^(٣)

^١ - ونحن نقيم صرح الروح ، محمد فتح الله كولن ، ط٣ ، ص٥٨ ، دار النيل للنشر ، القاهرة ، ٢٠١٥م .

^٢ - المرجع السابق ، ص٥٩ .

^٣ - ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص٣٨٠م .س .

والحركية التي يريدّها الشيخ كولن لها ضوابط وشروط أبرزها الآتي:-

أولاً- يجب أن تكون منضبطة ومنطلقة من الفكر الإسلامي الذي هو مجموعة المفاهيم والتصورات والمبادئ والعقائد التي يؤمن بها الإنسان ومصدرها الوحي الإلهي المتمثل في الكتاب والسنة.

ثانياً- يجب أن تسير في مسارها وفق التصورات البشرية المنضبطة بالوحي الإلهي، ويجذر الأستاذ كولن من الانفصام بين الحركة والفكر، فيرى أن الحركة من غير فكر تؤدي إلى الفشل والفوضى، والأفكار الجامدة من غير حركة تبقى تصورات ذهنية يقول كولن: "كم من فكرٍ عظيم بقي حبيسًا في برزخ، فلم يشهد الحياة في هذا العالم المثقل بالدخان والضباب، وكم منهجٍ تحطم مصدومًا بالأفكار الكدرة للمصابين بقصر النظر. فهؤلاء لا يولون أهمية ولا يعون معنى للعلم ولا للمعاني التي تربط بين الأشياء والحوادث، ولا للمناسبات بين الإنسان والكائنات".^(١)

فثمة تداخلٌ بين الحركة والفكر، فالعمل الحركي مرتبط بالفكر، والحركة والجهد الحركي أرضية لأفكار وبرامج جديدة.

ويمثل الشيخ كولن هذا التداخل بتشبيهه بليغ فيقول "فكأنّ الفكر بهذا المعنى سماء ومطر للعمل الحركي، أو فضاء وهواء له، وكأنّ الحركية أرض وسدانة للفكر أو تراب وقوة الإنبات فيه... كل جهد حركي هو تحقيق فكر وبرنامج، وكل فكر هو بدايته ووتيرة للعثور على أطره الحقيقية وبلوغ مراميه في ثنايا التحركات الملتزمة به...".^(٢)

■ فحين يتحدث الشيخ كولن عن إنسان الحركة والفكر حديثاً نظرياً، يقدم الأستاذ فتح الله كولن نماذج عملية في الحياة المعاصرة لأشخاص يرى أنهم يمثلون إنسان الفكر والحركة^(٣)، ويذكر نبذة يسيرة عن حياتهم باعتبارهم نماذج وقداوات، يقول كولن: "المربي الصدوق الشجاع الكريم يُنشئ شاباً صدوقاً أميناً خلوقاً كريماً شجاعاً، لذا فالقدوة من أفعال الوسائل وأقربها إلى النجاح. فمن السهل تأليف كتاب في التربية ومن السهل تصور منهج، ولكن يظل هذا غير ذي جدوى ما لم

١- ونحن نقيم صرح الروح، محمد فتح الله كولن، ص ٨٣ م.س.

٢- المصدر السابق، بتصرف. ص ٨٣.

٣- يتحدث الشيخ كولن في هذا الصدد عن مشايخه الذين أثروا في حياته المعرفية والحركية كأمثال الشيخ لطفي، والاستاذ بديع الزمان، وأحمد حلمي،..... وغيرهم وقد سبق الحديث عن كل هؤلاء في الفصل الأول فلا داعي للتكرار.

يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، وما لم يترجمه البشر بسلوكيات وتصرفات حقيقية، فعندئذ يتحول المنهج إلى حقيقة، والحقيقة إلى حركة، والحركة إلى تاريخ.^(١)

يقول الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ عن تجربة كولن الدعوية وآثارها الحركية: "إن عبقرية الرجل شكّلت تاريخ دعوته، فجاءت مطابقة لما رسم لها وخطط، وهكذا ناهما كان فكراً في الرأس ليغدو واقعاً في الحياة، وما كان حلماً بعيد المنال صار حقيقة في متناول اليد، وما كان مادة دعوية صغيرة في خطبة أو وعظ أو كتاب، أصبح صرحاً دعوياً شاملاً وكبيراً وما كان جزءاً صار كلاً."^(٢)

ثانياً: المراحل الخمسة لتحويل الفكر والمعرفة إلى حركة وسلوك في فكر كولن:

لقد رصد الدكتور محمد بابا عمي^(٣) المراحل الخمس لتحويل المعرفة إلى حركة وسلوك، أو المزاوجة بين الفكر والحركة، التي تؤدي إلى الفعل الحضاري من خلال هذا الاقتباس الساطع في تجربة كولن الإصلاحية وهي:-

أولاً- معرفة الحق سبحانه حق المعرفة من خلال رؤية أسماؤه الحسنی وقد عبّر عنه كقولن بـ"رؤية تجليات الأسماء الحسنی"، وللأسماء الحسنی في فكر كولن مكانة خاصّة،.....خلافًا للكثير من مناهجنا التربوية والدعوية التي تقتصر على المعاني الخارجية العقلية العامّة، غافلة للدلالات الخفية العميقة القلبية الخاصّة.....^(٤)

ثانياً- انتقال المعرفة من المداخل إلى المخارج عبر العقل:

يقول الشيخ كولن في كتابه التلال: "ففي أثناء هذه السياحة تسيل الأنوار من عيون السالك وأذنه إلى لسانه"^(٥)، فالأعين والآذان مداخل للعلم والمعرفة، منها تعبر المدركات، سواء أكانت حسية أم عقلية، دلالية أم لغوية... ثم يأتي اللسان، وهو من أبرز المخارج لهذه المدركات، فيصف ما يحدث داخل العقل وفي سويداء القلب، بأخص عبارة، وبأوضح بيان... ولا يشترط أن

١- ونحن نبي حضارتنا، فتح الله كولن، ص ٣٩٠ م.س.

٢- الضاريون في الأرض، أديب إبراهيم الدباغ، ص ٨١، ط ١، دار النيل، القاهرة، ٢٠١٢ م.

٣- مدير معهد المناهج بالجزائر، وأحد أبرز الباحثين في فكر وتجربة الشيخ كولن.

٤- ألقى الشيخ كولن سلسلة محاضرات شهيرة حول "قوة فاعلية أسماء الله الحسنی"،....مختصر، بمسجد بورنوا عام ١٩٧٦م، منشورة و مترجمة عبر موقع الشيخ الإلكتروني.

٥- التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، فتح الله كولن، ص ١٥ ط ٢، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠١٥ م.

يكون الواصف الناطق عالماً، لكن يكفي أن يكون صادقاً، ولو كان صبيهاً، ليخرج من فؤاده أعجب المعاني، وأوسع الدلالات...^(١)

ثالثاً- تحرك آلة السلوك والجوارح:

أي بعد كل هذا الجهد المعرفي النظري، هل تتحول المعارف سلوكاً، وهل يتجلى العلم عملاً وتطبيقاً؟

أمّا الأستاذ كولن فيعيد السبب إلى المقدمات الأولى: فإذا كانت المقدمات صحيحة سليمة كانت النتائج كذلك، وإذا كانت فاسدة سقيمة جاءت النتائج على إثرها كذلك.

يقول الشيخ كولن: "نجد في واقع المسلمين اهتماماً بالفكر مقروناً بالفعل، لكن مع غياب عرض الوسائل والآليات، وبسط النماذج والتقنيات... فيبقى هذا العرض، على أهميته، حبيس الكتب والأوراق والأذهان، ولا يقفز إلى التمثيل الواقعي الميداني الحضاري..."^(٢)

رابعاً- ظهور ذلك في الأسلوب الإيمانيّ الإيجابي للفرد والمجتمع:

لا شك أن من كانت أحواله، كما ذكر، فإنه سيولد إنساناً آخر، ليس على شاكلة كل مولود يوميّ تتقاذفه رياح العصر، لكن على شاكلة النخلة السامقة المعطاء، فيكونون كما يقول الأستاذ "كولن": "من يدفعون السيئة بالحسنة، وبالكلمة الطيبة، وبسلوك الإحسان، وبالقول اللين... فيقومون بذلك بإصلاح جميع السلبيات، ويقابلون الأفكار الهدامة بحملات البناء."^(٣)

خامساً- ميلاد حضارة إسلامية تزوج بين الفكر والحركة :

يقول الشيخ كولن: "كم من محاولة وتجربة خاضها العالم الإسلامي في القرون الأخيرة، لاستعادة المكانة اللائقة بالأمة الإسلامية، غير أنها لم تصل الغاية، وإن كنا لا نقول عنها إنها فشلت، بل لعلها تكون بوادر وبواكير ومؤشرات للمستقبل... غير أن الذي ينبغي أن ننتبه إليه اليوم، وقد تنبّه له البعض، والذي ينبغي أن نعمل وفقه في منهج "الرشد"، هو: ذاتية التغيير،

١ - البراديم كولن فتح الله كولن ومشروع الخدمة، بتصرف واختصار، محمد بابا عمي، ص٩٦.

٢ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

٣ - من مقال المؤمن لا يسقط وإن اهتز، مجلة حراء، ص٢٢، عدد ١٧، أكتوبر ٢٠٠٩م

لقوله تعالى: {حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} ^(١) ، فكلُّ تغيير يأتي من الخارج هو تغيير لخلق الله، وهو تشويه لما أبدع الله" ^(٢).

وإذا ما توالى مراحل تحويل المعرفة إلى سلوك، وفق الخطوات السابقة، فإنَّ النتيجة تكون طبيعية، لا جدال فيها، يقول "فتح الله كولن": "ينبغي أن يستشعر وارثو الأرض الذين يخططون لإقامة عالم المستقبل، نوع العالم الذي يريدون إقامته، ونوع الجواهر اللازم استعمالها في إعمار هذا العالم .. وعلى مهندسي مستقبل الضياء أن يجهدوا في استخدام قوتهم الفكرية- إلى جانب دوافعهم الحركية مع الحفاظ على الكتاب والسنة وصوافي اجتهادات السلف الصالح، وحسب مدارك العصر وأسلوبه. ذلك، حتى لا يعيشوا حياة البرزخ في طريق الانبعاث بعد الموت!" ^(٣).

هكذا جمع كولن بين "القوة الفكرية" و"الدافع الحركي".... في إطار من الجمع بين ثوابت الكتاب والسنة ومتغيرات العصر وأساليبه الحديثة .

ثالثاً: سورة الكهف: نموذج المزاوجة بين الفكر والحركة عند كولن:

سورة الكهف ، تلك السورة العظيمة التي أمرنا بتلاوتها كل يوم جمعة ، لكأنها هي مراجعة أسبوعية لمشروع الإصلاح ، " حيث تنطلق النهضة الإصلاحية من فتية الكهف ، وهم يحملون عبء الإصلاح إلى الكهف (شباب يحملون الفكرة).... وصولاً إلى أعلى مرحلة : ذو القرنين (مرحلة التمكين الطريق من الكهف إلى ذي القرنين لا يمكن أن يمتد دون الاستناد على البوصلة القرآنية ، فمن خلالها نحدد الاتجاه والثوابت والهدف. " ^(٤)

يقول الشيخ كولن في إطار تفسيره لقول الله تعالى { إِذْ أَوْىٰ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَّنَا مِّنْ أَمْرِنَا رَشَدًا } ^(٥)

- انطلاقاً مما جاء في القرآن الكريم - بأن أصحاب الكهف جماعة تمثل رمز البعث والإحياء حتى يوم القيامة . لأن جميع حركات البعث والإحياء مرت بفترات الضيق وفترات العيش في المغارات أو تحت الأرض، وسيكرر هذا في المستقبل أيضاً.

^١ - سورة الرعد: ١١

^٢ - المرجع السابق ، ص ٢٣ .

^٣ - ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٣٨٠ م.س.

^٤ - البوصلة القرآنية ، د. أحمد خيرى العمري ، ص ٤٣٩ ، ط ١ ، ٢٠٠٣ ، دار الفكر دمشق " نسخة الكترونية " .

^٥ - سورة الكهف آية ١٠ .

يقول الشيخ كولن :

"إن مثل هذا التمرد الذي أعقبه الابتعاد كان وسيلة لانعكاس جديد لأفكارهم ومبادئهم على مجتمعهم ضمن تفاسير مختلفة لاختلاف عامل الزمن. لقد أدت صيحتهم الشجاعة هذه إلى هز عقول الكثيرين في مجتمعهم وإلى تليين قلوب العديدين منهم. لقد تنقلت أفكارهم ومبادئهم وأبناء سلوكهم الشجاع من لسان إلى لسان ومن قلب إلى قلب حتى أحاطت بالمجتمع كله مثل بذور بذرت في التربة ثم نمت وترعرعت وأصبحت سنابل نضرة....."^(١)

معالجات في أصول المعرفة والسلوك:

عاجت سورة الكهف التي تعرضت لقصة سيدنا موسى والخضر - عليها السلام - كل الأصول النظرية للمعرفة والسلوك، ف: "محمور قصة موسى والعبد الصالح هو النزول بالفكر والعقيدة إلى الواقع، إلى التفاعل الاجتماعي الحقيقي، الذي يُدخل هذا الفكر ليكون طرفاً في معادلة البناء الاجتماعي..... إنه النزول بالنظرية إلى إطار التطبيق، حيث المحك الحقيقي لمصادقتها".^(٢)

فتناولت السورة بداية أهمية الصبر في كل عملية تعلم حتى ولو كان المتعلم نبياً عظيماً كريماً من أولي العزم من الرسل :

{ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا }^(٣) ثم بينت سبب عدم الصبر، وهو العجز عن إدراك حقائق الأمور وخفايا الأفعال: { وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا }^(٤)، ثم ركزت على إصرار المتلقي وعلى التحدي وسيلة للتعلم، وسراً للنجاح: { قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا }^(٥)

ولقد أبرز الأستاذ كولن ملامح الشخصية التي تجعل من العراقي سُلماً إلى المراقي والعظام، في مقال بعنوان "رجل القلب" يقول كولن: "لا يقع رجل القلب في اليأس أبداً من سوء

^١ - أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن،... بتصرف، ص ١٩٣-١٩٧، ط ٥، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.

^٢ - البوصلة القرآنية، د. أحمد خيرى العمري، ص ٤٣٩، ط ١، دار الفكر دمشق ٢٠٠٣م " نسخة الكترونية".

^٣ - سورة الكهف " ٦٧

^٤ - الكهف: ٦٨.

^٥ - سورة الكهف: ٦٩

النظام الموجود، ولا يهتزُّ أبداً حتى وإن وقف الناس أجمعون ضده، بل ينهض بعزم أمام جميع المصاعب، ولا يفترُّ عزمه ولا إقدامه حتى في أحلك الظروف، بل يقوم بإنتاج إستراتيجيات مختلفة.^(١)

• أهمية الممارسة والتجربة من خلال سورة الكهف:

تعرّضت آيات الكهف إلى ثقة المعلّم في المتعلم، وبداية المشوار التعليمي-العملي، الفكري-الحضاري، بين الطرفين، فرغم أنّ سيدنا الخضر نفى عن سيدنا موسى إمكانية الصبر إلا أنّ أسلوب الثقة سمح له باختبار ما قاله، إذ ليس الهدف هو إدراك الحقيقة فقط، لكنّ الهدف الأساس هو معرفة منهج وطريقة الوصول إلى هذه الحقيقة.

ثم تأتي مرحلة التعلّم عبر الخبرة، وهي أن تعتبر عملية نقل المعلومة والمعرفة جزءاً من الحياة، لا عملية منفصلة عن الحياة... وتأتي هنا أهمية التعلّم... عن طريق الممارسة والخبرة والفعل، لا بمجرد نقل المعلومات، وشحنها، ثم حفظها، والاختبار فيها، ثم الانتقال إلى معلومات جديدة... فيتحوّل صاحبها في الأخير إلى خزان للمعلومات، لا يملك القدرة الكافية على توظيفها، ولا تشغيلها في نسق آخر.

والمقصدهو ما يقوله كولن:

"تحويل كلّ مكان، سواء أكان مدرسة أم مسجداً، شارعاً أم مسكناً، إلى مرصد ترصد الحقيقة الكامنة خلف الوجود والحياة والإنسان"^(٢)

وينبغي أن نتنبه إلى أنّ "الخطأ" في "الخبرة" جزء أساس من عملية التعلّم والتعليم،

يقول الشيخ كولن: "فنرى موقف كليم الله موسى، رغم أنها وصفت بـ"عدم الصبر"، وبـ"النسيان"، وبـ"التسرع والاستعجال"... "إلا أنها كانت سبباً لإدراك الحقائق ووسيلة لتمثّل المعارف، فمن خاف من الخطأ لم يدرك الصواب، وقد قال سيدنا عمر (رضي الله عنه): "ستتقطع عرى هذا الدين على يد أقوام لم يعرفوا الجاهلية"، ولذا فإنّ تعلّم الصواب فقط، دون إدراك نقيضه، قد يؤدي إلى الجهل بالخطأ، وبالتالي إلى الوقوع فيه ضرورة. فارتكاب الخطأ طبيعة في بني البشر، والفرق بين

^١ - صورة قلمية لرجل القلب، مجلة حراء، عدد ١٤، شهر رجب، السنة الرابعة ٢٠٠٨م، ص١٢.

^٢ - من مقال لدى استكشافنا خط السير والحركة، مجلة حراء العدد، ٤، السنة الثانية، ٢٠٠٦م، ص٣٣.

إنسان وآخر هو الاستعداد للتصحيح لدى البعض، وعدم تقبُّل التصويب لدى البعض الآخر^(١)،
ولذا وصف الله تعالى هؤلاء بقوله:

{وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ} (٣)

وأخيراً:-

انتهى هذا الفصل باستخراج أهم مرتكزات المنهج العملي عند فتح الله كولن :
فحدد ورتب الأولويات ووجه الطاقات مقتدياً بمنهج سيد البشر في ذلك ، في توظيف
وإسناد المهام إلى صحابته الكرام (رضي الله عنهم) ، ثم كانت الخدمات الإغاثية المتمثلة في جمعية " هل
من أحد" والتي تعد نموذجاً حياً في تقديم المعونات في الأزمات والكوارث خارج وداخل
تركيا ، ثم اعتمد كولن على أسلوب جديد في الدعوة إلى الله : ألا وهو - أسلوب السياحة
الترفيهية التي تبسط وتشرح للناس الصورة الصحيحة للإسلام ، تمثل هذا الأمر في
البرنامج الذي طرحه الشيخ كولن تحت مسمى : "كن مسلماً لمدة شهر".

ثم انتهى بالمرحلة الخمس للتلقي، ولتحويل المعلومة إلى معرفة، في فكر المجدد محمد
فتح الله كولن، وتبين أن نظرية المعرفة لديه تكتسي أهمية كبرى، مما يستدعي بحثاً متخصصاً
شاملة، تستقرئ جميع تراثه الفكري، وتقارنه بالمصلحين الآخرين، بحثاً عن الخروج من مأزق
اللافعالية في الفكر الإسلامي المعاصر، وإمعاناً في تحويل المعرفة إلى سلوك، والعلم إلى عمل
... وبهذا فقط تتحقق غاية الإسلام من العلم والمعرفة، وترتقي الأمة إلى مستوى الرشد المنشود،
الذي أنزل القرآن الكريم ليهدي العالمين إليه، إنسيه وجنيه: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
فَأَمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} (٣)

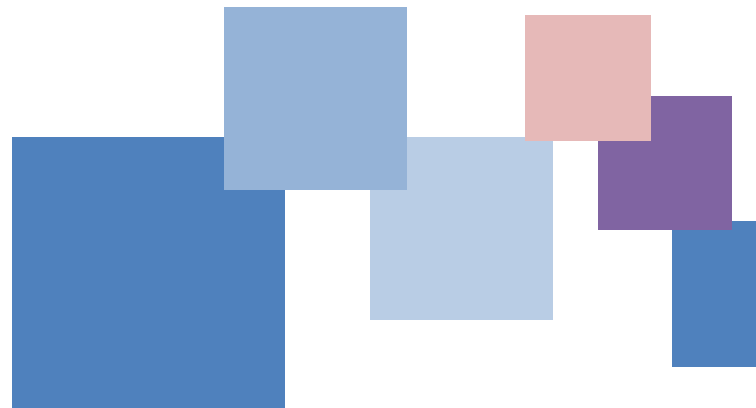
^١ - صورة قلمية لرجل القلب، مجلة حراء، عدد ١٤، شهر رجب، السنة الرابعة ٢٠٠٨م، ص ١٢.

^٢ - سورة البقرة : آية ٢٠٦

^٣ - سورة الجن : آية ٢-١.



الفصل الخامس
معوقات الإصلاح عند الشيخ فتح الله كولين
وكيفية تغلبه عليها



الفصل الخامس

معوقات الإصلاح عند الشيخ فتح الله كوطن وكيفية تغلبه عليها

واشتمل على أربعة مباحث:-

- المبحث الأول: الجهل وغياب الثقافة.
- المبحث الثاني: التعصب، والأنانية، والرغبة في التسلط.
- المبحث الثالث: الكسل، والخمول، وحب الظهور.
- المبحث الرابع: توجيه النقد للأشخاص وليس للأعمال.

الفصل الخامس

معوقات الإصلاح عند الشيخ فتح الله كولن وكيفية تغلبه عليها

توطئة:-

تعددت الجهود الفكرية في الواقع العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، والتي راحت تبحث عن مخرج للإصلاح والتغيير لواقعنا الحضاري، وذلك لإخراجه من وطأة الهزيمة الحضارية التي مُني بها المسلم المعاصر، نتيجة لعوامل داخلية وخارجية.

فمثلاً نجد أن "مالك بن نبي" ^(١) - رحمة الله عليه - في كتبه التي صنفت تحت "مشكلات الحضارة" حيث يقول: "إن المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي منذ أكثر من ربع قرن وحتى الآن هي مشكلة الحضارة" ^(٢)

إن الأفكار التي اقتنع بها فكر الحركة الإصلاحية لمدرسة الشيخ فتح الله كولن اعتمدت على أسس معرفية تربوية، عمادها أن النهضة المجتمعية الحقيقية لا يمكن لها أن تتمكن من النفوس، وأن الإصلاح التعليمي التربوي لا يمكن له أن يؤثر في القلوب، إلا إذا قام على ثلاث قواعد نظرية أساسية ومتينة، وعمل بالتوازي على جبهات تربوية اجتماعية ممتدة الآفاق:

• الإصلاح التربوي التعليمي " لمحاربة الجهل وتنوير الجيل الصاعد معرفياً.

• الإصلاح الاقتصادي " بتشجيع مشاريع تنمية لمحاربة الفقر.

• "الإصلاح الديني الاجتماعي" بنشر سبل المحبة ونزع فتيل الفرقة والاختلاف لرعاية الجيل

الراهن.

^١ - مالك بن نبي ولد بمدينة قسنطينة شرق الجزائر (١٩٠٥-١٩٧٣م) توفي في الجزائر الموافق ل(١٣٢٣ هـ-١٣٩٣ هـ) من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين. يُعدّ المفكر الجزائري مالك بن نبي أحد رُواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين ويُمكن اعتباره امتداداً لابن خلدون، ويعد من أكثر المفكرين المعاصرين الذين نَبهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة، كانت جهود مالك بن نبي في بناء الفكر الإسلامي الحديث وفي دراسة المشكلات الحضارية عموماً متميزة، سواء من حيث المواضيع التي تناولها أو من حيث المناهج التي اعتمدها في ذلك.

وكان بن نبي أول باحث يُحاول أن يُحدّد أبعاد المشكلة، ويحدد العناصر الأساسية في الإصلاح، ويعد في البحث عن العوارض، وكان كذلك أول من أودع منهجاً مُحدّداً في بحث مشكلة المسلمين على أساس من علم النفس والاجتماع وسنة التاريخ". (المصدر: قائمة أعلام الجزائريين، المكتبة الشاملة، الإصدار الحديث ص٣٠٩).

^٢ - وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ط٣، ص٨٣. دار الحديث للنشر والتوزيع ٢٠٠٢م القاهرة.

لقد استوعب فكر الشيخ فتح الله كولن - منذ زمن بعيد- أن إصلاح الأوطان لا يمكن أن يتم إلا بالعلم والمعرفة الراقية المبنية على القيم الأخلاقية، فدرج في سبيل مشروعه كل إمكانياته، وضحى من أجل تحقيقه على امتداد فترات الأزمات السياسية بكل عزيز وغال.

ومن خلال تتبّع المسيرة التربوية التعليمية للحركة الإصلاحية لفكر الأستاذ فتح الله كولن،

تستطيع أن تحدد جهودها في المجالات الآتية^(١):

- توعية الناس بأهمية التعليم لإلحاق أبنائهم به وتمكينهم من جودة التعليم الراقى بالصحة التربوية.
- الدعوة إلى الإنفاق على التعليم بـ"الهمة"، لأجل بناء المدارس وإيواء الطلبة وصرف أجور المعلمين.
- بناء المدارس العصرية النظامية الحرة في تركيا وخارجها في أكثر من مائة وستين دولة.
- إرسال البعثات العلمية من الطلاب إلى الخارج والعناية بها دعماً بالمنح، وبيوت السكن، وتأطيرها معرفياً وتربوياً.
- إنشاء الجمعيات الخيرية الاقتصادية المساندة لمسيرة التعليم بمستوياته المختلفة في تركيا وخارجها.
- تعزيز قيم النشاط التطوعي داخل صفوف الطلاب في مدارس الخدمة، وتربيتهم على حب العمل التطوعي التسلسلي لتبادل الأدوار في النهوض بتنمية الحياة الاجتماعية العامة التي كان لها الفضل في تكوينهم وتربيتهم وتعليمهم.

يقول الشيخ كولن : " أيها المصلحون بشتى توجهاتكم الفكرية وانتماءاتكم السياسية والحزبية... اقتحموا ميادين الإصلاح لبناء نهضة بلدانكم، وادخلوا بها في عالم المنافسات الحضارية العالمية، فضوا مشاكل البيت الواحد بالحلول الأخوية السلمية، حكّموا منطق موازنات مصالح أمتكم، واجهوا الخلافات بمنطق العدل والحكمة والتراحم عند الاختلاف... " ^(٢)

^١ - عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، فؤاد البنا ، ص١٢٣.م.س

^٢ - ميادين الإصلاح في مشروع الشيخ كولن ، مريم آيت أحمد،....بتصرف ،مجلة حراء العدد ٢٤ ، عام ٢٠١١م، ص٤٥.

أولاً : ما المراد بمعوقات الإصلاح؟

الإعاقَة بشكل عام مأخوذة : من العَوَّق وهو الحبس والصرف والشيط، والعَوَّق الأمر الشاغل . وعوائقُ الدهر: الشواغل من أحداثه، والتَعَوَّق الثبَط، التعويق: الشيط.^(١)
وفي التنزيل : {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ...} (٢) ، ورجل عَوَّق: لا خير عنده، وعوائق الدعوة: هي الشواغل والصوارف والمثبطات التي تحول دون تحقيق الهدف الإصلاحي^(٣)

ثانياً : أهمية معرفة العوائق:

تبرز أهمية معرفة العوائق من خلال ما يلي:-

١- لتحقيق الهدف الإصلاحي لا يكفي تحقيق موجباته بل لا بد من انتفاء المعوقات التي تعترض طريقه.

٢- لأن معرفة العوائق وإزالتها أولاً بأول يوفر على العاملين في الحقل الإصلاحي الجهد والوقت. "فقد يخطئ الإنسان في الإصلاح العملي بسبب مؤثرات نفسية مسيطرة عليه لا يستطيع الفكك منها. في حين أنه لو سلم من هذه المؤثرات؛ لتخلص من جل أخطائه في الإصلاح العلمي الذي يمارسه. وكذا قد يكون المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان سبباً في إعاقَة التفكير... لأن الإنسان جزء من مجتمعه يصعب عليه التخلص من هيمنة هذا المجتمع الذي يقوم على موروثات، ومذهبيات؛ ربما عارضت الإصلاح العملي، أو هدمته"^(٤)

والمقصود أن معوقات الإصلاح كثيرة، ومتداخلة. فمنها ما هو نابع من ذات الإنسان، ومنها ما هو موجود في المجتمع المعرفي المحيط به. هذه المعوقات أمراض تصيب الإصلاح العملي. ويمكن تشبيهها بالأمراض التي تصيب الإنسان؛ فمنها ما يقضي عليه وينهي حياته، ومنها ما يسبب له الإعاقَة، ومنها ما يعالج فيتم التخلص من آثاره.

وبما أن العلاج مرحلة تابعة لتصوير العلة؛ فقد ركز الشيخ كولن على المعوقات الأساسية

لحركة الخدمة التي يقودها على وجه الخصوص ، والمجتمع على وجه العموم .

^١ - مختار الصحاح كتبه محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار، صـ١٩٤، الطبعة الثانية مطبعة بولاق المصرية، ١٩٥٧م.

^٢ - سورة الأحزاب آية: ١٨.

^٣ - لسان العرب ، جمال الدين بن منظور ، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، ج١٣، ص٣٤٦.

^٤ - جودت سبيد ، حتى يغيروا ما بأنفسهم، تقديم مالك بن نبي ، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري ، ص٣٧، ط٦ دمشق: ١٩٨٤م.

المبحث الأول

الجهل وغياب الثقافة

إن كثيراً من الناس يؤتى من قبل جهله ، فيما يخيل إليه من أن هذا الجهل علم يتيه به على رؤوس البشر . وهكذا يفعل الجهل بصاحبه ، يخيل له الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، ويزخرف له الخطأ حتى يظهره في عينيه في أعلى درجات اليقين والصواب .

ولذلك تجد أن الإنسان قليل المعرفة حينما يتكلم بغرور وأبهة واستعلاء ، يتيه على كل من يتكلم معه ، لما يوحيه إليه جهله ، مع أنه ربما كان في أصغر من يسمع منه من يربو عليه آلاف المرات في العلم والمعرفة . كما يخيل إليه جهله أن الناس عالمهم وجاهلهم ينظر إليه نظرة الإعجاب لما يرى من دهشتهم التي بدت على وجوههم ، ولكن ليس إعجاباً مما يقول ، وإنما تعجباً منه كيف يهذي بما يقول .

وقد قال المتنبي^(١):

وإني رأيت الضر أسهل منظرًا *** وأهون من مرأى صغير به كبر

لقد عدَّ الشيخ كولن أن الجهل قناع لا بد أن يقاومه الإنسان ويمزقه من على وجهه ، ووسيلة هذا ، فرب الإنسان من خالقه ومعرفته بالله معرفة حقيقية .

لذا يقول الشيخ كولن عن الجهل "الجهل قناع على وجوه الأشياء، والشخص الذي لا يمزق هذا القناع عن وجهه شخص نكد الحظ لا يستطيع النفوذ أبداً إلى الحقائق الكونية السامية . وأكبر جهل وأعظمه هو الجهل بالله تعالى . وعندما يترافق هذا الجهل مع الأنانية فإنه يتحول إلى جنون لا يمكن الشفاء منه"^(٢) .

١ - يُلقب بأبي الطيب المتنبي، عاش في الفترة ما بين عام ٣٠٣ و٣٥٤ للهجرة، أي من ٩١٥ إلى ٩٦٥ ميلادي، واسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي، ولد في مدينة الكوفة العراقية، ويرجع نسبه إلى قبيلة كندة التي ولد في حبيها، عاش معظم أيام حياته وأفضلها خلال فترة حكم سيف الدولة الحمداني في مدينة حلب الشامية، وأصبح من أعظم الشعراء العرب وأكثرهم قدرةً وتمكناً من اللغة العربية، من ناحية قواعد ومفردات، كما أتاحت له فرصة لم تتح لغيره من الشعراء العرب، وما زالت قصائده حتى يومنا هذا مصدراً لإلهام الكثيرين، ويدور معظمها حول المدح تحديداً للملوك، والبعض يصفه بالأنانية اعتماداً على قصائده التي نظم أولها عندما كان صبياً لا يتجاوز التاسعة من عمره، وكان معروفاً بجدّة ذكائه واجتهاده الكبير. (المصدر الدكتور عبد الوهاب عزام (٢٠١٣)، ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ، القاهرة: شركة نوايح الفكر، صفحة ٤٤، ٤٣، ٣٩، ٣١).

٢ - الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن، ترجمة أروخان محمد علي، ص ١١٨، ط ٩ القاهرة دار النيل للطباعة والنشر ٢٠١٣ م.

▪ ضابط العلم ومحاربة الجهل في فكر الشيخ كولن :

كل أمة اهتمت بأجيالها الشابة ارتقت . وكل أمة تركت شبابها لتيار الشهوات عانت نتيجة إهمالها هذا معاناة كبيرة ودفعت ثمنه غالياً . وما نعانیه اليوم من فساد مستشرٍ وتفسخ مستمر في أجيالنا فهو نتيجة طبيعية لإهمالنا.

ونرى في زماننا من يريد أن يفصل الدين عن العلم فينادي بالابتعاد عن العلوم الوضعية وحجته واهية ،لذا يقول كولن في هذا الصدد:

"الابتعاد عن العلوم الوضعية بحجة أنها تؤدي إلى الإلحاد تصرف صيبياني أما النظر إليها وكأنها تعادي الدين وأنها وسيلة للإلحاد وطريق إليه فهو حكم مسبق وجهل مطبق"^(١)

"العلوم مفيدة لنا بدرجة قيامها بتأمين سعادتنا والارتفاع بنا إلى المستوى الإنساني اللائق . أما إن أصبحت العلوم والتكنولوجيا الكابوس المرعب لبني الإنسان فليست إلا شيطاناً رجيئاً تقطع علينا أماننا الطريق"^(٢)

يقول كولن:"رد جميع العلوم الوضعية والادعاء بأنها بأجمعها لا تساوي شيئاً أنموذج للجهل وللتعصب . أما رد كل شيء خارج هذه العلوم فسذاجة وتعصب أحمق . أما الإدراك بأن كل معرفة جديدة تأتي بأكوام من المجاهيل والأسئلة فهو الإدراك اللائق بالتفكير العلمي الصحيح"^(٣) .

▪ العلم المفيد عند الشيخ كولن :

للعلم وللعلوم الوضعية والتجريبية فروع مختلفة، ولكل فرع فوائده . ومع أن جميع هذه الفروع مفيدة، إلا أن عمل الإنسان قصير وقابلياته محدودة، لذا يستحيل عليه الإحاطة بجميع

١ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

٢ - عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، فؤاد البنا ، صـ ١٤٠، ط٣ ، دار النيل للنشر ، القاهرة ٢٠١٥ م.

٣ - عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، فؤاد البنا، صـ ١٤٠ م.س

فروع هذه العلوم . لذا كان على كل فرد تعلم ما يفيد ويفيد أمته، ولا يضيع عمره في ساحات أخرى غير ساحته.

الثقافة ودورها في مشروع كولن الإصلاحى:

تلعب الثقافة، كمفهوم واسع وفضفاض، دورًا توجيهيًا بشكلها العام. ولكن المثقف تحديدًا لا يبحث عن ذلك فقط. فهو يرى للثقافة دوراً أوسع وأشمل من أن تكون خطاباً وعظيماً، أو إرشاداً عملاً، يخلو من النتائج المثمر. فهو - أي المثقف - يرى في الثقافة أسلوباً معرفياً بناءً، يمتزج فيه المنتج والمتلقي معاً، من أجل صياغة مجتمع يبني على أساس الفهم المتبادل لصيغ البناء والتطوير، مجتمع يكون فيه السلوك اليومي لأفراده متطابق مع التنظير.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ كولن :

"الثقافة بمثابة نبع مهم ترده الأمة على الدوام في مراحل تطورها الخاص. وقد كانت هناك دائماً علاقة وثيقة بين تلائم وتناغم حياة الأمة واتجاه واستقامة سيرها، وبين صفاء نبع ثقافتها"^(١)

تظهر الثقافة وتولد وتنمو من طبيعة الأمة والمجتمع . والثقافة بالنسبة للمجتمع بمثابة الزهور والثمار بالنسبة للشجر. يقول كولن: "والأمم التي لم تنجح في إنضاج ثقافتها أو الأمم التي فقدت ثقافتها تشبه الأ شجار العقيمة التي لا تعطي أثراً، أو الأشجار التي تساقطت أثمارها وفقدتها. والمصير المحتم الذي ينتظر مثل هذه الأشجار هو قطعها واستعمالها حطباً"^(٢)

الدور الإصلاحي الذي تلعبه الثقافة في إصلاح المجتمعات والشعوب في فكر الشيخ كولن :

يقول الشيخ كولن: "الأمم التي تسعى لإدامة ذاتها وبقائها ولكنها تسلم نفسها إلى حضارة ومدنية الأمم الأخرى تشبه شجرة علق عليها أثمار شجرة أخرى... أي تكون محل سخرية وذات مظهر خادع"^(٣).

تشكل الثقافة الحقيقية من خلال التمازج والتفاعل بين الدين الحقيقي وبين الخلق السامي والفضيلة في بوتقة العلوم المهضومة جيداً، ووصول هذا المزيج إلى المستوى المطلوب من النضج.

يقول كولن :

^١ - الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن، ترجمة أروخان محمد علي ، ص٧٩.م.س.

^٢ - المرجع السابق ص٨٠.

^٣ - الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن، ترجمة أروخان محمد علي ، ص٧٩.م.س.

"لا يمكن الحديث عن الثقافة الحقيقية في أي جو من اللادينية والهبوط الأخلاقي والجهل، ولا يمكن لأي إنسان يعيش في مثل هذا الجو الاستفادة من هذا المنبع..."^(١)

الثقافة هي طراز وسمة الحياة المعاشة في المجتمع والناجئة من عادات وتقاليد وتربية ولغة وفن ومشاعر ذلك المجتمع وكل جزء منها قطعة مهمة من الأسس الكلية للمجتمع

يقول الشيخ كولن: "إن كل محاولة لإبعاد المجتمع عنها يعني وضع المجتمع في حيرة من أمره ودون سبيل يسلكه أو إدارة توجهه"^(٢)

❖ أساليب مقاومة الجهل وغياب الثقافة عند كولن: وذلك من منطلق وضع خطة منهجية

لتخريج جيل متعلم مثقف ينهض بذاته وبنبي جنسه وبمجتمعه فقام الشيخ كولن بالآتي:^(٣)

أولاً: إنجاح إصلاح المدرسة ، وذلك من خلال "الحرص على إعداد برنامج عمل مبتكر يتسم بالجرأة والواقعية، ويعكس من جهة اختصاصات المجتمع ومهامه الجديدة، ومن جهة أخرى الأولويات الاستراتيجية لإصلاح المنظومة التربوية.

سعى الأستاذ كولن إلى بناء منظومة تعليمية تربوية متكاملة، من رياض الأطفال إلى الجامعة. وبفضل إصراره حققت حركة الخدمة نجاحات كبيرة في بناء هذه المنظومة.^(٤)

ثانياً: تقييم السياسات والبرامج العمومية لمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي.

يقول الشيخ كولن: "إن تعليم بني البشر لإصلاح أمرهم هو المهمة الرئيسة للأنبياء والرسل، وهو ما أكدته الكثير من آيات القرآن الكريم. من ذلك قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (٥)، وكذلك قوله: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (٦)"

١ - المرجع السابق.. بتصرف .، ص ٨٠ .

٢ - الموازين أو أضواء على الطريق ، محمد فتح الله كولن ، ص ٨٣.م.س.

٣ - معلومات حصل عليها الباحث ضمن اللقاءات الدورية لمركز دار النيل للطباعة والنشر بالتجمع الخامس ٤-٥-٢٠١٦م.

٤ - ذكر هذا البرنامج التربوي مفصلاً في الفصل الثالث ، البحث الثاني .

٥ - سورة آل عمران : آية ١٦٤ .

٦ - سورة الجمعة : آية ٢ .

ثالثاً: أهم أركان ظاهرة الحضارة هو الإنسان المؤهل:

"استلهم الأستاذ كولن فكرة عبقرية من تجربة دار الأرقم بن أبي الأرقم، حيث أسس بيوتا للطلاب ذات برامج محددة في التعلّم والتربية والسلوك. وقد أعادت هذه البرامج صياغة شخصية الطلاب الذين التحقوا بها.^(١)

رابعاً: تفعيل دور الأنشطة التربوية في مختلف مراحل التعليم، والاهتمام بتوفير الملاعب والمسارح والمكتبات والقاعات المجهزة لإلقاء الندوات التثقيفية لعموم الناس. ونرى أن هذا واضحاً في فكر الشيخ كولن في إنشاء المخيمات والندوات والرحلات المدرسية .

"ظهر هذا واضحاً في نظام المخيمات التي أعدها كولن وجعلها مرتكزاً رئيسياً في التربية، حيث لعبت هذه الأنشطة دوراً فعالاً في بناء ثقافة وشخصية الإنسان الذي إعتنى به كولن"^(٢)

خامساً: نظام تعليمي يوازن بين المركزية واللامركزية، وتتحول من خلاله المدرسة إلى وحدة سياسية في التنظيم قادرة على إدارة ذاتها بما يحقق تحسين حالة التعليم المقدم للطلاب .

يتجلى هذا الأمر في مؤسسات كولن التربوية: "حيث تُترجم المؤسسات التعليمية لحركة الخدمة فلسفة التعليم التي وضعها الأستاذ فتح الله كولن: وأولها الانفتاح على ثقافات العالم وعلومه وأجناسه وديانته. لذلك لا غرابة في أن تجد في مدارس الحركة وجامعاتها أبناء كل الثقافات والأجناس.....، وهذا تجسيد لمفهوم عالمية الإسلام، باعتبار أن رسول الله (ﷺ) بُعث لكل الناس مثلما أنه تطبيق عملي لقوله تعالى: "لتعارفوا"^(٣).

سادساً: إتاحة الفرصة لمشاركة قطاع الأعمال والقطاع الخاص والمجتمع المدني في دعم العملية التعليمية .

وقد اتضح هذا الأمر جلياً في جمعية "هل من أحد؟" الإغاثية .

ثامناً: المشاركة الفعالة للأسرة والدعم المجتمعي من خلال مجالس الأمناء لعمليات التعليم والتعلم .

^١ - التعليم أساساً للإصلاح تجربة كولن وبن عاشور نموذجاً، د. بلال التل مجلة حراء، السنة السادسة، ٢٠١٣م، ص٣٤.

^٢ - لمزيد من التفاصيل راجع الرحلات الخارجية ودورها التربوي الإصلاحي في مدارس كولن، الفصل الرابع، المبحث الثالث .

^٣ - التعليم أساساً للإصلاح تجربة كولن وبن عاشور نموذجاً،.... مختصر، د. بلال التل مجلة حراء، ص٣٤، السنة السادسة، ٢٠١٣م.

وخلاصة ما سبق : أن الأفكار التي اقتنع بها فكر الحركة الإصلاحية لمدرسة الأستاذ فتح الله كولن اعتمدت على أسس معرفية تربوية، عمادها أن النهضة المجتمعية الحقيقية لا يمكن لها أن تتمكن من النفوس، وأن الإصلاح التعليمي التربوي لا يمكن له أن يؤثر في القلوب، إلا إذا قام على ثلاث قواعد نظرية أساسية ومتمينة، وعمل بالتوازي على جبهاتٍ تربوية اجتماعية ممتدة الآفاق:-

- "الإصلاح التربوي التعليمي" لمحاربة الجهل وتنوير الجيل الصاعد معرفياً.
 - "الإصلاح الاقتصادي" بتشجيع مشاريع تنمية لمحاربة الفقر.
 - "الإصلاح الاجتماعي" بنشر سبل المحبة ونزع فتيل الفرقة والاختلاف لرعاية الجيل الراهن.
- هذا الوضوح في الرؤيا لدى أقطاب الحركة الإصلاحية التربوية للخدمة، ورسوخ هذه القناعة لدى رائدها الأستاذ فتح الله كولن، كان يقتضي النزول من الأفق النظري للميدان التطبيقي منذ الستينيات من القرن الماضي.

المبحث الثاني

التعصب والأنانية والرغبة في التسلط

إن التعصب كارثة على أهله قبل أن يكون عدواناً على غيرهم وهو انغلاق للعقل وانطماس للبصيرة وحجر على الذات.

أولاً: ما معنى التعصب؟ وما الفرق بينه وبين الصلابة في الدين في فكر الشيخ كولن؟
يعرفه الشيخ كولن فيقول:

"التعصب هو تقييم الإنسان كلَّ شيء وفقاً لفهمه وهواه فحسب، وإغفال مقدمات الأمر وخلفياته، والعناد والتمرد حتى فيما يخالف روح الدين والعقل"^(١).

وقد ذكر سيدنا رسول الله (ﷺ) عن هذا الأمر بـ "العصية"، من ذلك قوله: {لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَىٰ عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَىٰ عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَىٰ عَصِيَّةٍ}؛^(٢) إن التعصب مظهر سلوكي يسري في الدم والأوردة، ويستمد طاقته من الجسمانية والحيوانية، ولفظة "التعصب" من باب "التفعل"؛ أي فيها معنى التكلف؛ ومعناه من هذه الناحية: "العناد الباطل إلى حد الإفراط في مسألة ما، والإصرار عليها، وعزو كل شيء إلى هوى النفس، والتعامي عن العوالم المرئية والمسموعة وعدم الاكتراث بها، واعتداد الإنسان بعلمه دون اعتبارٍ للآخرين"^(٣).
فالتعصب سلوكٌ مجافٍ للعقل والمنطق، والإحساس والشعور؛ فالتعصب لا يمكنه أن يتصرّف وفقاً للعقل والمنطق، ولا أن يفتح على المشاعر.

وتظهر خطورة التعصب في فكر الشيخ كولن في ما يأتي:-

أولاً- عاملٌ يحول دون إيمان الإنسان:

يقول كولن: "لقد دأب أهل الإنكار والإلحاد على التعصب ضد المؤمنين، ففي عصر السعادة مثلاً كشف الكفار والمنافقون عمّا في صدورهم من تعصب على الإسلام والمسلمين، وتظاهروا بالعمى والصمم في أمرٍ من هَوَتْ له النجوم إجلالاً وتعظيماً مفخرة الإنسانية سيدنا

^١ - شد الرحال إلى غاية سامية، فتح الله كولن، ط ٥، ص ١٥٠، دار النيل للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤م.

^٢ - عون المعبود في شرح سنن أبي داود، كتاب الأدب، حديث رقم "٦١٤"

^٣ - الموازين أو أضواء على الطريق، محمد فتح الله كولن، ص ٤٢م.س.

محمد (ﷺ)، ولو أنهم أحسنوا النظر إلى فريد الكون والمكان (ﷻ) لرأوا ما رآه كل من أحسن النظر، ولو أصغوا قليلاً إلى دُرر كلماته لسمعوا ما سمعه من أحسن الإصغاء"^(١).

ويذكر الشيخ كولن أن التعصب كان سبباً في عدم إيمان أهل مكة ودلهم تعصبهم وتقليدهم الأعمى للأباء والأجداد إلى الجحود والكفر.

يقول الشيخ كولن: "إن التقليد الأعمى للأباء والأجداد دون تمييز بين الحق والباطل يحول دون الدخول في الإيمان أو الثبات في دائرته، كما كان الكبر والطغيان والخلل في النظر حائلاً دونه"^(٢).

ثانياً التعصب مرضٌ خطير يسري في كل مكان:

يقول الشيخ كولن: "إن التعصب لا أرض له ولا وطن، فقد يُصاب كل الناس بهذه الصفة المذمومة على اختلاف أفكارهم ومناهجهم، بل قد يظهر أثر هذا التعصب على من يراه الناس متدينًا أيضًا؛ إذ بعضهم قد لا يهمنه إرضاء الله تعالى، بل يتناول كل أمر في ميزان مشربه ومسلكه الضيق مستنداً إلى معلومات أولية لديه، فيتخذ في كثير من المسائل الفرعية موقفاً فيه شدة وقسوة وتعصب"^(٣).....

الفرق بين التعصب وبين الصلابة في الدين في فكر الشيخ كولن:

يقول الشيخ كولن: "لا ينبغي للمؤمن أن يتعصب؛ لأن المؤمن لا يجيد عن الحق، ورسالته هي إقامة الحق وإعلاؤه، فلا يمكن أن نتصور إنساناً يعشق الحق، ومع ذلك يصد عن سبيله ويقاومه ويتجاهله؛ فإن فعل فقد أساء الأدب مع الحق، فالتعصب ليس من شأن المؤمن، بل الصلابة في الدين"^(٤).

ويوضح الشيخ كولن حقيقة التعصب للدين أنه بمعنى الصلابة والثبات على الحق، لأن النبي (ﷺ) ما كان يغضب إلا إذا انتهكت حرمت الله.

١ - شد الرحال إلى غاية سامية، فتح الله كولن، ٢٠١٤م، ط٥، دار النيل للنشر والتوزيع، القاهرة، ص١٥٠.

٢ - الموازين أو أضواء على الطريق، محمد فتح الله كولن، ترجمة أروخان محمد علي ص٤٢م.س.

٣ - شد الرحال إلى غاية سامية.....بتصرف، فتح الله كولن، ص١٥٥م.س.

٤ - المرجع السابق، ص١٥٥.

فيقول كولن: "الصلابة هي الجِدُّ والحزم في الأمر، والثبات والتمكّن، والعزم على الاستقامة في الأقوال والأفعال والأحوال، أمّا العنف والقسوة والتعصب فليس من الصلابة في الدين في شيء"^(١).

الصلابة في الدين هي صدق وعزم جازم على تطبيق كل ما شرعه الدين الحنيف مهما تغيرت الظروف والأحوال، أي هي "أن ينشد الإنسان رضا الله تعالى في تصرفاته وأفعاله كلّها حتى وإن انقلب العالم وتغيّر الناس بأن أقبلوا على مباحج الدنيا الفاتنة، وأن يعمد إلى تطبيق أوامر الدين بلا تراخ، وأن يحافظ على الهوية أيًا كانت الظروف والعوامل..^(٢)".
يقول كولن:

"وبلوغ مرتبة الصلابة في الدين يقتضي أن يجِدَّ المرءُ ليخرج من الإيثار التقليدي إلى الإيثار الحقيقي، وأن يسعى دومًا إلى التعمق في الحقائق الإيمانية، وأن يعرض كل مسألة على العقل والمنطق ليؤسسها على قاعدة "العلم"^(٣).

فيلزم طالب العرفان التوكُّل على الله في كل حادث ألم به، وليستمسك بالتقوى، وليرعَ الأسباب، وليخطُ بحذر، فلا ينخدع، ولا تسَّقه العواطف مطلقًا؛ لذا فإن المقلِّدين في تصرفاتهم وأفعالهم الذين تقوم حياتهم على النُّقول، هم من يتبدى لديهم التعصب.

"إذا رغب المؤمن أن تمضي حياته ضمن إطار الصلابة في الدين دون تردُّ في وديان التعصب فيعرف وليستوعب جيدًا المقاصد الكلية للكتاب والسنة بداية، وليقوم معارفه كلّها في ميزان هذين المصدرين الأساسيين، وليقارن ما فهمه من الكتاب والسنة بالاستنباطات والاجتهادات الصافية للسلف الصالح، أي فليُنظر بعين الاعتبار إلى القدر المتفق عليه من تراث فحول العلماء وهو ما يمكن أن نسميه "الإجماع الضمني"؛ فإذا تحقَّق هذا كله فليترضع وليلتجئ إلى الله في كل خيار وقرارٍ قائلاً: {رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}{(٤)}"^(٤).

١ - شد الرحال إلى غاية سامية.....بتصرف، فتح الله كولن، ص ١٥٥ م.س.

٢ -التدافع أم التنازع، مريم آيت أحمد، مجلة حراء، السنة العاشرة، ٢٠١٤، ص ٣٤.

٣ -الموازن أو أضواء على الطريق، محمد فتح الله كولن، ترجمة أروخان محمد علي، ص ٤٣ م.س.

٤ - سورة آل عمران: آية ٨.

- ويتضح الفرق جلياً بين الصلابة في الدين والتعصب :

لأن الصلابة في الدين هي استقامة المرء في تطبيق دينه، وجلده فيه، وتمكنه ورسوخه فيه رسوخ الجبال؛ ومن العسير أن يثبت المتعصب في مكانه أو ترسخ قدمه في مكان، كما كان الأمر لدى ذي الصلابة في الدين؛ لأن حركة المتعصب وفق هواه ومشاعره، لا في ضوء العقل والمنطق؛ ومن يتعصب لأيدولوجية اليوم قد يأتي يوم يتعصب لأيدولوجية أخرى؛ من ذلك أن منهم من كان في فترة ما متعصباً لأيدولوجية تعدد المادة والشهوة كل شيء، وفي فترة أخرى نجده قد تأثر بالفلسفة الروحانية وشرع يسوق لها؛ أما المؤمن فمن شيمه أن يحافظ على القيم الأسمى ويستمسك بها حيثما كان وفي أي وقت كان، في عصر السعادة أو في غيره من العصور.

ثانياً: الأنانية والرغبة في التسلط وأثرهما المدمر في مشروع كولن الإصلاحي:-

في كتاب “جهود التجديد” إلحاح شديد من مؤلفه الأستاذ فتح الله كولن على ضرورة التيقظ إزاء مخاطر الأنانية، لا سيما بالنسبة لمن يريد أن يحول حياته وجميع مناشطه إلى عبادة. إذ يمكن للإنسان من خلال ضبط النية في ابتغاء مرضاة الله تعالى أن يصبغ حياته كلها بصبغة العبادة، من المأكل إلى المشرب إلى العمل إلى سائر ممارساته اليومية. فالنية مفتاح سحري يحول العادات إلى عبادات، كما أن فساد النية أو غيابها يفقد العمل معنى العبادة حتى لو كان ذلك صلاة أو صياماً.....

وحين يتحدث الشيخ كولن عن: تقرير الملكية يقول: "تواجهنا مخاطر الأنانية أثناء العمل وبعد إنجازه. على سبيل المثال أنشأت مدرسة، بنيت مسجداً، أقيمت مشروعاً خيرياً، نفذت مشروعاً إنسانياً، نجحت في برنامج مجتمعي، شاركت في عمل ثقافي ناجح، لكنك في جميع هذه الأعمال عقدت النية على أن يكون العمل خالصاً لله، أي أردت أن يكون هذا العمل وسيلة لنيل مرضاة الله، فتم المراد وجاء التوفيق وكل عملك بالنجاح.... هناك يبادر الأستاذ كولن كما يؤكد في "جهود التجديد" إلى القول بأن هذا النجاح "لطف" من الله، ويحذر من أن تنسب الفضل إلى نفسك، رغم أنك كنت جزءاً من العمل. فالإخلاص يعني التجرد الكامل، ويتوج الأستاذ

¹ -التدافع أم التنازع، مريم آيت أحمد، مجلة حراء، السنة العاشرة، ٢٠١٤، ص٣٤٩.

فكرته بهذه العبارة: "لو قيل لنا اخلعوا من أنفسكم ما هو ملكٌ لله وضعوه جانباً، ثم هلمُّوا بتقرير عمّا تملكونه خالصاً لكم، فلن نستطيع أن نقدم شيئاً"^(١).

فالأنانية تحرم الانسان من نعم الله عليه

يقول الشيخ كولن في مقال له بعنوان (كن صفرًا): "تصغير النفس شرطاً أساسياً يضمن لنا "استمرار" الألطاف من الله تعالى، ويعتبر بروز الأنا سبب في انقطاع تلك الألطاف، يقول "إذا أردت للعناية الإلهية أن تستمر بالهطول عليك في نجاحاتك، فتخلّ عن ادعاء الفضل لذاتك، اعمل على محو "الأنا"، وانسب الفضل إلى صاحب الفضل، وتواضع أمام الله"^(٢).

ويحذر بالمقابل من مخاطر الأنانية ورغبة الإنسان في التسلط فمن جميل ما قاله الشيخ كولن في هذا الصدد: "تخلّ عن دعوى الأنانية، صفر نفسك، ودع خالق الأرقام يضع الرقم الذي يريد إلى جانبك"^(٣).

■ ويأتي كولن بتفسير معقول لتصغير الأنا يوظفه بمفهوم آخر يسميه "الممرية"، فليس من حق الإنسان ينسب الأفضال إلى ذاته، لأنه ممر لها أصلاً، ويعبر عن هذا المعنى بعبارات في غاية الرقة والعمق حيث يقول:

"على الإنسان أن يبذل في سبيل الله كلّ ما أوتي من جهد، ولكن عليه أن يلزم حدّه في جنب الله، ويعي منزلته، ويكون في يقظة وحذر، لا يتعدى حدوده ولا ينسب لنفسه ما ليس منها. عليه ألا ينسب الجمال إلى نفسه ألبته، وأن يستحضر دائماً أنه ليس مظهرًا للجمال، بل هو ممر له على الأكثر؛ لأننا لسنا أصل الجمال، أصل الجمال هو الله، وليس الجمال ملازمًا لذاتنا، فلا يليق نسبة الجمال إلا بصاحب الجمال. أجل، لسنا مصدر الجمال، وجمالنا ليس نابعا منا، بل منه سبحانه. فمن كان هذا فكره، بارك الله له في أعماله، وأصبح بطل الآية التي تقول: {لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}^(٤)، وأفاض الله عليه من نعمه دون انقطاع"^(٥).

١- فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا، عبد الحليم عويس ط ١، ص ١٠٥، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠١٣م.

٢- مقال بعنوان كن صفرًا، فتح الله كولن ، مجلة حراء ، السنة العاشرة ، ٢٠١٤ ، ص ٥٤.

٣- المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٤- سورة إبراهيم :آية ٧.

٥- مقال بعنوان كن صفرًا، فتح الله كولن ، مجلة حراء ، السنة العاشرة ، ٢٠١٤ ، ص ٥٤.

التسلط والأنانية صفات شيطانية فمن اتصف بها طرد من لطف الله ورحمته:-

يقول كولن: "لما كانت الأنانية صفة شيطانية، فإن مصير المنخدعين بها هو مصير الشيطان نفسه دون شك. بل إن دفاع الشيطان ومعدرته لم تكن إلا نعمة أنانية. فالنبي آدم عليه السلام عندما هفا هفوة، أطلق دموع الندم والتوبة ورجع إلى الله واستغفره، بينما نرى في كل كلمة من كلمات اعتذار إبليس عنادًا وغرورًا وعدم احترام وعدم توقير"^(١).

❖ أسباب ظهور الأنانية في فكر كولن:

هناك أسباب عديدة للأنانية منها: السلطة، الثروة، المنصب.... وغيرها من الأسباب بل هي أمراض تسيطر على بني الإنسان وينبغي عليه أن يبحث عن الدواء. يقول كولن: "قد تنشأ الأنانية من العلم، أو من الثروة والسلطة، أو تنبع من الذكاء، أو تتضخم بالجمال... وهناك أنواع أخرى... ولما كان الإنسان لا دخل له في إيجاد هذه الصفات، لذا فأى ادعاء أو دعوى تكون وسيلة لغضب حق صاحب الملك الحقيقي وجلب لسخطه، وتؤدي في النهاية إلى هلاك أرواح هؤلاء المغرورين"^(٢).

- "فالتعصب والتسلط واتباع الهوى، صفات ذميمة تناهض العلم وتحارب التقدم وتعادي الحقيقة وتعرقل الريادة المغايرة للمألوف وتُدين الشك وترفض التساؤل وتبذ النقد وتوهم أهله بالكمال والامتياز وتملؤهم بأوهام الاكتفاء وتمنع التغذية بالأفكار من خارج البيئة وتغلق قابليات العقل وتخلق فاعليات العلم وتنمي منابع الجهل وتزكي الدوران مع المسارات المعهودة وتملأ النفوس غبطة بالجهل المركب وخوفاً عليه وارتياًعاً من نقده وتدفع المبرمجين به إلى الإستماتة دفاعاً عنه ودعوة إليه وإخلاصاً له....."^(٣)

وهنا نجد سؤالاً يطرح نفسه ما المخرج من هذا وماهي الجرعة المناسبة التي يتناولها

مريض - التعصب والتسلط والأنانية - لتقضي على هذه الآفات وتقلعها من جذورها؟

يجيب فتح الله كولن على كل هذا فيقول "إن جرعة الدواء التي ينبغي أن يتناولها

المريض بهذه الآفات الثلاث، هي جرعة مركبة من ثلاثة عناصر:-

^١ - فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا، عبد الحليم عويس ص ١٠٦، ط ١، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠١٣م.

^٢ - المرجع السابق .

^٣ - التدافع أم التنازع،.....مختصر . مريم آيت أحمد، مجلة حراء، السنة العاشرة، ٢٠١٤، ص ٣٤.

أولاً- حوار الذات مدخل أساس لحوار الآخر:

"تؤدي الممارسات التقليدية في المعاملات، بدءاً من البيت والمدرسة والمجتمع إلى السلبية. ومن هذه الممارسات، عدم التربية على الحوار وسيادة الطرق التسلطية، وعدم منح الفرد فرص التصرف والتدخل لحل مشكلاته والمساهمة في اتخاذ القرارات والعمل على تنفيذها. كل ذلك يؤدي بالشباب -مع مرور الزمن- إلى تميزه بالسلبية والانتكالية، وغياب الجرأة على مواجهة المشكلات المطروحة أمامه داخلياً"^(١).

فعدم تأهيل وتدريب أبنائنا على الحوار، يؤدي بهم إلى رفض الآخر، كما يرفض رأيهم داخل البيت والمدرسة والمجتمع.

يقول الشيخ كولن: "إن شبابنا يدرك يقيناً أن المهمة التي يقتضيها حوار الداخل، لا تقل أهمية وخطورة عن حوار الخارج. قد نتفاءل بالتأطير النظري لأسس ومقومات هذا الحوار الخارجي، لكن الواقع -ونعني الواقع الداخلي- يحتوي قدرًا من العوائق التي تحتاج إلى نظر أوسع وأعمق، أشجع وأشفي من الثقة الزائدة بسلامة معطياتنا الفكرية والتاريخية"^(٢).

- مفتاح الحوار الثقافي:

يقول الشيخ كولن: "إن أمة ما لا تملك مفاتيح الحوار الداخلي، كيف تتمكن من إجراء حوار مع الآخر؟! وحتى لو تحدثنا عن تعارف ثقافي، فالأمة التي لا تعرف نفسها ولا تزال تمارس التجهيل والنسيان في حق أبنائها، وتتنكر لبعضها البعض ولتاريخها وجغرافيتها، هي -بلا شك- أعجز عن أن تقيم تعارفًا بينها وبين الآخر"^(٣).

فديننا أصل للحوار مع الآخر نظرياً وتطبيقياً، وتاريخنا الإسلامي زخرت صفحاته بنماذج جد راقية في التطبيق العملي لأدبيات الحوار، وأسس ومرتكزات التعايش مع الآخر دينياً وفكرياً واجتماعياً واقتصادياً.

^١ - الضاربون في الأرض ، أديب إبراهيم الدباغ ، ص٤٢ ، ط١ ، ٢٠١٢ ، دار النيل للنشر ، القاهرة.

^٢ - شد الرحال إلى غاية ساميةبتصرف ، فتح الله كولن ، ط٥ ، ص١٦٠ ، دار النيل للنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠١٤م.

^٣ - المرجع السابق .

خلاصة ماسبق :

- هناك الكثير من العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى التعصب منها : الصراع بين الطبقات ، التغيير الاجتماعي السريع ، الجهل ، عدم وجود طرق للاتصال بين الطبقات المتصارعة
 - التعصب منه المحمود والمذموم ، فالتعصب المحمود هو التعصب في الحق والتعصب للدين وهو ما يسميه كولن بـ " صلابة المؤمن واستقامته في دينه " ..
 - تربية الأطفال على التسامح وعدم حب الذات والأنانية .
 - العمل على الاتصال بين الجماعات موضوع الكراهية .
 - عدم التمييز في المعاملة بين الطبقات واستخدام مبدأ إتاحة الفرصة للجميع .
- وقد جاء الإسلام لاستئصال هذا المرض أو ترويضه في إطار شرعي ، عن أنس ابن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : { لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه }^(١) .

^١ - صحيح مسلم كتاب الطهارة باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، وأخرجه الامام الترمذي في سننه ، كتاب صفة القيامة والرقائق، والنسائي في سننه ، كتاب الإيمان وشرائعه ، باب علامات الإيمان .

قال الإمام النووي رحمه الله : "قال العلماء : معناه : " لا يؤمن الإيمان التام ، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة"^(١).

للأثرة واختصاص الذات أو الأقارب بالمصالح والمنافع دون غيرهم أضرار كثيرة على الفرد والمجتمع ، والأولى بالمسلم الحق ألا يؤثر نفسه ، أو أقاربه ، أو أصهاره ، أو مقربيه بنفع لا يستحقونه ، حتى لا يعود ذلك وبالأعلى عليه وعليهم ، وعليه أن يتحلّى بعكس هذه الصفة وهو الإيثار بأن يفضل غيره على نفسه ، وحينئذ فقط يصبح من المفلحين الذين تخلصوا من شح أنفسهم وبخلها بالمنافع على الغير ، فإن لم يفعل فالواجب عليه العدل بأن يعطي كل ذي حق حقه ، وله في أنصار رسول الله (ﷺ) أسوة طيبة حيث مدحهم المولى - عز وجل - بقوله :

{ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }^(٢)

^١ - أن المراد بنفي الإيمان نفي بلوغ حقيقته ونهايته ، فإن الإيمان كثيرا ما ينفي لانتفاء بعض أركانه وواجباته ، كقوله صلى الله عليه وسلم : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، وقوله : لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه . وقد اختلف العلماء في مرتكب الكبائر : هل يسمى مؤمنا ناقص الإيمان ، أم لا يسمى مؤمنا ؟ وإنما يقال : هو مسلم ، وليس بمؤمن على قولين ، وهما روايتان عن الإمام أحمد .

^٢ - سورة الحشر ، آية : ٩ .

المبحث الثالث

الكسل والخمول وحب الظهور

كل دعوة سامية، وكل حقيقة تكتسب الاستمرارية وتصل إلى المستوى العالمي نتيجة عزم وإخلاص منتسبيها وجهودهم المبذولة في الحفاظ عليها. فإن حرمت أية دعوة من المنتسبين الأوفياء المخلصين الواعين الذين يحافظون عليها ضد هجوم واعتداءات أعدائها فمصيرها إلى الزوال والانهدام عاجلاً أم آجلاً والدخول إلى عالم النسيان والإهمال.

• لقد حذر الشيخ فتح الله كولن من عواقب الكسل، وجعله سبباً رئيساً من أسباب ضياع الإنسان وفقدانه لذاته كما تفقد المياه الراكدة طعمها ويتغير لونها وريحها، يقول كولن: " كما تأسن المياه التي فقدت حركتها وركدت، كذلك يكون الذبول والضياع مصير الكسالى الذين تركوا أنفسهم للتراخي والركود. إن الرغبة في الراحة والخمود هي أولى إشارات الموت وإنذاره. ولكن الشخص الذي انقاد لمشاعره وأحاسيسه وانشغل بها لا يفهم هذه الإشارة ولا يسمع هذا الإنذار، ولا يستفيد من نصائح أصدقائه وتحذيراتهم"^(١)

• الكسل والانقياد إلى الراحة سبب من أسباب الذل والحرمان:

يقول الشيخ كولن: "لا ريب أن الذين رموا بأنفسهم في أحضان الكسل فهات أرواحهم... هؤلاء سيأتي يوم يضطرون للتذلل للآخرين للحصول على حاجاتهم المعاشية الضرورية"....."^(٢)

• بالهمة العالية والكفاح تبني الدول والأوطان وتهدم بالتراخي والكسل: وقد حذر كولن أتباعه من هذا المنعطف الخطير خوفاً عليهم أن تنزل أقدامهم فيه فلا يستطيعون الخروج، يقول الشيخ كولن: "ليس أمامكم ولا لديكم أي خيار آخر" وهي كلمة تلخص بأمانة ماذا يراد منا. والقائلون بذلك "قد استقالوا لأسباب عديدة، بل إنهم عملوا على ترسيخ قبول الاستسلام كأسلوب للحياة"^(٣).

^١ - شد الرحال إلى غاية سامية، فتح الله كولن، ص-١١٣، ط١، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

^٢ - المرجع السابق، بتصرف، نفس الصفحة.

^٣ - الإنسان الجديد، فتح الله كولن، مجلة حراء، عدد ٥٤، إصدار عام ٢٠١٥م، ص-١٤.

ويؤكد كولن، صحة تشخيص النورسي لهذا المرض ، "فبيّن أن الأمة التي تقاعس أبناؤها عن أداء دورهم هي أمة في تعداد الموتى ، ذلك لأن شعبها عجز أن يصل إلى ذاته فيرتقي بنفسه ثم ببني جنسه"^(١).

يقول الشيخ كولن : "كان حب الكفاح وعشق الجهاد هو السبب في ولادة دولة كبيرة من قبيلة صغيرة."^(٢) وعندما احتل الخمول و حب الراحة والدعة مكان عشق الجهاد تداعت هذه الدولة أنقاضاً"^(٣).

إن التغير الذي يطراً على الإنسان فيفسده ويذبله، يطرأ تدريجياً وبشكل صامت وبطيء جداً. وقد تؤدي غفلة صغيرة أو انحراف قليل عن سير القافلة إلى ضياع كامل. يقول كولن : "يستحيل على الذين يتكون خط المجاهدة والكفاح وينحرفون عن الخط المستقيم، الرجوع إلى مواقعهم الأولى عادة، ذلك لأنهم وهم يتقلبون في حمى الشعور بالذنب لا يرون أمامهم - في سبيل الدفاع عن أنفسهم - سوى سلوك نقد وتجريح إخوانهم في سلك الدعوة..... فمقابل استغفار آدم عليه السلام عن زلته واستغفاره واعترافه بخطئه ورجوعه إلى موقعه السابق بقفزة واحدة، نرى قيام إبليس بتبرير عمله والدفاع عن نفسه على الرغم من جرمه الكبير، فاستحق بذلك اللعنة الأبدية والخسران الأبدي"....."^(٤).

• الكسل مرض معدي يجب الوقاية منه:

يقول الشيخ كولن محذراً من انتشار هذا المرض: "إن لأمثال هؤلاء الذين أصاب الشلل إرادتهم وعزيمتهم تأثيراً سلبياً كبيراً على روح وعزيمة المحيطين بهم..."^(٥).

١ - الإنسان الجديد، فتح الله كولن ، مجلة حراء ، عدد ٥٤ ، إصدار عام ٢٠١٥ م ، ص ١٤ .

٢ - يشير الشيخ كولن هنا إلى ولادة الدولة العثمانية من قبيلة صغيرة.

٣ - الإنسان الجديد، فتح الله كولن ، مجلة حراء ، عدد ٥٤ ، إصدار عام ٢٠١٥ م ، ص ١٥ .

٤ - شد الرحال إلى غاية سامية.... مختصر، فتح الله كولن، ص ١١٥ ، ط ١ ، ٢٠١٤ م ، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة

٥ - الإنسان الجديد، فتح الله كولن ، مجلة حراء ، عدد ٥٤ ، إصدار عام ٢٠١٥ م ، ص ١٥ .

ونرى الشيخ كولن يحذر أتباعه مرة أخرى فيقول :

"إن زينة الحياة الدنيا وجمالها والمال والأولاد، إن هي إلا امتحان وفتنة. والطلاب الذين ينجحون في هذا الامتحان نجاحاً باهراً هم أصحاب الإرادة القوية الذين ارتبطت قلوبهم ارتباطاً دائماً بالحقيقة والذين أعطوا عهدهم وميثاقهم ألا يتزحزحوا ولا ينكثوا عهدهم وميثاقهم"^(١)

ثانياً: حب الظهور مرض من أمراض القلب التي أشار إليها الشيخ كولن في دروسه ومواعظه وكتبه، حيث جعله عقبة كبرى في طريق المصلحين وقدم الشيخ عن هذا المرض بـ
"عثرات الطريق":

يقول الشيخ كولن: "إن حياة الإنسان كلها من أولها إلى آخرها سلسلة ابتلاءات، ولا يُبتلى في هذه الدنيا بالبلايا والمصائب فحسب، بل يُمتحن كذلك بالنعم والإنجازات المادية والمعنوية؛ وقد تعلق به في هذه المقامات والمنازل بعض الفيروسات والميكروبات، فتتحكم بحياته المعنوية، والمعنى أن مَنْ مرَّ بمثل هذه المقامات والمناصب كما يُبتلى بالراحة والرفاهية قد يُبتلى بالصيت والشهرة، أو بالمقام والمنصب، أو بتصفيق الناس وتبجيلهم."^(٢)

ويضرب الإمام الغزاليّ عدة أمثال على ما يجلّ بالإنسان من ابتلاءات، وملخصها: "أنه قد

يسمع امرؤً بجمالٍ رائعٍ خلابٍ لبلدةٍ ما كأنها الجنة، فيقصدتها ويسلك طريقه إليها بعزمٍ ماضٍ وحزمٍ بالغٍ، ثم يعترض طريقه مكانٌ مريحٌ لطيفٍ أطربه فيه خريير الماء وحفيف الأشجار وشدو الطيور، فدعته الظلال إلى الركون والراحة، ونسي البلدة التي قصدتها، وقرّر البقاء في هذا المكان، وقاوم من فوره ببناء كوخ، وأقام فيه"^(٣).

وفي منازل حياة الإنسان صورٌ أخرى من الابتلاءات غير ما ذكر، أي إنه سيظل طوال

الطريق يتعثر بكثير من الأشياء، ويميل إلى الدعة والراحة ويؤكع بهما.

يقول الشيخ كولن: "لمولانا جلال الدين الرومي في المثنوي مقالة عن الشهوة مفادها:

أن الشيطان يطلب من الله ما يُغوي به البشر ويضلهم، فيعطى الثروة والمنصب والشهرة... غير

^١ - المرجع السابق. نفس الصفحة .

^٢ - شد الرحال إلى غاية سامية... مختصر، فتح الله كولن، ص-١١، ط١٤٠١، ٢٠١٤م، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠١٤م .

^٣ - إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي - رحمه الله - ، ص-٢١٩، ط٣، ٣-٣، دار الحديث للنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٩م .

أنه لا يرضى بأي منها، وفي النهاية يُعطى القدرة على تزيين المرأة للرجل، والرجل للمرأة، فيفرح بهذا كثيرًا^(١).

■ ثم يحدّر الشيخ كولن من هذا المرض النفسي الذي ربما يصل بصاحبه إلى درجة العجز أمام رغبة في الشهرة فيقول: "من الامتحانات التي خسر فيها كثيرون حبّ التعظيم والمنصب والمكانة والرياء وحبّ تقدير الناس وثنائهم؛ فالشهرة التي ذكرها الأستاذ بديع الزمان في رسالته: "الهجمات الست" وسمّاها: "حبّ الجاه"، وشبّهها في "المنوي العربي النوري" بـ"العسل المسموم" إحدى نقاط الضعف الخطيرة التي قد يعلق بها بعض الناس؛ نعم، إن هذا الإنسان الضعيف الذي يحاول نقل بلاهة الشهرة إلى الآخرة لن يتوانى عن فعل أي شيء في الدنيا ليحظى بها"^(٢).

من منطلق ما سبق تقريره يتّضح: أنّ مواجهة المعوقات في فكر كولن، مواجهة لنوع الفكر الإقصائي عبر التاريخ، وبالتالي فالمواجهة ليست إلا من قبيل أفكار كولن الإصلاحية، وخاصة تلك التي نبّه فيها إلى أهم الأمراض الفتّاقة التي يستثمرها الإقصاء عبر التاريخ. تستشف تلك الأمراض الفتّاقة المسلّطة علينا وكيفية مواجهتها مما ذكره العلامة النورسي في مجموع رسائله. وتتلخّص تلك الأمراض وفق تعبيره في النقاط الآتية: "حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه، وموت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية، وحبّ العداوة، والجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، وسريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة، وحصر الهمة في المنفعة الشخصية، إضافة إلى التفاؤل الكاذب".

^١ - شدّ الرحال إلى غاية سامية... مختصر، فتح الله كولن، ص ١١٥ م.س.

^٢ - الإنسان الجديد، فتح الله كولن، مجلة حراء، عدد ٥، إصدار عام ٢٠١٥ م، ص ١٥.

ثم يضع الشيخ كولن حلاً وعلاجاً لتلك الأمراض والتي عدها بعض المفكرين من

الأمراض النفسية والعقلية المزمنة المستعصية:

يقول كولن: "يجب أن نعرض للكسالى والمستضعفين -الذين هزمتهم أنفسهم-، أن نعرض عليهم وقائع من تاريخ الأمم الماضية: "فالاختبار من الماضي: أكبر عوامل دفع اليأس الاعتبار بالماضي في فهم الحاضر والتخطيط للمستقبل"^(١)
من خلال ما سبق يتضح الآتي:-

أن للكسل والخمول آثار على الفرد والمجتمع منها:

▪ التخلف عن ركب الأمم والحضارات:

يقول ابن القيم - رحمه الله - "قالت العقلاء قاطبة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن الراحة لا تنال بالراحة وأن من أثر اللذات فاتته اللذات"^(٢)
فأمة يكسل أبناؤها أمة لا تبني ولا تعمر بل تتراجع عن موكب التقدم والحضارة فأول ضريبة يدفعها المجتمع أن يصبحوا مسخاً إمعه لا يدفعوا ولا ينفعوا.

لذا حثنا الله تعالى على العمل والجد والسعي ، وقد سوى الله تعالى بين العمل والسعي على التقدم والازدهار بالجهاد في سبيله فقال - سبحانه - {وَآخِرُونَ يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ^(٣)

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: "سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلاً على أن كسب المال بمنزلة الجهاد، لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله"^(٤)

١ - التغيير الناجح لمحات من المنجز في رؤية الأستاذ فتح الله كولن، محمد حكيب ، مجلة حراء ، العدد ٤٢، إصدار عام ٢٠١٤م، ص٤٣.

٢ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، ص٢٥٠، ط٦ المكتبة التوفيقية بالقاهرة ٢٠٠٢ م.

٣ - سورة المزمل آية : ٢٠.

٤ - الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج١٠، ص٥٥، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في عشر مجلدات)

يقول الشيخ كولن: "إذا اتصف أبناء أمة من الأمم بالكسل، فذلك سيكون سبب في تأخرها بين الأمم، لأن العمل والإنتاج هما عصب الحياة، فالأمة المنتجة القوية تسعى إلى السيطرة على غيرها من الأمم الضعيفة الفقيرة، لذلك لا سبيل إلى رفعة الأمة وقوتها إلا بالعمل والتخلي عن الكسل"^(١).

■ احتقار الناس للمتكاسلين:

الناس لا يعجبها أن ترى أناسًا يتكاسلون عن الواجبات ويعتمدون على غيرهم في معاشهم لذا فإن المتكاسل يسقط من أعين الناس.

الكسول لا ينال شرف السيادة بين الناس، ولا في قومه، لأنه اكتفى بالكسل، ورضي أن يعيش عالية على غيره، ولذلك قال سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول هل له حرفة؟ - فإن قالوا لا سقط من عيني"^(٢).

■ حرمان السيادة والريادة:

فما علم لكسلان أنه ساد قومه أو نال درجة عالية بين أقرانه يقول ابن القيم - رحمه الله -: "أن العقلاء قاطبة متفقدون على استحسان أتعاب النفوس في تحصيل كمالها من العلم والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة وطلب محمداً من ينفعهم حمده وكل من كان أتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالاً وأرفع قدراً وكذلك يستحسنون أتعاب النفوس في تحصيل الغنى والعز والشرف ويذمون القاعد عن ذلك وينسبونه إلى دناءة الهمة وخسة النفس وضعة القدر"^(٣).

^١ - طرق الإرشاد في الفكر والحياة، محمد فتح الله كولن، ترجمة، إحسان قاسم الصالح، ص ١٤٤، ط الخامسة، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١م.

^٢ - المجالسة وجواهر العلم، المؤلف: أبو بكر الدينوري، ط ١، ص ٦٤١، دار ابن حزم للنشر - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

^٣ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، ص ٢٥٠، ط ٦، المكتبة التوفيقية بالقاهرة ٢٠٠٢م.

المبحث الرابع

توجيه النقد للأشخاص وليس للأعمال

توطئة:-

النقد من الأسس العلمية المهمة للوصول إلى ما هو مثالي، واستعمل بهذا المعنى منذ عصر السلف الصالح، ومنه نقدُ السند والمتن للتثبت من صحة الحديث، ولم يقتصر منهج النقد على دراسة الحديث النبوي فحسب، بل غدا منذ العصر الأول قانوناً مهماً يلجأ ويُرجع إليه كي تظهر الحقيقة في كثيرٍ من الموضوعات مثل التفسير وشروح الحديث؛ وغدا هذا القانون العلمي مِصفاً منضبطاً جدًّا، وبه أمكن التصدي لأفكار دخيلة على الإسلام أُريد له أن يختلط بها، ولما تطوّر علم المناظرة نُقدت التفسيرات والاجتهادات في مداولات ومناقشات فكرية، فنُقدت الأفكار وقُومت واختبرت بالمحكّمات، فظهرت بارقة الحقيقة بهذه الطريقة.

ولو نظرنا إلى كلام أهل العلم ونقدهم في مختلف الفنون، لوجدنا أن النقد هو وسيلة لإدراك غاية، فليس من مقاصدهم الخوض في أعراض الناس؛ لذا التزموا الاعتدال في بيان الأحوال، والوزن بالقسط في إصدار الأحكام، وكانت لهم قواعد عامة في نقد القائل، وقواعد في نقد القول، يراعى فيها التفريق بين الرأي وصاحبه.

وامتاز علماء الحديث بتأصيل قواعد الجرح والتعديل، وهذه القواعد كان يلتزمها من ينتقد غيره، ويصل في مقام نقده للفكرة أو المقالة إلى نقد القائل.

- وقد تكوّن تراث عظيم في علم النقد خاصة نقد السند، فدوّنت مجلدات عن علم الرجال في ضوء علم الجرح والتعديل، ونقدوا رواة الأحاديث النبوية جميعاً، وبهذا تم التثبت من الروايات الصحيحة عن رسول الله (ﷺ)، وليعلم أن العلماء حرصوا على ألا يصدر عنهم ما يزيد عن الغرض من النقد مهما كان موضوع النقد مهماً، والتزموا الدقة والحشية في هذا الشأن؛ فهذا "شعبة بن الحجاج"^(١) -أحد واضعي علم الجرح والتعديل- يقول: "تعالوا نغتاب في

١- أبو إسحاق بن الحجاج بن الورد (٨٥ هـ-١٦٠ هـ) مولى الأشاقر؛ واسطي الأصل عالم أهل البصرة وشيخها. سكن البصرة منذ الصغرو فيها توفي، رأى الحسن البصري وأخذ عنه وحدث عن أنس بن سيرين وإسماعيل بن رجاء وسلمة بن كهيل. وقال النضر بن شميل: «ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة؛ كان إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يعطى. وكان يقول: والله لأنا في الشعر أسلم مني في الحديث، ولو أردت الله لما خرجت إليكم، ولو أردتم الله ما حبيتهموني، ولكننا نحب المدح ونكره الذم.» (المصدر: قائمة الأعلام المكتبة الشاملة، الإصدار الحديث ٥٠٩).

الله!" يريد الكلام في الشيوخ"^(١)، ومراده ضرورة العمل في نقد رواة الحديث، وضرورة قصره على ما فيه مرضاة الله.

وسوف يدور الحديث عن النقد في هذا المبحث حول محاور رئيسة:

المحور الأول: أصول النقد في فكر الشيخ فتح الله كولن:-

يقول الشيخ كولن: " لقد استُخدم منهج النقد في حضارتنا لا سيما القرون الهجرية الخمسة الأولى للوصول إلى الأفضل سواء في العلوم الدينية أو العلوم التطبيقية، واليوم يمكن الاعتماد على هذا المنهج العلمي أيضًا بشرط التزام الإنصاف في النقد، والحفاظ على الأدب، وأن تبحث المسألة وتعرض بعناية ودقة فائقة"^(٢).

ولهذا الموضوع أصول يمكننا أن نسميها آداب النقد ومبادئه عند الشيخ كولن ، نلخصها

على النحو الآتي:^(٣)

أولاً- الإنصاف واللين:

لا بد من كون النقد بأسلوب لين، وأن يكون نمط العرض إنسانياً لأقصى درجة، أي ينبغي أن يكون النقد على نمط يقبله المتلقي برحابة صدر، ولا يثير حفيظة المخاطب.

يقول كولن مخاطباً بعض تلاميذه: " فلو أنكم عرضتم آراءكم المنطقية المعقولة وأفكاركم البديلة التي تؤمنون بها في مشكلة ما عرضاً إنسانياً الأسلوب لبيئاً مُنصفاً، لُقوبلت أفكاركم بالاحترام وبالقبول...."^(٤).

ثانياً- مراعاة الحديث إلى العامة وعدم هتك الستر:

يشهد التاريخ أن من يستخف بأفكار الآخرين - مهما كان مجالها- وي طرحها جانباً دائماً وكأنها نقود مزيفة، ويراها "هباء"، قد يفقد - دون أن يدرك- كثيراً من الأشياء "الشمينة" التي قد تفيده.

١ - سير أعلام النبلاء هو كتاب في علم التراجم ألفه الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي. المتوفى سنة ٧٤٨ هـ الموافق ١٣٧٤ م، ج٦، ص٦١٦. طبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين.

٢ - شد الرحال إلى غاية سامية ، فتح الله كولن ، ص١١٢، ط١، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٤ م

٣ - المرجع السابق ، ص١١٢ .

٤ - شد الرحال إلى غاية سامية ، بتصرف ، فتح الله كولن ، ص١١٣ م.س.

ثم يضرب الشيخ كولن مثلاً على هذا الأصل فيقول: "فمثلاً قد ترون صديقاً لكم ينظر إلى الحرام، فإن واجهتموه بطريقة تهتك الستر الذي بينكم وقتلتم له: "فعلت كذا وكذا، غض الطرف، ولا تقرب الحرام!" فقد يجعله نقدكم هذا -نسأل الله السلامة- وكيلاً للشيطان، لاسيما إن لم يكن مستعداً لنقد الآخرين في تصرفاته وسلوكياته ولا يستسيغ ذلك ولا يقبله، فإن أي نقد له سيتسبب في ردود أفعال تحمله على عدم احترام الحق، ويغدو عدواً لقيمتنا الذاتية... " (١)

■ فقد كان رسولُ الله (ﷺ) إذا بلغه أمر ينكره لم يواجهه فاعله به، بل يجمع الناس في مكانٍ ثم يتوجه بخطابه إليهم جميعاً، وبذلك يتسنى للمخطئ أن يأخذ العبرة والعظة من هذا الخطاب، من ذلك ما رُوِيَ أَنَّهُ (ﷺ) استعمل رجلاً على الصدقة، فلما قدم قال: {هذا لكم وهذا أهدي لي}، فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَنْظُرُ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا؟" (٢)

ثالثاً - مراعاة الدقة في اختيار الناقد والناصح المناسب للشخص المخطئ:

إذا دعت الضرورة إلى نقد شخصٍ ما، فليس لأحدٍ أن يصرَّ على القيام بهذا الأمر بنفسه، وليدع شخصاً يحبه المخاطب يقوم بذلك؛ لأن انتقادات الحبيب قد تُعدَّ مجاملة وثناء.

يقول الشيخ كولن في هذا الصدد: "أجل، إن رأيتم أن كلامكم ستنجم عنه كراهية من المخاطب فتجنبوا الأمر، وافسحوا المجال لغيركم؛ فليس المهمَّ من يعبر عن الحقيقة، بل المهمُّ هو أن تتقبلها الصدور" (٣).

ثم يستشهد الشيخ كولن بفعل سيدنا الحسن والحسين وعن آل بيت النبي أجمعين فيقول: "وإليكم في هذا منقبة للسبطين الحسن والحسين رضوان الله عليهما؛ يُحكى أنهما رضي الله عنهما مرّاً على شيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء، فاتفقا -وهما من أهل الفطرة النادرة والفراصة الباهرة- على أن ينصحا الرجل ويعلماه كيف يتوضأ، فأتياه وقالوا له: "يا عم، انظر أيُّنا أحسن وضوءاً"، ثم توضأ كلُّ منهما كما رأيا جدَّهما سيدنا رسول الله (ﷺ) ووالدهما علياً كرم الله وجهه،

١ - أصول النقد بين الواقع الفكري والتنظير العملي، فتح الله كولن، مجلة حراء، عدد ٤٢، ص ١٣.

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب هدايا العمال، برقم "٦٧٥٣"، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال برقم "١٤٦٣".

٣ - أصول النقد بين الواقع الفكري والتنظير العملي، فتح الله كولن، مجلة حراء، عدد ٤٢، ص ١٣.

فإذا بهذا الرجل يقول برحابة صدر: "كلاكما أحسنَ الوضوء، أما أنا فلم أحسنه"، وهذا لأنهما لم يتعرضا له بطعن أو نقد صريح، ولا أنكرا عليه مباشرة"^(١).

إن قبول النقد في مسألة ما يقتضي أسلوباً مناسباً يستهدف تصحيح الخطأ وإبراز الصواب، بطريقة جيدة في الإعداد والعرض.

رابعاً- تربية مخاطبٍ يتحمل النقد:

ذكر الشيخ كولن هذه القضية في كتابه "النور الخالد محمد (ﷺ) مفخرة الإنسانية حين تعرض لشرح الجانب التربوي في حياة سيدنا محمد (ﷺ)، بعنوان -النبى مريباً- فقال: "ينبغي الرقي بالمخاطبين إلى مستوى القدرة على تحمّل النقد، وإثارة الشعور باحترام الحق فيهم، وقد بلغ الصحابة الكرام رضي الله عنهم هذا الأفق، فكان بعضهم يواجه بعضاً بأخطائهم بنفس راضية وصدر رحب، ولا يؤدّي هذا إلى حدوث أيّ خلاف بينهم ألبته"^(٢)؛ ثم ضرب الشيخ كولن مثلاً على ذلك فقال: "ذات يوم صعد سيدنا عمر رضي الله عنه المنبر، وتحدّث عن آيات من شأنها أن تيسّر أمر الزواج، وأن يكون المهر بقدر يطيقه الجميع، ودعا إلى ترك المغالاة في المهور، وحدّها بقدرٍ معين، وهو حلٌّ ناجع حقاً لمنع الاستغلال ولو بقدر ما، وللتسامح في هذه المسألة أثر كبير اليوم في حلّ معضلة اجتماعية كبيرة.

وهنا قامت امرأة وقالت: "يا أمير المؤمنين، أكتابُ الله تعالى أحقُّ أن يُتبع أم قولك؟" قال: "بل كتابُ الله تعالى، فما ذاك؟" قالت: نهيتَ الناسَ أنفاً أن يغالوا في صداق النساء والله تعالى يقول في كتابه: {وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ مِهَنَاتٌ وَإِنَّمَا مِهْنًا}؛ كان سيدنا عمر حينئذ يدير دولة كبيرة أكبر من تركيا بعشرين ضعفاً، وهو من أرغم أكبر قوتين عظيمتين حينئذ على طاعته والدخول تحت إمرته، ورغم ذلك توقّف فوراً عند سماعه هذه الكلمات، وانسابت من بين شفثيه هذه الكلمات: "كلُّ أحد أفقه من عمر!" مرتين أو ثلاثاً، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: "إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق

١ - سمات المؤمن الحق للشيخ فتح الله كولن ، مجلة حراء إصدار عام ٢٠١٥ ، عدد ٤٥ ، ص ٢.

٢ - النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم ، مفخرة الإنسانية ، فتح الله كولن ، ٢٠٢٠ ، ص ٢٨٥ ط ٣ ، دار النيل للنشر ، القاهرة ٢٠١٤ م.

٣ - سورة النساء آية ٢٠ .

النساء، ألا فليفعل رجلٌ في ماله ما بدا له” ؛ وحسَّه المرهف هذا هو الذي جعلهم يصفونه ب”الوقَّاف عند كتاب الله تعالى”، أي كان يستطيع كبح جماح نفسه متى أراد وأينما شاء^(١).

فعلى من يفكر في نقد مسألة أو تقويمها أن يدرُسها أولاً ويبدل قصارى جهده في قول الصواب، وأن يراعي حساسية الطرف الآخر عند تحليل المسألة ونقدها، وأن يضع في حسبانها أيضاً مدى استعداد المخاطب لتقبُّل ما يُوجَّه إليه، فإن تَوَقَّع أن يقابل نقده بأي رد فعل من المخاطب فليس عليه أن يصرَّ على إبراز الحقيقة بنفسه، بل يدع هذا الأمر لمن هو أقوى منه تأثيراً في نفس هذا المخاطب.

المحور الثاني: أسلوب النقد في فكر الشيخ فتح الله كولن :-

شاع قول العرب "الهدمُ أسهلُّ" حتى غدا مثلاً. أجل، ما أسهل التخريب والنقد والهدم، وما أصعب "البناء"؛ لذلك كان على من يسعى للهدم أن يبحث أولاً عن طرق "البناء"، ويجددها ثم يبدأ "الهدم"؛ وإلا فإنه لن يمكن أبداً ملء الفراغ الناتج عن الهدم.

وقد قدم الشيخ كولن بعض الأساليب التي ينبغي أن يسلكها ويستخدمها الناقد منها:-

أولاً- تقديم البديل:

يقول الشيخ كولن: "هناك قضايا لا تتحمل التخريب ولا النقد ولا الهدم ما لم توضع لها بدائل؛ وأظن أن تحقيق التوازن في هذه المسألة هو من أهم وظائف الرسل خاصة رسولنا مفرخة الإنسانية(ﷺ)، أجل، لقد كان يكشف مثالب المجتمع، ويصدع بأسلوب مقنع نبيل لا يخشى أحداً، قائلاً: "هذا خطأ!"، غير أنه(ﷺ) كان يقدم البدائل الحقيقية البناءة فوراً، فيحول دون الفوضى والفراغ، أي كان يوازن كل شيء ويتفحص إيجابياته وسلبياته، ولا يمنح الفراغ الفكري والحسيّ أية فرصة"^(٢).

وهذا المنهج يلقننا دروساً كثيرة: منها أن محاولات الهدم العشوائية جناية ما لم تسبقها

خطط ومشاريع لـ"بناء" يقوم على أرضية سليمة، وإحاطة تامة بالواقع.

^١ - النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم ، مفرخة الإنسانية ، فتح الله كولن ، ص ٢٨٥.م.س.

^٢ - الموشور ، فتح الله كولن ، ص ١٠٠، ط ٢، دار النيل للنشر ، القاهرة ، ٢٠١٥.م.

ثانياً- مراعاة اسلوب التوازن في النقد :

يقول الشيخ كولن: " ولما لم يُطبَّق هذا المنهج في الحياة عاش الفرد والأسرة والدولة في فراغٍ خطيرٍ على قدر الأخطاء المرتكبة ومداهما، وانساق الجميعُ إلى الفوضى؛ ففي الدولة العثمانية مثلاً، قد عُرض السلاطين أحياناً، وأُطيحَ بهم، وطولبَ بمن هو أفضل، فإذا بالأوضاع السلبية تتفاقمُ، فاستحال العثور على من هو أفضل، وراح الجميع يتحسّر على الأيام الخوالي وأصحابها"^(١).

ثم يستطرد الشيخ كولن قوله: "أجل، إن الاتزان مهمٌ جدًّا في هذا الشأن، وإنني على قناعة بأن هناك كثيراً من الأخطاء تُرتكبُ اليوم في هذا المجال، علماً أن هذا الضرب من السلوكيات - كما قدمنا أنفاً بالأمثلة - مضاعفاته وأضراره غير متوقّعة بل ربما لا تكفي طاقتنا لأن تعمّر وتصلح ولو واحداً منها".....^(٢).

ثالثاً- تحديد محل النزاع:

تحديد محل النزاع مع المخالف: يضمن عدم تشعب الخلاف فيما لا خلاف فيه، ويتم التحديد بالاعتناء بالمضمون المتنازع فيه، وتقريب شقة الخلاف، بحيث يسقط منها الخلاف اللفظي، وضبط محل النزاع يقرب المفاهيم، ويختصر زمن الجدل والنقاش.

يقول كولن: " قد يكون الطرفان متفقين في النتائج، متغايرين في منهج العرض، مجتمعين في مبدأ الاستدلال، غير أن تعبير كل واحد بمصطلحاته، يوهم بنوع من الخلاف، يسببه تحكّم كل طرف في مقالة الآخر بمفاهيمه هو."^(٣)

المحور الثالث: توجيه النقد للأعمال وليس للأشخاص:-

اعتبر فتح الله كولن أن من أسوأ طرق النقد اعتبار الشخص جانباً سلبياً يجب القصاص منه أو محوه من حياتك وهذا منتهى الخطأ، وقد استدل بما كتبه "الشيخ عمر عبيد حسنة"^(٤) حين

١ - المرجع السابق، نفس الصفحة .

٢ - الموشور ، فتح الله كولن ،....بتصرف، ص١٠١.م.س.

٣ - سمات المؤمن الحق للشيخ فتح الله كولنبتصرف ، مجلة حراء إصدار عام ٢٠١٥ ، عدد ٤٥ ، ص٣.

٤ - ولد في بلدة فطنا قرب دمشق، قرأ كتب الأدب والتراث، وعنى بالمقالة الإسلامية النقدية، وتأثر بالشيخ مصطفى السباعي، وارتبط بحركته الفكرية في وقت مبكر، تخرّج من كلية الشريعة بجامعة دمشق سنة ١٣٧٩/١٩٦٠، وتتلّمذ على علمائها، اشتغل بتدريس مادة التربية الدينية بين عامي: (١٩٦٠ - ١٩٨٠)، وأحب الصحافة ووجد فيها ميداناً فسيحاً للدعوة، وشارك في تحرير (مجلة حضارة

قال: " يجب أن نعلم أن سلبيات الشخص ما هي إلا بعض السمات السيئة التي التصقت به بالممارسة أو الاكتساب لكنها ليست هي الشخص نفسه، فحاول دائماً أن تنقد التصرف وليس من يقوم به. فمثلاً قد يكذب صديقك في معلومة ما، فعند توجيه النقد تحدث عن الكذب بشكل عام على أنه سمة قبيحة لا بد أن نتخلى عنها، لذا حاول تعميم الفكرة بدلاً من تخصيصها على شخصه حتى لا تشعره بالحرج أو تلقى عدم استجابة أو نفور مما تقول....."^(١)

مما سبق يتضح الآتي

- ليس كل من يعلم الحق مؤهلاً للدفاع عن الحق والجدل عنه؛ فحصول المعرفة لا يقتضي توفر ملكة الدفاع عنها، وإدراك شيء من الحق لا يلزمه القدرة على كشف أشياء من الباطل، فقد يدري الناقد المتصدر للنقد قولاً، ولا يعلم بأوجه أحر، ويستوعب قاعدة ولا يفتن لشروط، ويدرك مسالك ولا يعي عللاً، ويحفظ دليلاً ولا يستنبط وجه الاستدلال منه، ويظن أن ما معه حق يقابله لزاماً غيره من الباطل.

بناءً على ذلك: لا يجوز أن يطلق أحد لسانه بالنقد، ولم يبلغ رشد العلم، ولا تأهل الملكة الرد، فكان لزاماً في الناقد توافر أهلية القيام بالنقد؛ لبيان الحق، وإبرام أدلته، ونصبها دليلاً عليه، وإلا فقد ذم الله - تعالى - من يجاج بلا علم، فقال - سبحانه - : { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }^(٢)

- وقد ضرب لنا القرآن الكريم المثل البليغ في قضية النقد : فالخضر عليه السلام كان معه من العلم ما لم يدركه كليم الله موسى - عليه السلام - ولم يحط به خبراً، وموسى - عليه السلام - رسول نبي من أولي العزم، وكان هو الناقد لأفعال الخضر، إلا أن برهان الخضر أقوى وأجلى من نقد سيدنا موسى، وكذا الهدهد أحاط بما لم يحط به نبي الله سليمان - عليه السلام - وجاءه من سبأ نبأ يقين، ونبي الله مُسَخَّرَةٌ له الجنُّ والريح، وأوتي من الملك ما لا ينبغي لأحد بعده.

الإسلام) التي أسسها الدكتور مصطفى السباعي بين عامي: (١٩٦٨ - ١٩٨٠). له أكثر من ثلاثين كتاباً ورسالة في قضايا ومشكلات الفكر والواقع الإسلامي. (المصدر: مراجعات في الفكر والحركة والدعوة للشيخ عمر عبيد حسنة، ط١٩٩١م، ١٤١١هـ، ص٣-٥، دار الحلبي للطباعة والنشر، القاهرة).

^١ - مراجعات في الفكر والحركة والدعوة للشيخ عمر عبيد حسنة، ص٣٠-٣١، ط١٩٩١م، ١٤١١هـ. دار الحلبي للطباعة والنشر، القاهرة.

^٢ - سورة آل عمران: ٦٦

وفي الكتاب المبين طلب الله - تعالى - من نبيه أن يجادل الكفار، ويطالبهم بدليل :

- {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} ^(١)
- {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي} ^(٢)
- {قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} ^(٣)

وَبُنِي على ذي قاعدة: "إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدعيًا فالدليل"؛ فالإقناع بالدليل شرط لإفحام الخصم، وإظهار عجزه، ويكون بالحجة والبرهان لا بمجرد الكلام، والنقد بلا دليل هدمٌ ليقين علم بشك.

يقول الشاطبي: "يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي، مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به، فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل" ^(٤).

- عند توجيه النقد لشخص ما لا تترك مشاعرك تتحكم بك، لأن المشاعر تمثل صوتاً غير عقلائي سوف يوقعك في الخطأ وبدلاً من توجيهه من تنقده بطريقة ودية سوف يأخذ موقفاً عكسياً قد يضايقه منك ولا يتقبل ما تقول. عندما تشعر أن ما يتحكم فيك هي مشاعرك تجنب تماماً كتابة ما تشعر به للشخص الآخر حتى لا تبدو أمامه في موقف ضعف أو سوء فهم.

^١ - سورة البقرة: آية ١١١

^٢ سورة الأنبياء آية: ٢٤

^٣ - سورة آل عمران آية: ٩٣

^٤ - الموافقات في أصول الشريعة؛ إبراهيم بن موسى اللخمي: أبو إسحاق الشاطبي؛ تحقيق: عبدالله الدراز، ج(٢)، ص (٥٦).

دار الفكر: بيروت،

الفصل السادس

تفنيذ الشبهات المثارة حول الشيخ كولن
وحركة الخدمة

الفصل السادس

تفنيد الشبهات المثارة حول الشيخ فتح الله كولن وحركة الخدمة

واشتمل على ثلاثة مباحث

- المبحث الأول : إقامة الشيخ فتح الله كولن في أمريكا .
- المبحث الثاني : موقف الشيخ فتح الله كولن وحركة الخدمة من قضايا العصر .
- المبحث الثالث : الشيخ فتح الله كولن ماله وما عليه .

توطئة

منهج الباحث في عرض التجربة مالها وما عليها:

أود ان أوضح المنهجية التي سلكتها في عرض الشبهات التي تثار حول حركة الخدمة وحول ممثلها ، الشيخ فتح الله كولن من خلال النقاط التالية :-

أولاً- التأكيد على أن موضوع البحث هو دراسة التجربة الإصلاحية للشيخ كولن دون الخوض في التدخلات السياسية القائمة لاسيما ، في الواقع التركي ، والذي يعنينا هو الجانب الإصلاحي ، والذي يُعد من أبرز جوانب الحركة وأكثره تأثيراً،

ولذا فقد حرصت على عرض ما يمس الجانب الإصلاحي - خدماً كان أو حركياً ، أو فكرياً.

ثانياً - يدور هذا البحث في مجمله حول ثلاثة محاور كما ذكرت سابقاً في التمهيد والمقدمة

محور الشخص ٠٠٠ محور الفكرة ٠٠٠ محور الحركة

غير أنني لا أزعم الإحاطة بجميع فكر الشيخ كولن ، أو استقصاء جميع مجالات الحركة وأنشطتها ، وبالتالي فلا مجال لاستقصاء ما يقال عن الخدمة وعن الشيخ كولن قدحاً أو مدحاً ، بل سأقتصر على ما يمس هذه المحاور الثلاثة ، التي ارتكز البحث عليها .

غير أن هذه المحاور الثلاثة متداخلة وليست منفصلة ، بمعنى أنه في كثير من الأحيان يصعب على الباحث أن يميز بين فكر الشيخ كولن ، وبين الحركة التي استلهمت من أفكاره ، فكثيراً ما يتداخل ما هو متصل بشخص الشيخ كولن ، بما هو متعلق بفكر الحركة ، هذا بالطبع فيما يتصل بفكر الحركة من ناحية استلهام الأفكار وتنزيلها على أرض الواقع ، أما في الآليات التنفيذية للحركة فإن مؤسسات الحركة لا تعتبر مجرد أداة لنشر فكر الشيخ ، بل هي مؤسسات متخصصة تدار بحرفية لا علاقة لها بشخص بعينه ، وقد سبق أن ذكرت هذا فيما يتعلق بالمدارس كمؤسسات تربوية ، فمؤسسات الخدمة التربوية والاقتصادية والخيرية تعمل باستلهام من فكر الشيخ كولن الذي يعمل على نهضة المجتمع والأمة من خلال هذه المؤسسات الإصلاحية التربوية ، وليست هذه المؤسسات أداة لنشر فكر الشيخ كولن ، أو ترويجاً لحركة "الخدمة" ف"الخدمة" فكرة تتحول إلى مؤسسات ، وليست تياراً سياسياً يسعى إلى اجتذاب المؤيدين والمناصرين أو تكثير عددهم .

ثالثاً- أود الإشارة إلى أن رؤية الشيخ كولن الإصلاحية ليست رؤية قُطريّة ، بمعنى أنها ليست مقيدة بقيود الحدود الجغرافية ، فهي لم تتحدد بنسبتها إلى بلد معين كتركيا مثلاً أو إلى قطرٍ محدد ، بل هي تجربة إصلاحية عابرة للحدود، على هذا برهن وجود وانتشار وتمركز مدارس الحركة في أكثر من مائة وستين دولة على مستوى العالم فهل يمكن اعتبار هذه التجربة وحركتها ، تجربة ذات حدود جغرافية؟!!

رابعاً- اكتفيت بذكر القضايا التي تُعرض باعتبارها لائحة اتهامات للشيخ كولن فلم أتعرض لذكر أشخاص ، أو أحزاب أو جماعات أو هيئات ، وإنما اكتفيتُ بذكر القضية المطروحة ، أو الشبهة المعروضة بغض النظر عن قائلها أو من يثيرها وينشرها.

خامساً- ذكرت ما ورد من إجابات وردود ودفع الشبهات من كلام الشيخ كولن أو من كتاباته وحواراته ، أو من مواعظه وخطبه أو رسائله ومخاطباته .

سادساً- ذكرتُ رأيي المتواضع في القضايا المطروحة ، من خلال رؤية الشيخ كولن الإصلاحية ، ومن خلال متابعتي لما يُقال عن الخدمة وعن شيخها .

المبحث الأول

إقامة الشيخ فتح الله كولن في أمريكا

من الأمور التي يأخذها الكثيرون سبباً لاتهامات كثيرة حول الشيخ كولن وحول حركة الخدمة ، إقامة الشيخ كولن في ولاية " بنسلفانيا" ^(١) بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٩٩م، وما يستدعيه هذا في الأذهان من التفكير بطريقة تجعل من اتهامه بالتآمر على وطنه قضية ذات منطوق ووجهة.....

وعلى الرغم من أن هذه القضية قضية شخصية تتعلق بالرجل ' إلا أن تعلقها بشخص يتبع فكره الكثيرون من تركيا والعالم ، يجعلنا نقف حول هذه الشبهة ونفندها ، ونضعها في الميزان.

"في عام ١٩٩٧م ، تعرضت تركيا لعاصفة سياسية رهيبية ، وصارت الحياة داخل تركيا جحيماً لا يطاق ، وغادر تركيا بعض العلماء والدعاة ، وفتحت المحاكم ضد آخرين ، وامتدت سلاسل الاعتقال إلى كثيرٍ من نشطاء العمل الإسلامي في مختلف الاتجاهات ، أما خدمات فتح الله كولن ، فقد حُوصرت في كل مكان، ومن كل الجهات وكثُر التفتيش على المدارس التي حث على إنشائها وعلى سائر المؤسسات الأخرى" ^(٢).

في هذه الفترة الحرجة ، أصبح شخص فتح الله كولن مستهدفاً فأوصاه بعض المقربين إليه أن يغادر تركيا إلى حين.

" سافر الشيخ كولن إلى أمريكا بقصد العلاج عام (١٩٩٧م) وبقي هناك لمدة سبعة أشهر، فلما شعر بنوع من الانفراج في الحياة السياسية؛ عاد إلى وطنه لكن هذه المرة صار الرجل

^١ - تعتبر بنسلفانيا واحدة من الولايات الأربعة التي تقع على أراضي الولايات المتحدة الأمريكية والتي تسمى بالكومنولث، وهذه الولاية هي ولاية الحجر الأساس، وهذا هو الاسم الذي يطلق عليها. تقع ولاية بنسلفانيا في القسم الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تحدها من جهة الشمال ولاية نيو جيرسي أما من جهة الغرب فتقع ولاية أوهايو، في حين تحدها من الجهة الشمالية نيويورك، ومن الجهة الجنوبية هناك ولاية فرجينيا الغربية. تشتهر ولاية بنسلفانيا بأنها المكان الأول في العام الذي حفرت البئر النفطية الأولى على أرضيه. وكان ذلك في العام ١٨٥٨ من الميلاد. تقدر مساحة هذه الولاية بحوالي ١١٩ ألف كيلو متراً مربعاً، أما بالنسبة لعدد السكان في هذه الدولة فيقدر تقريباً بحوالي ١٢ مليون و ٣٠٠ الف نسمة تقريباً.(المصدر: المعجم الكبير ، ج ٢ ، حرف الباء، ص٢٣٥، ط١ ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٨٠م)

^٢ - مواقف في زمن المحن ، حوارات إعلامية مع فتح الله كولن ، نوزاد صواش ، ترجمة صابر المشرفي ، ص٢١٩، ط١، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة ٢٠١٧م.

مهذباً بما يقضي على حياته نهائياً، ربما باغتيال ، أو بإعدام كما وقع من قبل لعدد من الزعماء السياسيين والعلماء الدينيين ، فخرج من البلد لأجل السفر للعلاج في الواحد والعشرين من شهر مارس من سنة ١٩٩٩م ، لكنه هذه المرة خرج ولم يعد"^(١)

هذا ما حدث ، فلماذا امتدت إقامته هناك ؟، ولماذا لم يعد إلى وطنه حين تيسر الرجوع؟

وأود أن أشير إلى أنه كانت "هناك دعوات كثيرة وجّهت إلى الشيخ كولن من قبل رجال الدولة - بعد استقرار الأوضاع داخل تركيا - ليعود إلى وطنه ، منها دعوة رئيس الوزراء في الحفل الختامي لأولبياد اللغة التركية لعام ٢٠١٢م ، حيث قال في ختام حديثه : "الغربة حرقة ، والحرقة ثمنها باهظ، وتكلفتها ثقيلة جداً والذين يتحرّقون شوقاً لهذا الوطن، نريد أن نراهم بيننا ، نريد لهذه الغربة أن تنتهي "^(٢)

وحين وُجّهت هذه الدعوة إلى فتح الله كولن كان رده : " لقد عبر رئيس الوزراء وغيره من رجال الدولة عن شهاتهم وأصالتهم ، التي تليق بهم ، غير أن ما أقوله ربما يكون غير لائق ، فأنا رجل لا أهل ولا ولد ولا زوجة لي في هذا البلد ولا امتلك حجراً واحداً فيها ، وليس لي أي حب أو هيام تجاه عرض دنوي ، الشيء الوحيد الذي أردته هو أن يرفرف الاسم المحمدي في سماء تركيا وما أظني أني فعلت شيئاً يذكر تجاه هذه القضية ، وبالنسبة للدعوة الموجهة إليّ ، فارجوا ألاّ تندلع مشكلات جديدة أو تضيع بعض المكاسب الدعوية التي قدمها أبناء الحركة ، فإذا كانت عودتي لتركيا تتسبب ولو بنسبة واحد بالمائة ، فإنني أفضل البقاء في الغربة - على ما فيها من صعاب وآلام - على أن أتسبب في شيء من هذا إكراماً لوطني ولأمتي ، ولخدماتكم الجليلة ، كي لا يصاب أحدٌ بضرر بسببي." ^(٣)

وفي سؤالٍ وُجّه إلى الشيخ كولن، في حوارٍ له مع جريدة " لاريوبلكيا " الإيطالية حول إقامته في هذا المنفى الاختياري كانت إجابته : " أشعر بأن بقائي هنا أفضل من الناحية الصحيّة ، وأخشى من أن تستغلّ بعض الأوساط عودتي إلى تركيا وتتخذها ذريعة لرفع حدة التوتّر السائدة حالياً إلى أسوأ ممّا هي عليه الآن، ولقد تعرضتُ لمضايقاتٍ قضائيّةٍ - إن جاز التعبير - كثيرة عقب

١ - عودة الفرسان ، فريد الأنصاري ، ص ٣٢٩ ، ط ٥ ، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ٢٠١٤م .

٢ - حديث متلفز لاحتفالية أولبياد اللغة التركية لعام ٢٠١٢م وقد ترجم هذا الحديث ونشر في جريدة زمان التركية .

٣ - قناة مجلة حراء على موقع اليوتيوب . تاريخ الزيارة - ١٢-٥-٢٠١٥م .

انقلاب الثامن والعشرين من فبراير ١٩٩٧ م^(١)، على يد السلطات القضائية التي كانت تعمل بتوجيه من السلطات العسكرية، إثر تعرّضني أيضاً لافتراءاتٍ وحملات تشويهٍ ممنهجةٍ عبر وسائل الإعلام، وقد ثبت قضائياً أن تلك الاتّهامات باطلةٌ لا أصل لها ولا سند ولا دليل، وللأسف الشديد؛ تُوجّه اليوم أيضاً أنواعٌ شتى من الاتّهامات والافتراءات عبر وسائل الإعلام، وتُشنُّ حملةً تشويهيّةً ضديّ؛ وفي مثل هذه الظروف أفضلُ البقاء هنا نزولاً على نصيحة الأطباء^(٢).

ثم يقول الشيخ كولن: " لو علمتُ أن موتي سيكون حلاً لما تعرّض له تركيا من مشاكل؛ لاخترتُ أن أموت في اليوم ألف مرّة، وإنني لأفضّلُ البقاء هنا، وأن أكبتَ أشواقي إلى وطني وأدفنها في أعماق قلبي؛ لكيلا أعطي مبرراً لمن يريدون اغتيال أمن تركيا وسلامها واستقرارها"^(٣).
وقد رأيت أن أعرض هذه القضية لتعلقها بشخص الشيخ كولن، ولكونها - كما رأيتُ وسمعتُ - من أكثر الاتّهامات التي تلوكها الألسنة، وبعد عرضها أريد أن أخلص رأبي فيها من خلال النقاط التالية :-

أولاً- من حيث المبدأ أرى على حد علمي وقصر فهمي، أن إقامة شخص ما في مكان ما مسألة تخصه - وحده دون سواه، وأن إقامة مسلمٍ - وإن علا شأنه - في بلدٍ كالولايات المتحدة الأمريكية لا يطعن في دينه ولا يجيز لأحد النيل منه لهذا السبب .

ثانياً- من خلال استقراء ما يستنبطه بعض المثقفين من إقامة الشيخ كولن في أمريكا منذ سنوات، وما يفسرون به هذه الإقامة من اتهامات العمالة والمؤامرة، أرى أن هناك نوعاً من مبالغات لا تتناسب مع تاريخ الرجل، ولا مع إنجازاته الدعوية ولا تتسق مع خطابه الديني، إضافةً إلى أن أحداً لم يستطع إثبات هذه الاتّهامات قضائياً، كما أن إقامة الشيخ في أمريكا ليست وليدة اللحظة، فمنذ عام ١٩٩٩ م وهو يقيم هناك فلماذا لم تظهر هذه الاتّهامات إلا في الآونة الأخيرة؟؟؟؟!!!

^١ - في ٢٨ فبراير ١٩٩٧ م، ساد التوتر في الشارع التركي، وتمت الإطاحة بحكومة نجم الدين أربكان من خلا عدة قرارات، تهدف إلى الحفاظ على علمانية الدولة من خلال وقف نشاط الطرق الصوفية وإغلاق المدارس الإسلامية .

^٢ - حوار أجراه الصحفي الإيطالي (Ansaldo Marco) مع الأستاذ فتح الله كولن، نشر في الجريدة الإيطالية (La Repubblica) (الجمهورية) في تاريخ ٢٨ آذار/مارس ٢٠١٤ م، وقد نشر هذا الحوار في عدة مواقع إلكترونية ، وجمع مؤخراً في كتاب " كلمات شاهدة " ص-١٢٩، ط١، دار النيل .

^٣ - مرجع سابق ، نفس الصفحة .

ثالثاً- على الرغم من هذا فمن وجهة نظري أرى أن الأسباب التي أعلنها فتح الله كولن تفسيراً لبقائه هناك ، ليست مقنعة تماماً وليست كافية لأن يظل رجلٌ في مكانته بعيداً عن وطنه دون إجبار من أحد.

رابعاً- وإذا كان الشيخ كولن يخشى خلال عودته من زيادة حدة التوتر ، فالواقع أن الإقامة هناك كانت سبباً من أسباب رفع وتيرة الاتهامات، وذلك لأن وجود الداعية في الميدان وسط تلاميذه أجدد بأن ترفع عنه اللائمة ويُسكت عنه الألسنة .

خامساً- غير أن الإنصاف يقتضي أن نشير إلى المقال الذي كتبه الشيخ كولن في صحيفة "لموند" الفرنسية ذكر فيه استعداده التام للعودة إلى تركيا ، في حين ثبوت التهم الموجهة إليه من قبل محكمة دولية محايدة.^(١)

سادساً- الجدير بالذكر أن تيار الخدمة يعمل في الولايات المتحدة في إطار أنشطة مدنية عديدة لخدمة الأتراك خصوصاً والمسلمين عموماً وتشير الإحصائيات إلى وجود أكثر من ثلاثين مدرسة في ولاية "تكساس" وحدها -على سبيل المثال -^(٢) ويمتلكون مؤسسة للترجمة وصلت أقسامها في عام (٢٠١٢ م) إلى اثنين وأربعين لغة ، وكجزء من نشاطهم العالمي ركزوا على الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى وصل عدد الأنشطة التي أقاموها فيها إلى مائة وثلاثين نشاطاً: منها بناء المدارس، وبجانب مؤسسات لحوارات الأديان والثقافات ومنتديات وصحف وقنوات فضائية ، وجمعيات خيرية وغيرها. وقد ذكر مسؤول الحوار في الولايات المتحدة بـ "تيار الخدمة" د. أحمد كورجان "نحن الآن نقطع الأشجار في أمريكا ، والجيل الذي سيأتي بعدنا هو الذي سيقوم هذا البناء!"^(٣)

سابعاً- ولنا في الأستاذ بديع الزمان النورسي -رحمه الله- المثل والقُدوة فهو أستاذ الشيخ كولن فمع كل ملاقاه من عنيت وإرهاق ، ومع تنقله بين المنافي والسجون ، لم يغادر تراب وطنه، ولم يتركه إلى غيره ، على الرغم من تقدمه في السن ، ومعاناته من الشيخوخة والمرض في كبره.

^١ - نشر هذا المقال في صحيفة لموند الفرنسية بتاريخ ١١-٨-٢٠١٦م وأعيد نشره في جريدة زمان التركية .

^٢ - باكينام الشرقاوي في محاضرة لها في إحدى الورش الفكرية عن فتح الله كولن في مدينة إسطنبول في شعبان ١٤٣٢هـ.

^٣ - العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، د. فؤاد البناء ص١٦٤، ط٣، ٢٠١٤م دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة .

المبحث الثاني

موقف فتح الله كولن وحركة الخدمة من قضايا العصر

توطئة:-

بدايةً أود أن أشير إلى أن ما قصّده بمفهوم "الحركة" في هذا المبحث، هو حركة متطوعي الخدمة في تطبيق أفكار الشيخ كولن على أرض الواقع، وليس ما يراد عند إطلاق كلمة "حركة"، فالمقصود هو الجانب التطبيقي من الفكرة ولم أتطرق إلى كل الجوانب، وإنما أقتصرْتُ على ما رأيتُ -على حد علمي- أن له علاقة واضحة ومباشرة بموضوع البحث، وأعني به ماله علاقة بنهضة المجتمع واصلاحه، ومن أبرزها التربية والتعليم، ونشر ثقافة الحوار، وهنا نتعرض إلى ما يقال عن هذه الحركة بهذا المفهوم، وما يثار حولها من شبهات، فإذا كانت هذه الحركة ليست تنظيمياً هرمياً، فهل انحرفت مؤسساتها التربوية والثقافية عن المسار الذي انتهجته لنفسها منذ البداية ونال استحسان الجميع؟ هذا هو الميزان الذي أردتُ أن أزن به هذه الحركة وفكرها الإصلاحي.

حركة الخدمة :

"هي جماعة إسلامية تنسب للحركة الصوفية، قام كولن بتشكيل نواتها الأولى أوائل عام ١٩٧٠ بمدينة إزمير، قبل أن تتوسع لتصبح حركة لها أتباعها داخل تركيا وخارجها. وتعتمد في مرجعيتها على الفكر والقائد معا، وأهم ما يميزها أنها اجتماعية وقومية، تركز على مسلمي تركيا وتزوي عن باقي الهويات الإسلامية، ولديها انفتاح على الغرب خاصة"^(١)

وتهتم حركة كولن بالدرجة الأولى بالتعليم وإنشاء المدارس بمختلف مستوياتها داخل وخارج تركيا، إضافةً لإنشاء مؤسسات اقتصادية وإعلامية وطبية وثقافية وإغائية، وتركز الجماعة على التعليم في جميع المستويات، ولها مدارس ومعاهد منتشرة في جميع القارات، كما أن لها أنشطة ثقافية تنتقد بها الجماعات الإسلامية الأخرى، كتلك التي تسمى "أولبياد اللغة التركية"، وهي

^١ - نظرة عامة على الحركات الإسلامية في تركيا وتجربة كولن، محمد أنس أركنه، مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة، الفترة ١٩-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩م ص ٢٩٧.

عبارة عن حفلات تقام في تركيا سنويا ويتسابق فيها طلاب مدارس الجماعة وطالباتها من مختلف دول العالم.

أولاً- لخصت الحديث عن منهجية حركة الشيخ كولن في نقطتين :-

١. لمحة تاريخية قصيرة عن تطور الحركة

٢. ميادين النشاط والمؤسسات والمنظمات التي تعتبر ضمن الحركة

❖ خلفية تاريخية لحركة الخدمة

"حركة كولن هي حركة المجتمع المدني . بدأت الحركة في مدينة أزمير كجماعة محلية لخدمة الطلاب والمعلمين وأولياء الأمور و أصحاب الأعمال استلهاما من العالم والواعظ التركي فتح الله كولن ، و لتسهيل الإشارة ، تسمى هذه الحركة في الغالب بحركة كولن ،خصوصًا من قبل العلماء الغربيين لان كولن هو المؤسس الرئيسي لهذه الحركة. و لكن اعضاء الحركة يطلقون عليها اسم "hizmet" الخدمة" ، أو خدمات المتطوعين . غير أن كولن يفضل أن يطلق عليها اسم " حركة البشر المتحددين حول القيم الإنسانية العالية"^(١)

نشأت الحركة في أواخر الستينيات من القرن العشرين، و على مدى أربعة عقود منذ ذلك الوقت نمت و تطورت الحركة لتصبح حركة تعليمية ثقافية دينية مع أعضاء يبلغ عددهم بالملايين، و تتألف الحركة من مئات المؤسسات والشركات و الجمعيات المهنية الرسمية وغير الرسمية وجمعيات مختلفة^(٢)

• **ميادين النشاط والمؤسسات والمنظمات التي أُسِّت من قبل أعضاء الحركة.**

"لقد أسس المشاركون في الحركة الذين استلهموا من كولن ومن خطبه و كتابته بعض المؤسسات التي نشطت في مجالات التعليم والإعلام و الرعاية الصحية والإغاثة في حالات الكوارث، وجميع هذه المؤسسات غير متمركزة في مكان واحد"^(٣)

^١ - مقال نشر على موقع الشيخ كولن من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بتاريخ ٢٢-٥-٢٠٠٩م

^٢ - مقال نشر على موقع الشيخ كولن من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بتاريخ ٢٢-٥-٢٠٠٩م.....بتصرف..

^٣ -نموذج الخدمة مثال راشد للمجتمع المدني، عبد المجيد بوشبكة، مقال صادر عن مجلة حراء، عدد٤٢، لعام ٢٠١٤م ، ص٢٤.

ولنوضح بعضاً منها على سبيل المثال :

- المؤسسات التعليمية: "على حسب بعض التقديرات ، تم إنشاء أكثر من ألف مؤسسة تعليمية من مرحلة الروضة الى المرحلة الثانوية، و تم انشاء مدارس ومراكز للدروس الخصوصية في جميع أنحاء العالم وذلك استلهاماً من افكار و حياة فتح الله كولن ."^(١)
 - المؤسسات الإعلامية : مثل الصحف والمجلات و التلفزيونات الوطنية والمحلية ومواقع الإنترنت وأجهزة الراديو.
 - الإغاثة في حالات الكوارث و المساعدات الإنسانية: وكان لمنظمة الإغاثة 'Kimse Yok Mu?' (بالعربي: الا يوجد أحد؟)، و التي تأسست بتشجيع من كولن ، دور فعال في تقديم المساعدات لضحايا الكوارث في جميع أنحاء العالم مثل ضحايا تسونامي في جنوب شرق آسيا والفيضانات في بنغلاديش و الزلازل في باكستان و بيرو و العنف العرقي و السياسي في دارفور . و قد تولت المنظمة إعادة بناء المدارس و عيادة طبية جديدة في دارفور^(٢).
 - الرعاية الصحية : مثل المستشفيات والخدمات الطبية.
 - الجمعيات المهنية : للموظفين و العمال.
 - جمعيات رجال الأعمال في البلدات الصغيرة والمدن الكبيرة.
- ثانياً- موقف حركة الخدمة من قضايا العصر :

من الاتهامات والشبهات التي تثار حول الشيخ كولن وحركة الخدمة ، موقفها من قضايا العصر ، بمعنى عدم التفاعل معها أو الانحياز إلى أعداء الأمة في هذه القضايا .

أين هم من قضايا المسلمين في العالم؟ أين هم من القضية الفلسطينية ؟

ألم ينتقد فتح الله كولن القائمين على سفينة أسطول الحرية أو " ماوي مرمرة"^(٣) التي خرجت من تركيا لتقدم العون إلى الفلسطينيين في قطاع غزة ؟ أين خدماتهم لإنقاذ المسلمين

١ - نموذج الخدمة مثال راشد للمجتمع المدني، عبد المجيد بوشبكة، مقال صادر عن مجلة حراء، عدد ٤٢٠٤، لعام ٢٠١٤م، ص ٢٤ .
 ٢ - نظرة عامة على الحركات الإسلامية في تركيا وتجربة كولن، محمد أنس أركنه، مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة، الفترة ١٩-٢١ أكتوبر -٢٠٠٩م ص ٢٩٧ .
 ٣ - أسطول الحرية :هو اعتداء عسكري قامت به القوات الإسرائيلية وأطلقت عليه اسم عملية نسيم البحر أو عملية رياح السماء مستهدفةً به نشطاء سلام على متن قوارب تابعة لأسطول الحرية. حيث اقتحمت قوات خاصة تابعة للبحرية الإسرائيلية فجر الاثنين

المستضعفين المرشدين في كل مكان؟ إلى غير ذلك من التهم والشبهات التي تثار ضدهم. وتتصاعد وتيرة الاتهامات في هذه المسألة لتصل إلى الاتهام بتأييد الكيان الصهيوني في القضية الفلسطينية .

وهناك قضيتان -على وجه التحديد- تُذكران في هذا السياق، هما: قضية أسطول الحرية وتصريحات كولن وقتها، وقضية الثورة السورية ومعارضته لحمل السلاح ضد النظام هناك . في قضية السفينة أشيع -حينها- في وسائل الإعلام أن كولن يقف مع الجانب الإسرائيلي ، وأنه يؤيد ما فعلته إسرائيل ، وحاول بعض المفكرين أن يشير إلى أن الخدمة تقف مع أعداء الأمة ضد شعبها وأمتها.

يقول الشيخ كولن : " إن الذين يحاولون إظهار الخدمة وكأنها موالية لإسرائيل ، أو كأنها تفضل إسرائيل على أمتها لا يمكن أن يأتوا بشيء يدل على ذلك ، أما قبولهم كـ"بشر، وإنسان"^(١) كما فعل فخر الإنسانية (ﷺ) فهذا موضوع آخر ولكنهم يُسندون ادعاءاتهم إلى سفينة "ماوي مرمرة" ، فعقب حوار أجريّ معي سألوني : ما تقييمكم للموضوع؟ قلت : "حبذا لو استخدمت الدبلوماسية إلى حدّها الأخير ولم يُلجأ إلى العنف ، لأن ذلك سيؤدي إلى مشكلات اجتماعية ومضاعفات أخرى "لأدري كيف رفعت الجريدة كلماتي إلى المانشيت ، فكانت التفسيرات في تركيا مختلفة ، أي كأنني وقفتُ إلى جانب آخرين ضد إخوتنا ، ولكن لا ، إنما أبديت قناعتني تلك حتى لا تحدث مشكلات أخرى ، ولو حدث الشيء نفسه اليوم لأبدت نفس الملاحظات ، في رأيي ينبغي أن تُستخدم الدبلوماسية حتى النهاية ، وينبغي أن لا يُدفع الناس إلى المواجهة لتسفك دماؤهم وتُزهق أرواحهم ، هذا ما أردت أن أقوله حينئذٍ ، وأعتقد أن إصااق تلك التهمة مرتبط بموقفنا ذاك."^(٢)

كبرى سفن القافلة "مافي مرمرة" التي تحمل ٥٨١ متضامناً من حركة غزة الحرة -معظمهم من الأتراك- داخل المياه الدولية، وقعت تلك الأحداث فجر يوم ٣١ مايو، ٢٠١٠ في المياه الدولية للبحر الأبيض المتوسط.

^١ - يشير الشيخ كولن هنا إلى بعض اللقاءات التي جمعت بينه وبين أحد حاخامات اليهود ويدعى :إسحاق ألاتون ، وهو حاخام مُعادٍ لإقامة دولة إسرائيل ، فهو على رغم أنه يهودي ، إلا أنه ضد الصهيونية وقيام دولة إسرائيل .

^٢ - حوار مع قناة بي بي سي BBC الفضائية ، أجرى الحوار تيم فرانكس ، وتوني يلديز في ٢٧-١-٢٠١٤م، وتم نشره في جريدة زمان التركية ، ونشر ضمن حوارات أخرى في كتاب كلمات شاهدة " ص١٠٨-١٠٩ .

أما في الشأن السوري: فللأستاذ كولن رأيي في الثورة السورية وغيرها من الثورات التي تحاول إسقاط الأنظمة الظالمة بالقوة والسلاح، ورأيه أن الهدم من دون خطة واضحة للبناء تخريب ودمار .

يقول: " للأسف، سوريا كلها تجد نفسها في طريق مسدود. وأظهرت التطورات أن الشهيد الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي^(١) كان محقاً في تقييمه للوضع، إذ كان يمثل نموذج الاعتدال السني والذي يمكن تلخيصه في مبدأ "أن أسوأ حكومة أفضل من الفوضى واللاحكومة" وأن هناك خطر الانزلاق نحو حرب أهلية لدى محاولة إسقاط حكومة فاسدة عندما تكون الظروف غير مواتية وعند انعدام التوازن في القوى. وعلى ما يبدو، كان البوطي يعلم بوجود حالة من انعدام التكافؤ بين الجانبين، وأن الجيش كان كلياً تحت سيطرة النخب الحاكمة على مدى السنوات الأربعين الماضية، وأنه لن يقف مع الغالبية. لقد نبّه البوطي في ضوء كل هذه الأمور إلى المخاطر المستقبلية.^(٢)

إن من يتابع المنهج الذي انطلقت الخدمة منه هي، كما يقول العلامة بديع الزمان سعيد النورسي، مواجهة الأعداء الثلاثة الكبار للأمة: **الجهل والفقر والفرقة**، وذلك من خلال مشاريع متوسطة وطويلة الأمد تدعم التعليم والعلوم والفنون والتجارة والديمقراطية والتسامح والحوار، فقد سعت الحركة منذ عقود لتحقيق ذلك من خلا للتأسيس المدارس والجامعات وإنشاء جمعيات خيرية واتحادات رجال الأعمال وفتح المؤسسات الإغاثية وتفعيل دور مراكز الحوار ووسائل الإعلام في استخدام لغة بناءة تُسهم في دعم التواصل والتحاور .

^١ - محمد سعيد رمضان البوطي (١٣٤٧ - ١٤٣٤ هـ / ١٩٢٩ - ٢٠١٣ م) عالم سوري متخصص في العلوم الإسلامية، ومن المرجعيات الدينية الهامة على مستوى العالم الإسلامي، حظي باحترام كبير من قبل العديد من كبار العلماء في العالم الإسلامي، اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم في دورتها الثامنة عام ٢٠٠٤ ليكون «شخصية العالم الإسلامي»، باعتباره «شخصية جمعت تحقيق العلماء وشهرة الأعلام، وصاحب فكر موسوعي»، واختاره المركز الإسلامي الملكي للدراسات الإستراتيجية في الأردن في المركز ٢٧ ضمن قائمة ضمت أكثر من ٥٠٠ شخصية إسلامية تأثيراً في العالم لعام ٢٠١٢. في فترة أحداث سوريا ٢٠١١-٢٠١٣ أصبحت مكانة البوطي في العالم الإسلامي مثاراً للجدل والخلاف بسبب موقفه الراض للثورة السورية، ودعمه لنظام الرئيس بشار الأسد، انتهت بتعرضه للاغتيال يوم ٢١ مارس ٢٠١٣، (المصدر: الشيخ البوطي سيرة ومسيرة. عاطف مصطفى، مجلة الازهر ص١١١، عدد، شهر صفر ١٤٣٨، يناير ٢٠١٧م، الجزء ٣، السنة ٨٩).

^٢ - حوار مع قناة بي بي سي BBC الفضائية، أجرى الحوار تيم فرانكس، وتوني يلديز في ٢٧-١-٢٠١٤م، وتم نشره في جريدة زمان التركية، ونشر ضمن حوارات أخرى في كتاب كلمات شاهدة " ص١٠٨-١٠٩.

وأخيراً أود الإشارة فيما يخص هذه القضية إلى نقطتين هامتين :-

الأولى: أن هذه التهم أثرت وعلبت واتهم بها رجال الإصلاح من قبل أوليست هي تهمة واحدة أتهم بها الامام أبو حامد الغزالي بسليته في مواجهة الاحتلال الصليبي!!... وأتهم بها الإمام محمد عبده بمولاته للإنجليز واحتفائه باللورد كرومر!!... لمجرد أن كلاً منهما كان له مشروعه الهادف إلى البناء من القاعدة ومواجهة المرض الحقيقي دون الاشتغال بالعرض الزائل_ الذي لاينبغي التقليل من أثره أو العزوف عن مواجهته^(١)

الثانية: لدى حركات الخدمة جمعية "هل من مغيث" والتي تأسست عام ٢٠٠٤م، في تركيا كجمعية غير هادفة للربح وقد ذكرتها بالتفصيل في الفصل الثاني والرابع وعقدت مقارنة بينها وبين الجمعية الشرعية في مصر .

يقول كولن: "في هذه المرحلة ماينبغي القيام به على المدى القريب هو إيجاد حلول سياسية عاجلة لإيقاف نزيف الدم الأمر الذي سيكون بمثابة إغاثة ولو جزئية للملايين الأبرياء الذين يتضررون مما يحدث"^(٢).

❖ تعقيب وتعليق

أولاً: في محاولة التعرف على موقف الأستاذ كولن وحركة الخدمة من قضايا وهموم العالم الإسلامي، أود أن أشير إلى أن الشيخ كولن أسس مشروعاً إصلاحياً ناجحاً، ركز في مشروعه على الفرد ثم الأسرة ثم ما يخص المجتمع، فقام بإنشاء بيوت الطلبة والتي آوى فيها المشردين بسبب النكبات والأزمات السياسية في دول شتى، وانشغل الشيخ كولن بقضايا مجتمعه على المستوى الخاص وقضايا الأمة على المستوى العام، ظهر هذا واضحاً في دعوته للحوار ونبذ كل ألوان وأشكال العنف وشرح تعاليم الإسلام السمحة التي تجمع الناس ولا تفرقهم .

ثانياً: تاريخ ونشاط الخدمة هو خير شاهد وأقوى دليل على تواجدها بين الناس وانشغالهم بهموم المجتمع، فقد أنشأوا جمعية غير ربحية تحت مسمى "هل من أحد؟". وقد سبق ذكرها في ثنايا البحث بالتفصيل .

^١ - عقبات في تاريخ المصلحين ، د. أحمد الهاشمي ، مجلة النبيان ، عدد ١٤٣ ، ص ٧١

^٢ - حوار مع جريدة الشرق الأوسط كلمات شاهدة ٢٤-مارس ٢٠١٤م ص ٤١.

المبحث الثالث

فتح الله كولن ماله وما عليه

أردت في هذا المبحث أن أعرض آراء الشيخ محمد فتح الله كولن، وآراء جماعته "حركة الخدمة" والشكوك والمخاوف التي تدار حول الشيخ أموراً لو ثبت صحتها لأودى بفكر الرجل وبخدمته وأقتلعتها من جذورها .

• أولاً- يتحدث بعض الأعداء عن أن أبناء الخدمة يصفون فتح الله كولن بـ"المهدي" أو "المسيح" وأنه يسكت عن هذا عمداً بل هناك من ينسب إلى كولن قوله عن نفسه أنه "تكلم مع الله" أو أنه "إمام الكائنات"

• ثانياً- الاتهام بمحاولة عمل كيان موازي للدولة وتحقيق أهداف سياسية.

أولاً:-

استطاعت هذه الاتهامات أن تكون صورة ذهنية لدى من يستمعون إليها ، لاسيما من لا يعرفون ولم يلتقوا بأحدٍ من أبناء الخدمة.

وفي رد هذه الفرية عن نفسه وعن تلاميذه ، يقول الشيخ كولن: " لقد درس عندي العشرات من الطلبة حتى الآن؛ وجميعهم يشهدون - على اعتبارهم يعرفونني عن كثب- أنني أعدُ القيام بمثل هذه الادعاءات كفراً وضلالاً، إنهم سمعوني عشرات المرات أقول : تعرفون أمي وأبي ، ألا يكفيكما أن نكون عباداً لله مخلصين ، كن بين الناس فرداً من الناس ، أضف إلى ذلك أنني ما رأيت عاقلاً يتوهم في نفسه رتبة أو مقاماً من هذا القبيل ، لا يقول مثل هذا الكلام إلا من حرم نعمة العقل ، ثم إنني اعتبرت هذا الاتهام نوعاً من أشنع الشتائم وأغلظ السباب كما أن الذين يديرون ألسنتهم بهذه الافتراءات لا يعون أنهم يسخرون من عقول هذه الأمة ، هنا أعود لأقول كما قال مولانا جلال الدين الرومي : أنا خادم القرآن ما حييت وغبار قدم النبي (ﷺ) ، وإذا نقل أحدُهم عني غير ذلك فإني أبرأ منه وأشكوه إلى الله " (١).

^١ - حوار الشيخ كولن مع جريدة زمان التركية ، حواره أكرم دومانلي ، رئيس تحرير جريدة زمان في عدة حلقات من ١٧-٢١ مارس -٢٠١٤ كلمات شاهدة ص٢٩ ، بدون طبعة .

وعن فرية اتهامه أنه يقول تكلمت مع الله أو حاورت ربي يقول كولن: "إنني أتعجب كيف يقولون هذه الافتراءات بهذه السهولة؟ ومن يدعي ذلك يعرف حق المعرفة حساسيتي تجاه هذا الأمر، والقرآن يقول بوضوح { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }"، إن أبسط معلومة إيمانية يمتلكها الإنسان تعلمه الأدب مع الله سبحانه وتعالى، ونحن نشأنا في بيئة كانت قلوب الرجال فيها ترتجف بسماع ذكر الله وتنحني إنكساراً وتذوب بإكبار للذات العلية، لذا لا يمكن أن تجدوا لا في هذه البيئة ولا في غيرها من يدعي مثل هذه الادعاءات البشعة أبداً.^(٣)

وعن الادعاء بأنه وصف نفسه بأنه "إمام الكائنات" فهو يرى أن هذا الاتهام لا يستحق الوقوف عنه أصلاً، فهو لا يرى أن أبناء الخدمة أتباعه، ولا لأحد من الناس، بل تربط بينهم وبينه روابط الأخوة الإيمانية وحسب.^(٤)

يقول الشيخ كولن: "يزداد عجبي وتأخذي الدهشة من أصحاب هذه العقول حين يتهمونني بأن أبناء الخدمة يلقبونني بـ"إمام الكائنات" فأني إنصاف وأي وجدان يمكن أن يقبل مثل هذا الزيف والبهتان، إنهم يدعون هيكلًا هرمياً للخدمة زائفاً وهمياً، لم يخطر ببالي قط، أيّ تلوث هذا الذي أصاب تلك العقول، وأيّ عفن أصاب تلك الأرواح؟! إنهم يصنعون مخططات وهمية وكأنهم يهزؤون بعقول الألاف بل ربما الملايين من الناس الذين ربطوا قلوبهم بأبناء هذه الخدمة المباركة فهؤلاء الذين يتحدثون عن بنية هرمية^(٥) إما أنهم لم يفهموا هؤلاء الأبطال أبداً. يقول الأستاذ النورسي - رحمه الله - : إن أساس مسلكنا هو الأخوة الإيمانية وإن الروابط التي تربطنا ببعضنا هي روابط الأخوة الحقيقية وليست

١ - سورة الشورى: آية ٥١.

٢ - حوار الشيخ كولن مع جريدة زمان التركية، حاوره أكرم دومانلي، رئيس تحرير جريدة زمان في عدة حلقات من ١٧-٢١ مارس - ٢٠١٤ كلمات شاهدة ص ٢٩، بدون طبعة.

٣ - حوار أجراه الباحث مع أحد ممثلي حركة الخدمة _ ٢٣-١-٢٠١٥م، بمقر دار النيل للنشر _ شارع ٩٠، القاهرة.

٤ - يريد أن يؤكد أن الخدمة ليست حركة تنظيمية، ذات بنية هرمية، تمنح لأصحابها المناصب والألقاب.

رابطة الأب مع الابن ولا علاقة الشيخ مع المرید، نعم إن الذين يعرفونني ، يعرفون جيداً أنني أعتبر الطالب الذي أدرسه زميل مُدارسه لي دائماً ولم أر نفسي أستاذاً عليه قط .^(١) والملاحظ لدى أبناء الحركة من خلال التعامل المباشر معهم أو من خلال المؤتمرات التي يتحدثون فيها عن فكر الشيخ وتجربته الإصلاحية والدعوية : توقيهم الشديد لشخصه ، وانبهارهم بفكره وآرائه الإصلاحية .

وفي لقاءٍ للباحث مع أحد من تتلمذوا مباشرةً على يد الشيخ كولن وهو الأستاذ يوسف الدمرداش ، في مركز دار النيل بالقاهرة سألته عن الذي يحزن الشيخ كولن ، وهل يتوقعون استمرار الحركة من بعده ؟ أجاب : " أنه لا شك أن الشيء الذي يحزن الشيخ : هي تلك التهم التي لا سند ولا أصل لها ، واجاب قائلاً: الشيخ كولن هو الشخصية المحورية في الخدمة ، بأفكاره وروحانيته وشخصيته الفذة ، وأنهم جميعاً سواء من تتلمذوا على يديه مباشرة أم لم تُتَّح لهم هذه الفرصة ، يعدون "تلاميذ" على فكره ، وهو بالنسبة إليهم القدوة والمعلم والمثال .

أما مسألة الاستمرار من عدمه ، فيؤكد لي الأستاذ يوسف أنه على الرغم من اشتراكه معي في التخوف من الانحراف ، وهو يستعيد بالله منه إلا أنهم ليسوا مشغولين بهذه القضية ، كل انشغالهم في العمل والخدمة ومحاوله ابتغاء وجه الله في كل طرفه عين ، أما مسألة الاستمرار من عدمه فهذا توفيق من الله يعطيه لمن يشاء وإذا رأى الله منا أننا أهلٌ لهذا التوفيق فسيمنحنا إياه ."^(٢)

❖ تعقيب وتعليق

لا شك أن هذه المسألة شغلت المجتمعات الإسلامية منذ القدم بطريقةٍ أو بأخرى وقد أسبغ استغلالها من قبل أصحاب النوايا السيئة ثم إن بعض الأوساط لفقوا مثل هذا إلى الأستاذ بديع الزمان النورسي كذلك ، واستغلوا التأويلات التي جاء بها في موضوع

^١ - حوار الشيخ كولن مع جريدة زمان التركية ، حاوره أكرم دومانلي ، رئيس تحرير جريدة زمان في عدة حلقات من ١٧-٢١ مارس - ٢٠١٤ كلمات شاهدة ص ٩٣ ، بدون طبعة .

^٢ - من لقاء للباحث مع الأستاذ يوسف الدمرداش " تركي الجنسية " من تلاميذ الشيخ كولن ، بمركز دار النيل بالقاهرة ، مارس ٢٠١٥ م

المهدي والمسيح أيما استغلال، وادّعوا - بهتاناً وزوراً - أنه - رحمه الله - كان يظن نفسه المهدي أو المسيح .

ولا شك أن مثل هذه الاتهامات لا يمكن أن تنسجم مع خطاب الشيخ كولن الدعوي ولا يمكن أن تستقيم مع تاريخه الفكري والحركي على السواء .
إن أيّ قارئٍ لفكر الرجل وكتابه أو مقالاته على مدى خمسين عاماً أو أكثر ، لا يجد أيّ أثرٍ لمثل هذه الافتراءات على الإطلاق .

إلا أن الإشكالية التي ينبغي الحديث عنها في مثل هذا المقام ، هو : أن الخدمة كحركة مجتمعية عالمية ، تتبنى منهج إحياء الأمة من جديد فلا ينبغي أن تمحور نفسها حول شخص مؤسسها ، ذلك أن الرجل مهما بلغت إمكانياته وقدراته ومواهبه - فإن تجربته الإصلاحية - تبقى محدودة بالنسبة إلى المجموع ، وهو الذي يدعوهم إلى هذا .

• ثانياً - الاتهام بمحاولة عمل كيان موازي للدولة وتحقيق أهداف سياسية .

اشتهر اتهام الخدمة بأنهم "كيان موازي" بمعنى أنهم دولة داخل الدولة ، وانهم يحاولون التسرب إلى مؤسسات الدولة من خلال أعضائهم في المؤسسات المختلفة ، والعقل المدبر لهذا كله هو الشيخ كولن .

والذين يطرحون هذه الرؤية عن كولن وحركته ، يقولون : تبرز لدى الحركة فكرة النفوذ و"التغلل" في أجهزة الدولة المختلفة دون رؤية واضحة أو أهداف محددة لمرحلة ما بعد التمكين الذي تتحدث عنه أديباتها ، وهم يرون أن الحركة تستخدم "التقية السياسية" وتجزئ لأعضائها التخلي عن بعض العبادات والشعائر لإخفاء هويتهم خشية أن يتم استبعادهم من أجهزة الدولة .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن للخدمة أهدافاً ظاهرية وأخرى باطنية ، وأنها تلعب السياسة في العلن ، لتتمكن منها في الخفاء .

■ وبدايةً فإنه يجدر بنا أن نراجع أولاً: موقف الشيخ كولن وحركته من السياسة بوجه عام ومن الحكم بوجه خاص .

ويمكن اختصار هذا الموقف في النقاط التالية :-

أولاً- يرفض كولن رفضاً قاطعاً اعتبار أن الإسلام أيولوجية سياسية ، بمعنى أن يتحول الإسلام كدين إلى برنامج سياسي يقول كولن : " إنني أرفض دائماً فكرة التعامل مع الدين باعتباره أيديولوجية سياسية كما أرى أن على المسلم أن يتصرف وفقاً للأخلاق الإسلامية سواء في البعد المدني والمجتمعي، أو في الشأن العام والمجال الإداري. أي يجب أن يلتزم بقيم الإسلام الأخلاقية في كل مكان وُجد فيه؛ فالسرقة والرشوة والنهب والكسب غير المشروع والكذب والنميمة والغيبة والزنا والانحطاط الأخلاقي... هي ذنوب وأمور غير شرعية في كل السياقات. ولا يمكن ارتكاب هذه المعاصي لأي غرض كان، سياسياً أو غيره، ولا يصح لأحد الإفتاء بارتكابها. " (١).

ثانياً- لا بد من التنويه بأن الخدمة منذ نشأتها لم تَسع إلى أي هدف سياسي، ولكنها سعت إلى خدمة الإنسان من خلال تنمية قدراته في المجالات التعليمية والاجتماعية والثقافية، واستثمرت كل وقتها وطاقتها في سبيل تحقيق هذه الغاية. وتصدت لحل المشكلات الاجتماعية انطلاقاً من الإنسان عن طريق التربية والتعليم.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ كولن : " لو كان لدينا أيّ هدف سياسي لظهرت بوادره خلال الأربعين أو الخمسين سنة الماضية كإنشاء حزب سياسي مثلاً. ولقد عُرض عليّ وعلى الكثير من إخواني -في أوقات مختلفة- العديد من المناصب السياسية، وتم رفضها جميعاً. ولقد كان بإمكان "الخدمة" - لو كان لديها طموحات سياسية- أن تؤسس حزباً سياسياً كما فعل الآخرون، وتستثمر الظروف المواتية عام ٢٠٠١م، في وقت كانت الأحزاب الأخرى تتهاوى واحدة تلو الأخرى... أو على الأقل لكان لها عدد لا بأس به من المؤيدين داخل الأحزاب السياسية التي حكمت في الماضي أو الحزب الذي يحكم الآن، ولكنها لم تفعل ولم ترغب في ذلك أيضاً" (٢).

ثالثاً- أن برنامج الخدمة وتقويمها الزمني لا يتحدّد وفق التغيرات الانتخابية والسياسية، بل يتحدّد حسب المشاريع التي تدور في فلك القواسم الإنسانية المشتركة. كذلك، فإن الحركة لا

١ - حوار مع جريدة الشرق الأوسط، فتح الله كولن، ١٤ - يناير - ٢٠١٦، ذكر هذا الحوار في كتاب - كلمات شاهدة-، ص ١٣٠.

٢ - كلمات شاهدة -، ص ١٣٢.

تتدخل في الشؤون الداخلية أو التطورات السياسية في أي بلد نهائياً، فحيثما تتجه تركّز جهدها على تنفيذ مشاريع مدنية تطوّعية في مجالات تعليمية وثقافية وإنسانية. ولكونها تتمسك بهذا المبدأ ولا تفرّط فيه، فهي اليوم تحظى بقبولٍ لأنشطتها في أكثر من مائة وستين بلداً حول العالم.^(١)

رابعاً- موقف الشيخ كولن من السياسة هو خير شاهد ودليل على بطلان ما نسب إليه وإلى حركته إذ يقول: " لا أتبنّى قناعة ممارسة السياسة باسم الدين، أو توظيف الدين لتحقيق مكاسب سياسية، أو ممارسة السياسة بشعارات دينية، وهذا لا يعني أنني أرى أن الانخراط في مجال السياسة أمر غير مشروع. فمع أننا لا نشارك في السياسة ولا نقوم بإنشاء حزب سياسي، لكن لا نرى منع أحد من القيام بذلك....."^(٢)

• ومع أن هذا رأيي الشيخ كولن فهو لا يمنع حركة الخدمة والقائمين عليها من المشاركة في العمل السياسي، فأفراد الخدمة باعتبارهم مواطنين يتمتعون بكافة حقوق المواطنة وواجباتها كان وما زال لهم مطالب من مؤسسات الدولة، شأنهم في ذلك شأن نظرائهم من المواطنين العاديين أو التربويين أو كل ناشط مجتمعي. وقد كانت هذه المطالب دائماً تدور في إطار القوانين المرعية وتُطلَب عبر السبل والطرق المشروعة. ولم يحاولوا ألبتة اللجوء إلى أي وسيلة غير قانونية أو غير أخلاقية لتحقيق هذه المطالب.

خامساً- دعوة الشيخ كولن المتكررة دائماً في خطبه وكتبه ودروسه، هي: "تجنب الصراع السياسي والأيدلوجي."^(٣)

وهو صاحب المقولة الشهيرة: الإرهابي لا يمكن أن يكون مسلماً ولا يمكن لمسلم حقيقي أن يكون إرهابياً^(٤).

١ - ضمن حوار أجراه الباحث مع أحد ممثلي الحركة حول هذا الاتهام. في مقر دار النيل للنشر بالقاهرة

٢ - كلمات شاهدة حول الدين والدولة والمجتمع بأفق إنساني..... مختصر ، ص-١٣١.

٣ - حركة فتح الله كولن: تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية متجذرة في الإسلام المستنير ، هيلين روز، ص-٢١٠.

٤ - مقال نشرتها " النيويورك تايمز " للأستاذ كولن في اليوم التالي لأحداث ١١- سبتمبر .

❖ تعقيب وتعليق

أولاً- لا ينبغي أن تحاكم التجربة الإصلاحية للشيخ كولن إلامن خلال ما أعلنه من أهدافها ومن خلال عشرات الكتب التي كتبها كولن وغيرها من الكتابات التي كتبها تلاميذه عنه وعن فكره ، والمؤتمرات المنعقدة عن فكره الإصلاحي وتجربته الدعوية ، فإن التجربة تبدوا واضحة للعيان تجربة دعوية خالصة ، لا علاقة لها بالتحزب السياسي .

ثانياً- من المعروف أن النشاط الأكبر لحركة الخدمة هو المجال التعليمي ، وانشاء المدارس وبيوت الطلاب ، ومن المشهور عن هذه المدارس - كما سبق أن بينت هذا بالتفصيل في الفصل الثالث- تفوق أبنائها وإحرازهم المراكز المتقدمة ، فهل حين يتفوق أبنائها ويتعينون في مناصب مرموقة من الدولة يقال أنهم قد تسربوا إلى مؤسسات الدولة - الذين هم جزء منها - ؟

ثالثاً- شهادة الكثير من العلماء لحركة الخدمة ، وللشيخ كولن :

"طورغوت أوزال" (رئيس الجمهورية الراحل/ تركيا من الفترة ٩ نوفمبر ١٩٨٩م حتى تاريخ وفاته في ١٧ أبريل ١٩٩٣م، وكان قبلها قد تولى رئاسة الوزراء بالفترة من ١٣ ديسمبر ١٩٨٣ إلى ٣١ أكتوبر ١٩٨٩).^(١)

"تجولت اليوم في ثانوية طشقند التركية في أوزبكستان، وأعجبتُ بها غاية الإعجاب، فلا يسعني إلا أن أقدم جزيل الشكر لكل من ساهم وحقق هذه الأمنية، إذ ستقوم هذه المؤسسات بتنشئة جيل يربط ربطاً وثيقاً بين البلدين، أوزبكستان وتركيا. ليرض الله عنهم جميعاً".
أ.د. أحمد الطيب (شيخ الأزهر - مصر - ضمن كلمته في المؤتمر المنعقد خلال الفترة ١٩ -

٢١- أكتوبر ٢٠٠٩م، حيث كان فضيلته رئيس جامعة الأزهر حينها)^(٢)

^١ - فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ، تأليف أرطغرول حكمة ، ترجمة خالد جمال عبد الناصر ، ص١٣٦، الطبعة الثانية دار النيل للطباعة والنشر القاهرة ٢٠١٤م.

^٢ - مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، خيرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية جامعة الدول العربية ، القاهرة ، من الفترة ١٩-٢١-٢٠٠٩م ، ص٥١٧.

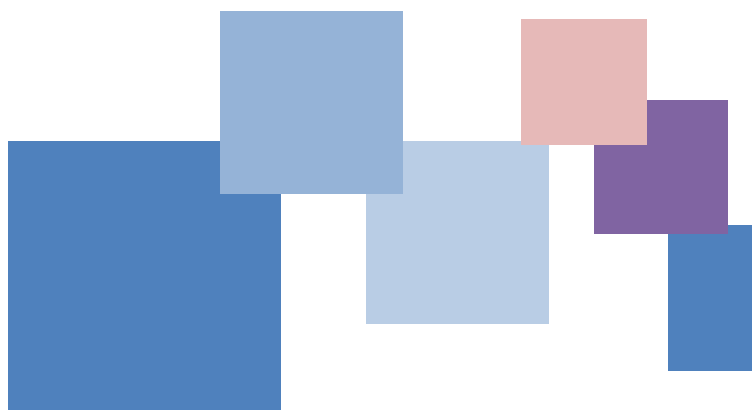
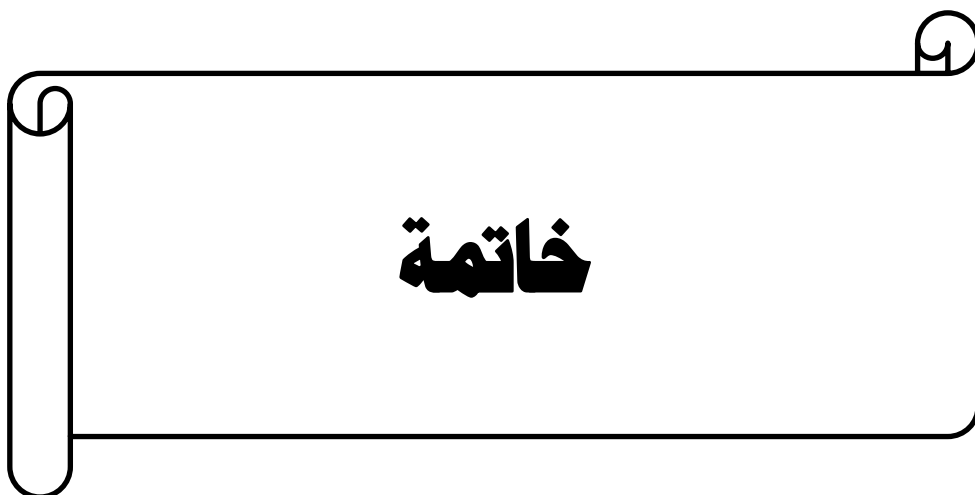
"الأمر الذي لا ريب فيه هو ضرورة التجديد، بحثاً عن الإجابة على أسئلة من قبيل "من نحن؟ ومن الآخر؟ وكيف نحاوره ونصمد أمامه؟" ولعل الباحث في حركة الأستاذ فتح الله كولن التركية، يجد المفتاح الضائع لهذه القضية المغلقة التي قد ضلَّ مفتاحها."

أ. د. محمد عمارة (المفكر والكاتب الإسلامي - مصر) ^(١)

"ما يحدث عادة هو أن الفكرة تتحول إلى شخص، وعندما يُضرب الشخص تسقط الفكرة وينتهي الأمر. على عكس ذلك، ما حدث عند الأستاذ فتح الله كولن هو أن الشخص تحول إلى فكرة.. فحركة.. فواقع.. فحركة مؤسسية في مختلف نواحي الحياة تقدم تصوراً صحيحاً للإسلام بجوانبه المتعددة العملية، وليس التجريدية."

وأخيراً... فإن تجربة الشيخ كولن الإصلاحية تبقى نموذجاً معروضاً أمام الجميع، قابلاً للأخذ والرد، ككتاب مفتوح يقرؤه الناس فيأخذون منه ويتركون، لكنها تظل تجربة إصلاحية فرضت نفسها على المجتمع المعاصر، فهي جديرة بالبحث والتأمل والدراسة الجادة.

^١ - مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية جامعة الدول العربية، القاهرة، من الفترة ١٩-٢١-٢٠٠٩م، ص٥١٧.



الخاتمة

أولاً: نتائج البحث

بعد هذه الجولة في فكر وآراء الشيخ كولن الإصلاحية ، يمكن إجمال النتائج التي توصل إليها الباحث فيما يلي :-

أولاً- الشيخ فتح الله كولن داعية ذو تجربة إصلاحية فريدة ، وصاحب مدرسة فكرية حضارية جديدة بالبحث والتأمل وإمعان النظر في معطياتها ، وكيفية الاستفادة منها ، فالرجل قد نذر حياته كلها في سبيل دعوته وفكرته .

ثانياً- شخصية الشيخ فتح الله كولن شخصية متعددة المعارف والمواهب ، فهو الخطيب المفوّه صاحب القدرة على التأثير في الجموع الكبيرة بالإضافة إلى مهارته في الحوار ، إلى جانب هذا فهو كاتب لا يتوقف قلمه ، ومؤلف ماهر يحتل المقام الأول في مجاله من خلال كتابته للمقال الرئيس في العديد من المجلات والصحف ، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب يزيد عددها عن ستين كتاباً ، وإلى جانب هذه الشخصية تبرز شخصية الأديب والشاعر ، وفوق كل ذلك فهو رجل تربية وتعليم وصاحب تجربة عميقة في هذا المجال .

ثالثاً- أن آراء الشيخ كولن الإصلاحية تنطلق في معالجتها لنهضة المجتمع والأمة ، من ثوابت الإسلام ، ونصوصه المعصومة من الخطأ والزلل ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما منصة الانطلاق في فكر الشيخ الإصلاحية .

رابعاً- تحتل مهمة التبليغ والإرشاد في فكر الشيخ كولن الإصلاحية مكاناً بارزاً ويعتبر الشيخ أن التبليغ هو غاية إرسال الرسل ، ولذلك فإن أهم وظيفة حياتية تقع على عاتق المسلمين هي تبليغ الناس رسالة الإسلام ، ومن خلال البحث يتضح تعدد وسائل التبليغ والإرشاد وتنوعه .

خامساً- للتجربة الصوفية مكانها ومكانتها البارزة ومحوريتها الشديدة في آراء الشيخ كولن الإصلاحية ، فيمكن اعتبار أن التصوف بمفهومه الصافي النقي البعيد عن الغلو والانحراف يعد من أهم ركائز الإصلاح في حياة الشيخ كولن .

سادساً- تنطلق تجربة الشيخ كولن الإصلاحية من التأثير في وجدان الإنسان انطلاقاً من قول الله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }^(١) ، هذا ما فطنه الشيخ كولن وأقام على أساسه مشروعه الحضاري الإصلاحية بحيث صار معلماً من معالم التغيير والإصلاح.

سابعاً- من أهم ما يميز مشروع كولن الإصلاحية عن غيره ، هو اتصال الأقوال بالأفعال ، أو انسجام الفكر مع الحركة ، بحيث يكون التطبيق معبراً عن النظرية ، وليس منفصلاً عنها ، لذا كان أهم دعائم هذا المشروع هو: حركية الفكر والفعل ، بمعنى العمل الدائم على استمرارية الفكر والحركة بهذا الفكر في آن واحد.

ثامناً- من أهم النتائج التي يمكن استلهاها من هذا البحث : الوقوف على أهم الأهداف التي يسعى لها كولن ومن ورائه حركة الخدمة ، ويمكن تركيز هذا الهدف في : إحياء الأمة ، وتعتبر القضية الكبرى التي تأتي في مقدمة الأولويات لدى الشيخ كولن ، ومن ورائه حركة الخدمة هي قضية إحياء الأمة وتحريك طاقتها نحو هذا الهدف .

تاسعاً- من النتائج المترتبة على هذا البحث : وصول الباحث إلى أن الكثير من التصنيفات التي توصف بها الحركات الإسلامية المعاصرة ، لا تنطبق على تجربة كولن ولا على حركة الخدمة ، فالحركة ليس فيها أعضاء ينتمون إليها كما ينتمي الأعضاء إلى الجمعيات ، لان الخدمة مجرد أفكار يقتنع الناس بها وينطلقون فيها أحراراً في كل ما يقومون به ، وتسميتها بالحركة هو من باب التقريب إلى الأذهان ، ومن قبيل كونها تجمعاً بشرياً يتحرك لهدف واحد.

عاشرًا- حركة الخدمة ، حركة دعوية خالصة باعتبارها أبرز تجليات الشيخ كولن الدعوية ، وهي حركة تقوم في الأساس على مبدأ الخدمة الإيمانية ، وتعتمد في هذا الصدد على التشارك في الأعمال ، والمؤسسية في الأفكار فكل فكرة لا تتحول إلى مؤسسة تقوم على تنفيذها فكرة ضائعة.

حادي عشر- من أبرز النتائج المترتبة على هذه الدراسة : التأكيد على محورية المشروع التعليمي والتربوي في فكر الشيخ كولن الإصلاحية ، ذلك أنه من الواضح للعيان أن قطاع التربية والتعليم هو القطاع الحيوي بالنسبة لـ "الخدمة" بل يمكن القول بأن التربية والتعليم هي المجال

^١ - سورة الرعد : آية ١١ .

الحيوي الذي تعرف به حركة " الخدمة " ولذلك يغلب على الشيخ كولن صفة " رجل التربية "، أو كونه مربيًا، والمدارس المنتشرة في أنحاء العالم خير دليل على هذا.

ثاني عشر - يتضح من الدراسة: أن المدرسة حاضرة في كل مراحل تكوين الخدمة ، وهنا لانقصد المدرسة بمفهومها المادي فقط ، ولكن نقصد المدرسة بمفهومها العام والمعنوي ، فالمدرسة بمفهومها المؤسسي أو المعنوي ظلت هي الإطار القوي الذي تتمحور حوله الخدمة ، فقد نتصور تحلي الخدمة بصفة عامة عن مؤسساتها أو أن تترك بعض المجالات، لكنها حتمًا لن تترك مؤسسة المدرسة فهي حاضرة بصورة مباشرة وغير مباشرة في كل محطات الخدمة .

ثالث عشر - نلاحظ تميز الشيخ كولن في مشروعات الخدمة التربوية، بين مهمة التربية ومهمة التعليم ، وذلك بجعل التربية أساسًا للتعليم .. لأن التعليم مسألة تقنية وباستطاعة كل الناس ممارسة التعليم لكن القادرين على التربية قلة ، ولذلك كانت التربية أسبق على التعليم ، لأنه إذا كان التعليم مسألة تقنيات ، فإن التربية هي البوصلة التي توجه التعليم وجهته الصحيحة .

رابع عشر - نجحت حركة الشيخ كولن بربط مناهج التعليم بالواقع المجتمعي المعاصر الذي يعيشه التلاميذ في مجتمعاتهم .

خامس عشر - نجحت حركة كولن في غرس القيم التربوية في مجالات عديدة، وقد كانت القيم الإيانية أكثرها وروداً في فكر الحركة التربوي ، وتليها القيم الأخلاقية، فالقيم الاجتماعية، ثم القيم السياسية والعسكرية وأقلها القيم الاقتصادية.

سادس عشر - تمثل القيم التربوية الإيانية الأساس التربوي لحركة كولن ، الذي تنبثق عنه كافة مجالات القيم التربوية الإسلامية الأخرى فهي تشملها وتتداخل معها في كثير من الأمور.

سابع عشر - كان للحوار دور بارز في نجاح وانتشار حركة كولن في العالم الغربي مما جعل للحركة أنشطة ومجالات متنوعة ومختلفة في العالم الغربي ، والفلسفة التي ينطلق منها كولن إلى الحوار البناء مع أهل الديانات الأخرى هي فلسفة التبليغ دون غيرها - لأنه - كما جاء في عدة مواضع من هذا البحث ، نجد أن قضية التبليغ هي القضية المحورية للمسلم في هذه الحياة ، فهو يحاورهم ليجلوا الصدا الذي تراكم عبر الممارسات الخاطئة والفجة على مفهوم الإسلام عند الغرب .

ثامن عشر - حركة الخدمة حركة إصلاحية دعوية، وليست ثورية، أي أنها تعترف بوجود إيجابيات كثيرة في المجتمع وتبني عليها ولا تسعى لإحداث تغير جذري وشامل للأوضاع، بشكل فجائي وفي ذات الوقت فإن عملية الإصلاح هذه تبدأ من الأساس وليس من القمة، ولذلك ليست لها أيّ اهتمامات سياسية، وإن كانت تدعو أفرادها إلى أن يكونوا إيجابيين في القضايا الرئيسية الهامة، وخاصة في الانتخابات، من دون تحنق أو تعصب، بحيث يختار كل فرد ما يراه مناسباً لمنطقته ووطنه وعمله الدعوي والحركي، بل ومصالحته الشخصية إذا كانت جزءاً من المصلحة العامة للمجتمع.

تاسع عشر - في مشروع الشيخ كولن الإصلاحي، نستطيع الوصول إلى نتيجة مهمة تتعلق بإيجابية الفكر والحركة، بمعنى عدم الوقوف عند نقد الآخرين وتفنيد سلبياتهم، بل بالاهتمام بطرح الحلول والبدائل التي يمكن تطبيقها، في ظل قيود الواقع ومعطياته الفعلي، ومن هنا اعتمدت الحركة سياسة تقوم على أن "تقديم البدائل أهم من انتقاد النواقص"، وأن "إضافة طريق جديد أجدى من المزاحمة على الطرق القديمة"، إنها إستراتيجية خلق الفرص البديلة أو الجديدة.

ثانياً: التوصيات

تجربة الشيخ كولن الإصلاحية تجربة ثرية، ونموذج يمكن الاستفادة منه في نهضة المجتمع والأمة من خلال العمل التربوي والعمل الدعوي، ولذا فإن الباحث يوصي في خاتمة بحثه بما يلي:-

أولاً- على المستوى الفردي، فإن الباحث يوصي نفسه وإخوانه من الدعاة إلى الله أن نتجرد لدعوتنا من كل غرض أو مصلحة، وأن يجعل الداعية من نفسه نموذجاً لدعوته.

ثانياً- يوصي الباحث بدراسة المدارس الإصلاحية والحركات الإسلامية في تاريخنا القديم والحديث في ضوء مستجدات العصر ومتطلباته وتحدياته الثقافية والحضارية، لعلنا نستخرج من خبرات السابقين ما ينير لنا طريق الدعوة والحركة في يومنا هذا.

ثالثاً- يوصي الباحث بالحركات الإصلاحية التي تعمل على نهضة المجتمع والأمة، أن تبدأ رحلتها من خلال بناء الإنسان، وأن تعتمد الإصلاح التحتي وليس الإصلاح الفوقي، وأن تدرك هذه الحركات أنه لا أمل في نهضة المجتمع والأمة، إلا من خلال زيادة الوعي بين أفرادها، ولا أمل في نهضة الأمة إلا من خلال ائتلاف شعوبها، وتوحدهم على هدف واحد.

رابعاً- وفي السياق ذاته: يوصي الباحث العاملين في الحقل الإسلامي أن يعملوا جاهدين على عدم التحزب السياسي، بحيث تكون دعوتهم لعموم المجتمع، دون أن يدخل الدعاة في منافسات حزبية تخصم من رصيدهم عند الناس، ولا تضيف لهم شيئاً ولا تكسب الدعوة منها أرضاً، وهذا الفصل بين ماهو دعوي وما هو سياسي لا يعني - على الإطلاق- النيل من شمولية الإسلام لجميع مناحي الحياة، وإنما هو فصل وظيفي فقط، فمجال الداعية يختلف عن مجال السياسي.

خامساً- يوصي الباحث الجمعيات الدعوية، التي تقدم خدمات ميدانية في مصر، مثل الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة المحمدية، بالتواصل مع حركة الخدمة، لتبادل الخبرات في العمل الميداني، لاسيما مع وجود الكثير من النقاط المشتركة في مجالات كثيرة بينها.

سادساً- وفي السياق ذاته: يوصي الباحث الإخوة الباحثين، بعمل دراسة مقارنة بين حركة الخدمة والجمعية الشرعية في مصر، فلدى الخدمة جمعية "هل من مغيث"، والتي تهتم بالطبقات

الفقيرة في مختلف أنحاء العالم ، وتشترك في الحملات الإغاثية للمنكوبين ، وأغلب الظن أن مقارنة كهذه سيكون لها نتائجها الجيدة كلا الجمعيتين .

سابعاً- يجب أن يسعى المربون إلى غرس القيم التربوية الإسلامية لدى النشء، من خلال المؤسسات التربوية الاجتماعية المختلفة بداية بالأسرة ومروراً بالمدرسة والمعهد والجامعة وانتهاء بالمسجد، وكذلك لا بد من العمل على ترسيخ القيم التربوية الإسلامية وتعميقها لدى المسلمين، وتصحيح المفاهيم العقائدية الخاطئة.

ثامناً- كذلك فإن من التوصيات الهامة ، ألا تقف الحدود الجغرافية ، أو الاختلافات السياسية عائقاً بيننا وبين دراسة التجارب الإسلامية ومشاريعها الإصلاحية في أيّ قطر من أقطار المسلمين ، فالحكمة ضالة المؤمن ، والأزهر الشريف هو منارة العلم في العالم الإسلامي ، وهو أولى من غيره بدراسة هذه التجارب في رحابه .

تاسعاً- من خلال مشروع الشيخ كولن الإصلاحية نرى أن التنوع في أساليب الدعوة ووسائلها من أهم الطرق للوصول إلى شرائح أكثر تنوعاً من المدعوين ، ولا يقف الأمر عند حدود الوسائل التقليدية ، مثل الدعوة والخطابة والكتابة ، والمحاضرة والدروس وغيرها -على أهميتها وضرورتها - ، بل تتنوع الوسائل الدعوية لتصل إلى حياة الناس اليومية ، عبر وسائل الإعلام بكل ما تقدمه من مواد مختلفة ومن خلال المؤسسات التربوية ، وبيوت الطلبة ، وصولاً إلى المؤسسات الخدمية والاقتصادية وغيرها ، مروراً بالتواجد الميداني ، والتواصل الشخصي عبر مؤسسات دعوية ، لاشبهه فيها ولا خلاف عليها.

عاشراً- يوصي الباحث بتبادل الخبرات الدعوية مع حركة الخدمة - لاسيما في المجال الثقافي والتربوي والتعليمي - ، وفي هذا الصدد يمكن عقد لقاءات حوارية ، ونقاشات فكرية ، ودراسات علمية بين قسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف، وبين مؤسسات الخدمة الثقافية في القاهرة ، فيستفيد أبناء الخدمة من توجيهات الأساتذة وخبراتهم الدعوية ، ويستفيد طلابنا من واقع الخدمة نموذجاً في الدعوة العملية ، والخبرة الميدانية ، على غرار مؤتمر تبادل الخبرات الذي تم عقده في القاهرة عام ٢٠٠٩م ، بمقر جامعة الدول العربية .

حادي عشر - على مؤسسات المجتمع المدني في مصر ، أن تهتم بقضية التعليم ، وجعله محورياً لنشاطهم ، بحيث تكون قضية التعليم قضية قومية ، ومهمة عاجلة ، وذلك بالتواصل الدائم مع مؤسسات الدولة التعليمية ، لحثها على تقديم خدمة تعليمية عالية المستوى ، فلا نهضة لبلدنا بدون تعليم قوي ، تتلاقى فيه الجودة العلمية والكفاءة التدريسية ، مع الاهتمام الرسمي والشعبي ، بتقديم الدعم الممكن للمدرس والمدرسة على السواء .

ثاني عشر - الاستفادة من تجربة الشيخ فتح الله كولن ، في الحوار الداخلي بين أطراف المجتمع المختلفة ، وفتح قنوات اتصال لتتقارب وجهات النظر حول القضايا الوطنية والدينية المشتركة ، وأن يشترك في هذا الحوار الداخلي كل أطراف المجتمع وتياراته السياسية والدينية والثقافية ، ويقترح الباحث أن يتولى الأزهر الشريف هذا الحوار باعتباره جهة محايدة تتمتع بثقة واحترام الجميع ، والمفترض فيها ألا تكون طرفاً في أي نزاع .



ملخص الرسالة

باللغة الإنجليزية



English Summary

In the name of Allah, Praise be to God, prayer and peace.

After

This is a study entitled

Mohammed Fathallah Kollen and his Reform Views

An analytical study

This study included an introduction, a preface and six chapters I spoke in the introduction about: the importance of the subject, the reasons for its selection, and the questions of study.

In the introduction to some important terms and vocabulary require to stand at a little, to clarify the intended meaning, namely:

First: A brief overview of the life of Sheikh Fathallah Kolin.

Second: What is meant by Sheikh reformist views?

Third: the concept of reform in the thought of Sheikh Kolin.

Fourth: Sheikh Fathallah Kolin and his reformist views in chronological order.

Then I dealt with in the first chapter: the definition of Fathallah Kolin.

In the second chapter: pillars of reform at Fathallah Kolin

In the third chapter: means of reform at Fathallah Kolin

In the fourth chapter: the practical approach at Fathallah Kolin

In Chapter five: Kolin reform obstacles and how to overcome them

In the sixth chapter: the approach of Fathallah Kolin reformist and his position on the issues of his time in the balance

The importance of the topic can be summarized as follows:

1. The researcher's desire to give a contemporary picture of the reform approach adopted by the world Mohammed Fathallah Kolin by presenting his method and means of dialogue with the West, and in the presentation of Islam in its contemporary form that makes it can coexist with the other in the era of globalization.
2. A historical presentation of the march of this Islamic preacher in Turkey, and the achievements of good results reflected on the Muslims in their behavior and transactions according to the correct approach of Islam.

The idea of research revolves around three axes:

- **The first axis:**

Fathallah Kolin Sheikh and service: which is to identify the features of the biography of Sheikh Fathallah Kolin and the features of his thought and vision, with reference to the experience of the reform movements in Turkey and the position of Islam.

- **The second axis:**

The areas of work and experience of practice from local to global: It is the section that reviews the activities of the Sheikh Fathallah Kolen movement, which revolves around three main areas of work: "Education, dialogue and resistance to poverty. This movement was characterized by exceeding the geographical borders and the regional homeland, Sixty States.

- **Third Axis:**

Certificates from the reality of the recognition of thought and service, which is the axis that presents realistic live testimonies that monitor the movement in its movement and the vision of Sheikh Colin if applied on the ground.

**Ask the Almighty to benefit me and benefit the Muslims,
and pray to our Lord Muhammad Sadiq the promise of the
Secretary and his family and companions and peace.**



قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: كتب السنة النبوية المطهرة.

١. الجامع المسند الصحيح، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الطبعة الأولى ، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ
٢. الزهد الكبير، للإمام أبو بكر البيهقي ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٩٦م.
٣. سنن الإمام أبي داود، للإمام أبي داود السجستاني ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، الطبعة الأولى مكتبة دار الرسالة العالمية ، ٢٠٠٩م
٤. سنن الإمام الترمذي ، للإمام محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق ، أحمد محمد شاکر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض ، مكتبة الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م.
٥. سنن الإمام ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، عبد اللطيف حرز الله، الطبعة الأولى ، دار الرسالة العالمية ٢٠٠٩م.
٦. شعب الإيمان، للإمام البيهقي ، تحقيق :د.عبد العلي عبد الحميد حامد ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ٢٠٠٣م.
٧. المستدرک علی الصحیحین ، للإمام أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ، دار الكتب بيروت ١٩٩٠م.
٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت. المعجم الكبير، للإمام أبي القاسم الطبراني ، تحقيق حمدي عبد المحسن ، الطبعة الثانية ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ١٩٩٤م.

ثانياً- كتب التفسير.

١. تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ ابن كثير ، تحقيق د. كمال علي علي الجمل ، ط ١ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٩٩٨ م.
٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: ٦٧١)، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت عام ١٤٢٧ هـ، بتحقيق الدكتور عبدالله التركي.

ثالثاً - مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن.

١. الاستقامة في العمل والدعوة ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٥ م
٢. التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ، فتح الله كولن ، الطبعة الرابعة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢ م
٣. أسئلة العصر المحيرة ، فتح الله كولن ، الطبعة الرابعة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢ م
٤. أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، الطبعة السادسة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٣ م
٥. ترانيم روح وأشجان قلب ، فتح الله كولن ، الطبعة الخامسة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٠ م
٦. حقيقة الخلقة ونظرية التطور ، فتح الله كولن ، الطبعة الخامسة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١١ م
٧. الرد على شبهات العصر من سلسلة أسئلة العصر المحيرة ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٥ م
٨. روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، الطبعة السابعة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢ م
٩. شد الرحال إلى غاية سامية ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٤ م
١٠. طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، الطبعة السابعة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٤ م
١١. عقبات في سبيل الحق ، فتح الله كولن ، "١" ، دار النيل للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م.
١٢. القدر في ضوء الكتاب والسنة ، فتح الله كولن ، الطبعة السابعة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢ م
١٣. كلمات شاهدة حول الدين والمجتمع والدولة بافق انساني ، حوارات مع فتح الله كولن ، الطبعة الأولى دار النيل للنشر القاهرة ٢٠١٤ م.

١٤. الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن ، الطبعة السابعة ، دار النيل ، القاهرة، ٢٠١٢م
١٥. نحو عقيدة صحيحة من سلسلة أسئلة العصر المحيرة، فتح الله كولن ، الطبعة الثالثة ، دار النيل ، القاهرة، ٢٠١٤م
١٦. نفخة البعث : شواهد الحياة بعد الموت ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى دار النيل للنشر القاهرة ٢٠١٦م.
١٧. النور الخالد محمد(ﷺ)مفخرة الإنسانية ، فتح الله كولن ، الطبعة السابعة ، دار النيل ، القاهرة، ٢٠١٢م
١٨. ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن ، الطبعة الثانية ، دار النيل ، القاهرة، ٢٠١٣م.
١٩. ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن ، الطبعة السادسة ، دار النيل ٢٠١٢م.
- رابعاً- دراسات عن الشيخ كولن وحركة الخدمة .**
١. أرباب المستوى، حضور معرفي في فكر الأستاذ فتح الله كولن ، د. محمد بابا عمي ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٢م.
٢. أشواق النهضة والانبعث الحضاري قراءات في مشروع فتح الله كولن ، محمد جكيب ، ط١، ٢٠١٣م.
٣. إلى جبل قاف : قصص واقعية ، أديب إبراهيم الدباغ ، نور الدين صواش ، ط١، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١١م.
٤. الانبعث الحضاري في فكر فتح الله كولن ، سليمان عشراقي، ط١، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢م.
٥. البراديم كولن ، فتح الله كولن ومشروع الخدمة ، على ضوء نموذج الرشد ، د. محمد بابا عمي ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١١م.
٦. الأفق التربوي في بناء ال
٧. تقارب الشعوب ، دعوة المفكر فتح الله كولن نموذجاً ، د. هدى درويش ، ط١، دار السلام ، ٢٠١٠م.

٨. تجديد الفكر الديني .محمد فتح الله كولن
٩. حركة فتح الله كولن ، تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية متجذرة في الإسلام المعتدل ، هيلين روز أبيو ، ترجمة عبد الرحمن أبو ذكري ، ط١ ، تنوير للنشر والإعلام ، القاهرة ، ٢٠١٥م.
١٠. حركة كولن خدمة مدنية بلا حدود ، د. محمد شاتين ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٠م.
١١. الخدمة ، د محمد شاتين ، ط١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١١م.
١٢. ذي قربتي، مقالات وخواطر وقصص من واقع الخدمة ، د.محمد بابا عمي، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣م.
١٣. رجال ولا كأي رجال ، د. فريد الأنصاري ، ط١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣م.
١٤. الزمن والوقت ،نصوص ومفاهيم مؤسسة على الرؤية الكونية لفكر الأستاذ فتح الله كولن ، محمد بابا عمي ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣م
١٥. السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن ، د. ساري توبراك ، ط١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٤م
١٦. الضاربون في الأرض ، أديب ابراهيم الدباغ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢م.
١٧. عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، فؤاد البنا ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٢م
١٨. العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن ، د.فؤاد البنا ٢٠١٣م.
١٩. عودة الفرسان، سيرة محمد فتح الله كولن رائدالفرسان القادمين من وراء الغيب ، أ.د.فريد الأنصاري ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٠م
٢٠. فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ، محمد أنس أركنه ، ط١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٠م.
٢١. فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة .

٢٢. فتح الله كولن الرؤية والتأثير، تجربة فاعلة في المجتمع المدني، ط١، دار النيل، القاهرة ٢٠١٠م.، ط١، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.
٢٣. فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، أرطغول حكمة، ط١، دار النيل القاهرة، ٢٠١٣م.
٢٤. فتح الله كولن، ومقومات مشروعه الحضاري، علي أونال، ط١، دار النيل، القاهرة ٢٠١٦م.
٢٥. محاورات حضارية، حوارات نصية بين كولن وفلاسفة الفكر الإنساني، جيل كارول، ط١، دار النيل، القاهرة ٢٠١١م.
٢٦. مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، مؤتمر دولي أقيم في القاهرة من الفترة (١٩-٢١-٢٠٠٩)، دار النيل، القاهرة ٢٠١٠م.
٢٧. مكافحة الفقر... حلركة فتح الله كولن نموذجاً
٢٨. ميادين الاصلاح في مشروع الشيخ كولن الحضاري.
٢٩. نحو تنوير إسلامي: حركة فتح الله كولن، حاقان يافوز، منتدى العلاقات العربية والدولية، الطبعة الأولى، الدوحة ٢٠١٥م.
٣٠. هندسة الحضارة، د. سليمان عشراقي، ط١، دار النيل، القاهرة ٢٠١٢م.
- خامساً- مراجع أخرى.**
١. أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، د. طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٣، دار السلام، ٢٠٠٧.
٢. ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، د. عبد الحليم عويس، ط١، دار الصحوة القاهرة، ٢٠١٠م.
٣. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الغد العربي، المنصورة ٢٠١١م.
٤. أربكان ودوره في السياسة التركية، منال الصالح، ط١، الدار العربية للعلوم ٢٠١٢م.
٥. إسلام بلا مذاهب، د. مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية .

٦. الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفتش، ط٦، دار الشروق ٢٠١٥م.
٧. إشراقات قلب ولمعات فكر: النورسي أديباً، أديب إبراهيم الدباغ، دار النيل القاهرة ٢٠١١م.
٨. إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، د. طه جابر العلواني، سلسلة إسلامية المعرفة، ط١، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض ١٩٩٤.
٩. الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق، د. محمد عمارة، ج١، دار الشروق، القاهرة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة.
١٠. الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد، ط٢، دار السلام القاهرة، ١٩٧٣م.
١١. الإنسان كلاً وعدلاً، جودت سعيد، ط٣، مطبعة زيد بن ثابت دمشق، ١٩٨٤م.
١٢. أهداف التربية الإسلامية في إخراج الفرد والأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، ماجد عرسان الكيلاني، ط٣، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧م.
١٣. إيقاظ الهمم بشرح الحكم، للشيخ ابن عجيبة الشاذلي، ط١ المكبة التوفيقية.
١٤. بديع الزمان النورسي: نظرة عامة عن حياته وآثاره، إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠١١م.
١٥. البوصلة القرآنية، د. أحمد خيرى العمري، ط٣، دار الفكر، دمشق ٢٠١٠م.
١٦. تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ترجمة عدنان محمود، ط١، مؤسسة فيصل، استانبول، ١٩٨٨م.
١٧. تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٨. تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، د. علي الصلابي، ط١، مكتبة الصحابة، الإمارات ٢٠٠١م.
١٩. تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاکر الشریف، ط١، كتاب مجلة البيان، الرياض ٢٠٠٤م.
٢٠. تجديد علوم الدين، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الغسلام خان، ط١، دار الصحوة بالقاهرة.

٢١. تذكرة الدعاة، البهي الخولي، دار التراث، القاهرة ١٩٨٨م
٢٢. تهذيب مدارج السالكين، للإمام ابن القيم، ط١، دار التوزيع والنشر ٢٠٠١م
٢٣. تيارات الفكر الإسلامي، د. محمد عمارة، ط١، دار الشروق، ٢٠٠٨م
٢٤. الجوامع العوام عن علم الكلام، الإمام الغزالي، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
٢٥. جدد حياتك، محمد الغزالي، ط٩، نهضة مصر ٢٠٠٥م
٢٦. الجوشن الكبير، مجموعة أدعية، دار سوزلر، أسطنبول ٢٠١٢م.
٢٧. حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ط١، دار الفكر المعاصر، دمشق ١٩٨٩م
٢٨. الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها، د. أحمد نوري النعيمي، ط١، دار البشير، الأردن.
٢٩. الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة: د. طارق عبد الجليل، جواد الشرق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.
٣٠. الحكم العطائية، لابن عطاء الله السكندري، الطبعة الثانية، دار السلام، القاهرة ٢٠٠٨م.
٣١. حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م
٣٢. الخالدون مائة، دمايكل هارت، ترجمة أنيس منصور، المكتب المصري الحديث.
٣٣. دولة الإسلام في الأندلس، د. محمد عبد الله عناني، ط٤، مكتبة الخانجي ١٩٩٧م
٣٤. الدولة العباسية، الشيخ محمد الخضري، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧.
٣٥. الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، د. محمد علي الصلابي، ط١، دار التوزيع والنشر، القاهرة ٢٠٠١م.
٣٦. رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، ج١، ط٣، دار ابن كثير، بيروت ٢٠٠٧م
٣٧. روائع إقبال: أبو الحسن الندوي، ط١، دار وحي القلم، بيروت ٢٠١٤م.

٣٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، ط١، المكتبة التوفيقية، القاهرة ٢٠٠١.
٣٩. زعماء الإصلاح في العصر الحديث، احمد أمين، دار الكتاب العربي بيروت
٤٠. السيرة الذاتية، بديع الزمان النورسي، ط٦، دار سوزلر، القاهرة ٢٠١١م.
٤١. شاذلي الفيتوري، آراء ابن سحنون وابنه محمد في التربية، أعلام التربية العربية الإسلامية، مكتب التربية (العربي لدول الخليج، المجلد الأول).
٤٢. شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة، د. عبد الصبور شاهين، ط١، دار الفكر دمشق ١٩٨٦م
٤٣. الشعاعات لبديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط٦، دار سوزلر، القاهرة ٢٠١١م.
٤٤. الشعاعات، بديع الزمان النورسي، ط٦، دار سوزلر، القاهرة ٢٠١١م.
٤٥. صيد الخاطر لابن الجوزي، تحقيق محمد الغزالي، ط١، نهضة مصر ٢٠١٠م
٤٦. طبقات الشافعية الكبرى، ط٣، دار هجر للطباعة، القاهرة ١٩٩٢م
٤٧. الطريق من هنا، محمد الغزالي، ط١، دار البشير والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.
٤٨. عباس محبوب، الفكر التربوي الإسلامي، مؤسسة علوم القرآن، عمان، دار ابن كثير، دمشق
٤٩. عبد السلام الدروي، الإسلام والطفل، ملامح رعاية وتربية الطفل، دار الملتقى للطباعة والنشر، عمان
٥٠. عبد الواحد أحمد فراج، التربية والتعليم في الإسلام، رسالة التربية، عمان، وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب، العدد الثاني، اكتوبر، تشرين أول.
٥١. عبدالله الرشدان، التربية والتنشئة الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
٥٢. عبقرى الإصلاح والتعليم، الإمام محمد عبده، للأستاذ عباس العقاد، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٢م

٥٣. عبيدات سليمان، الطفولة في الإسلام مكانتها وأسس تربية الطفل، الطبعة الأولى.
٥٤. علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم، دار ابن الجوزي، ط١، القاهرة
٥٥. العواصم من القواصم، ابو بكر ابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، الطبعة السادسة، مكتبة السنة بالقاهرة ١٤١٢هـ
٥٦. الفتح الرباني والفيض الرحماني، للشيخ عبد القادر الجيلاني، ط١، منشورات الجمل بغداد ٢٠٠٧م.
٥٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الجزء الثالث، ط٣، الجيل بيروت ١٩٩٦
٥٨. القاموس المحيط الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط٣ بيروت ٢٠١٢م.
٥٩. الكلمات، بديع الزمان النورسي، ط٦، دار سوزلر، القاهرة ٢٠١١م
٦٠. لسان العرب لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٣، ١٩٩٣م
٦١. لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، شكيب أرسلان، الدار الشامية للطباعة والنشر، ١٩٨٨م
٦٢. اللمعات، بديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠١١م.
٦٣. المثنوي العربي النوري، الإمام النورسي، ط٦، دار سوزلر، القاهرة ٢٠١١م.
٦٤. مثنوي جلال الدين الرومي، ستة أجزاء، ترجمة وشرح، د.ابراهيم الدسوقي شتا، المركز القومي للترجمة، ط٤، ٢٠١٥م
٦٥. المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، ط٤، دار الشروق ٢٠٠٤م.
٦٦. مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنة، المعهد العالمي للفكر ١٩٩٠م
٦٧. مشكلة الثقافة ومالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط٤، دار الفكر بيروت ٢٠٠٠م
٦٨. مع الله، دراسات في الدعو والدعاة، محمد الغزالي، ط٧، مكتبة نهضة مصر ٢٠٠٧م
٦٩. المعجم الفلسفي، د، مصطفى حسنية، ط١ دار اسامة للنشر والتوزيع، الأردن ٢٠٠٩م.

٧٠. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط٤ ، مكتبة الشروق القاهرة ٢٠٠٤م .
٧١. المعجم الفلسفي ، مصطفى حسيه ، ط١ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ٢٠٠٩م .
٧٢. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن الأشعري ، ط١ ، المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٠م
٧٣. المكتوبات ، بديع الزمان النورسي ، ط٦ ، دار سوزلر ، القاهرة ٢٠١١م .
٧٤. الملاحق ، كليات رسائل النور ، ط٦ ، دار سوزلر ، القاهرة ٢٠١١م .
٧٥. من الصحوة إلى ليقظة ، جاسم سلطان ، مؤسسة أم القرى ، ط٤ ، المنصورة ٢٠١٠م
٧٦. المنقذ من الضلال ، أبو حامد الغزالي 'تحقيق ، د عبد الحليم محمود ، ط٣ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٢ .
٧٧. المنهج الإصلاحى للإمام محمد عبده ، د. محمد عمارة ، ط١ ، مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٥م .
٧٨. الموافقات ، الإمام الشاطبي ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٩٧٥م
٧٩. مولانا جلال الدين الرومي ، د. جيهان أوقويجوا ، ط١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٤م
٨٠. مؤلفات الغزالي ، د. عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٧م
٨١. النبأ العظيم ، د. محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ٢٠٠٨م .
٨٢. النورسي رجل القدر في حياة أمة ، أروخان محمد علي ، ط١ ، دار النيل للنشر ، القاهرة ٢٠١١م .
٨٣. هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، ماجد عرسان الكيلاني ، ط١ ، دار القلم دبي ٢٠٠٩م
٨٤. هموم داعية ، محمد الغزالي ، ط١ ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٨٧م
٨٥. الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ ، د. محمد عمارة ، ط١ ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- سدساً: الرسائل العلمية.**
١. البراديم كولن ، باعتباره باردايما حضاريا بديلا ، طه كوزي ، جامعة أريس الأمريكية بالتنسيق مع معهد المناهج في الجزائر ، رسالة دكتوراه ، الجزائر .

٢. التجديد في الفكر الديني المعاصر في تركيا، نموذج دعوة محمد فتح الله كولن ، أبو زيد عبد الرحيم عبدالعاطي ، جامعة الزقازيق، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩ مصر .
٣. تربية الإنسان عند فتح الله كولن ، محمد أحمد عواد الزعبي ، جامعة اليرموك ، رسالة دكتوراه، ٢٠١٣ الأردن
٤. فاعلية الإنسان من خلال فكر جودت سعيد وفتح الله كولن ، سعاد دوفاني ، جامعة الأمير عبد القادر رسالة ماجستير، ٢٠١٣م، الجزائر
٥. الفكر التربوي عند فتح الله كولن المدارس نموذجاً (دراسة تحليلية)، مولود بوزتاش ، جامعة الزيتونة ، رسالة دكتوراه ، تونس
٦. محمد فتح الله كولن وجهوده في العقيدة والأخلاق ، أمل نعيبات ، جامعة العلوم الإسلامية العالمية ، رسالة دكتوراه ، الأردن .

سابعاً: دواوين الشعر.

١. ألوان وظلال ، شعر فتح الله كولن ، ترجمة أديب إبراهيم الدباغ ، ط١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣م
٢. ديوان الحياة الأولى للشيخ محمد الغزالي ، تحقيق ، د.مصطفى الشكعة ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٠م
٣. ديوان المتنبي ، ط٣ ، مكتبة مصر ، القاهرة ٢٠٠٣م

ثامناً: المجلات والدوريات.

١. مجلة الأزهر الشريف ، ١٤١٤هـ
٢. مجلة التبيان ، العدد ٢٨٠ ، ذو الحجة ١٤٣١هـ
٣. مجلة حراء ، العدد: ١٤ - السنة الرابعة ٢٠٠٨م
٤. مجلة حراء ، العدد: ١٦ - السنة التاسعة ٢٠١٤م
٥. مجلة حراء ، العدد: ٢٤ - السنة السادسة ٢٠١١م
٦. مجلة حراء ، العدد: ٤ - السنة الثانية ٢٠٠٦م
٧. مجلة حراء ، العدد: ٤٤ - السنة التاسعة ٢٠١٤م

٨. مجلة حراء ، العدد: ٤٦- السنة العاشرة ٢٠١٥م
٩. مجلة حراء ، العدد: ١٧- السنة الخامسة ٢٠٠٩م
١٠. مجلة نسائم، دراسات حول مشروع الخدمة ، العدد الأول ، ٢٠١٦م
١١. ملحق مجلة التبيان ، الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية ، رجب ١٤٢٩هـ

تاسعاً: مواقع إلكترونية.

١. صفحة مجلة حراء على اليوتيوب www.youtube.com
٢. الموقع الرسمي لجريدة زمان بالعربية www.zamanarabic.com
٣. الموقع الرسمي للأستاذ فتح الله كولن www.fgulen.com
٤. موقع حركة كولن باللغة الإنجليزية www.GUlen
٥. موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) www.wikepia.org

عاشراً: مقابلات ولقاءات.

١. لقاء الباحث مع ،د. نوزاد صوّاش، المشرف العام على مجلة حراء ، بمقر مجلة حراء بالقاهرة ، ٦-١٠-٢٠١٦م.
٢. لقاء الباحث مع أحد أبناء حركة الخدمة ، بالقاهرة " أ. عثمان أقيجا " من تلاميذ الشيخ كولن فبراير ، ٢٠١٤م.
٣. لقاء الباحث مع إدارة وهيئة التدريس بمدرسة صلاح الدين ، بالقاهرة ، مارس ٢٠١٥م.
٤. لقاء الباحث مع الأستاذ سنان ، من تلاميذ الشيخ كولن بمركز الخدمات التعليمية بالقاهرة ، مدينة نصر ، ٢٠١٤م.
٥. لقاء الباحث مع الأستاذ يوسف الدمرداش ، من تلاميذ الشيخ كولن ، القاهرة ٢٠١٥م.
٦. لقاء الباحث مع الاستاذ يوسف الدمرداش ، بمقر دار الترجمة والنشر ، التجمع الخامس ٢٠١٦م.

٧. محاضرة ل: د/ إبراهيم البيومي غانم ، الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، عن حركة فتح الله كولن ، القاهرة ٢٠٠٨ ، بمقر مدرسة صلاح الدين الدولية ، التجمع الخامس .

حادي عشر : حوارات مقروءة ومتلفزة.

١. حوار أجراه الصحفي الإيطالي (AnsaldoMarco) مع الشيخ كولن نشر بتاريخ ٢٨-٣-٢٠١٤م.
٢. حوار مع قناة بي بي سي "BBC" الفضائية ، أجرى الحوار ، تيم فرانكس في ٢٧-١-٢٠١٤م.
٣. حوار مع جريدة الشرق الأوسط ، ٢٤-٣-٢٠١٤م.
٤. حوار مع جريدة زمان في ستة أجزاء من الفترة ٢١-١٧/١-٢٠١٤م.
٥. مقال فتح الله كولن في جريدة " نيويورك تايمز " الأمريكية ٢٦-يوليو-٢٠١٦م.
٦. مقال في صحيفة " لوموند" الفرنسية ، بتاريخ ١١-٨-٢٠١٦م.
٧. مقال لفتح الله كولن في جريدة لوموند الفرنسية ، ١١ أغسطس ٢٠١٦م.
٨. مقابلة الشيخ كولن مع مذيع CCN الأمريكية ٣٠-يوليو-٢٠١٦م.
٩. لقاء متلفز مع قناة الغد المصرية في ٣ أغسطس ٢٠١٦م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢-١	ملخص الرسالة باللغة العربية
١٩-٣	المقدمة
٣٢-٢٠	تمهيد
٨٢-٣٣	الفصل الأول التعريف بفتح الله كولن
٣٥	المبحث الأول: التعريف بشخصية فتح الله كولن
٣٦	المطلب الأول: مولده ونسبه
٤٣	المطلب الثاني: مراحل تعليمه التي مر بها
٤٧	المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه
٥٦	المطلب الرابع: الوظائف التي شغلها
٥٩	المبحث الثاني: التعريف بعصره
٦٠	المطلب الأول: الحالة السياسية
٦٣	المطلب الثاني: الحالة الاقتصادية والاجتماعية
٦٦	المطلب الثالث: الحالة الفكرية والعلمية
٧١	المبحث الثالث: جهود فتح الله كولن العلمية
٧٣	المطلب الأول: أهم مؤلفاته
٧٨	المطلب الثاني: اللقاءات الإذاعية والمؤتمرات

١١٠-٨٣	الفصل الثاني ركائز الإصلاح عند فتح الله كولن
٨٤	توطئة
٨٧	المبحث الأول: الاعتماد على القرآن الكريم
٩١	المبحث الثاني: الاعتماد على السنة النبوية المطهرة
٩٤	المبحث الثالث: الجمع بين الأصالة والمعاصرة
٩٨	المبحث الرابع: إصلاح الفرد والمجتمع
١٠٣	المبحث الخامس: محاربة الجهل والفقر والمرض
١٩٨-١١١	الفصل الثالث وسائل الإصلاح عند فتح الله كولن
١١٣	المبحث الأول: التربية وأثرها الإصلاحي في فكر كولن
١١٧	المطلب الأول: أثر الأسرة، والواقع الثقافي في التربية
١٢٧	المطلب الثاني: دور الشيخ، والمعلم في التربية
١٣١	المطلب الثالث: المقامات والأحوال الصوفية وأثرهما التربوي
١٣٧	المبحث الثاني: التعليم ودوره الإصلاحي في فكر كولن
١٤١	المطلب الأول: العمل على إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات
١٤٦	المطلب الثاني: الاهتمام بالمعلم - التلاميذ - المنهج

١٥٣	المطلب الثالث: أسس التربية في مدارس كولن
١٥٧	المطلب الرابع: مرتكزات العمل التربوي في مدارس كولن
١٦٥	المطلب الخامس: نماذج لمدارس كولن الإصلاحية في الخارج والداخل.
١٧١	المبحث الثالث : دور الدعوة الإصلاحية عند الشيخ كولن
١٧٥	المطلب الأول: الحوار القرآني ودعوة كولن الى تطبيقه
١٨٢	المطلب الثاني: الحكمة والموعظة الحسنة
١٩٠	المطلب الثالث : ضرب الأمثال
١٩٣	المطلب الرابع: القدوة الحسنة
٢٣٥-١٩٩	الفصل الرابع المنهج العملي عند فتح الله كولن
٢٠٠	توطئة
٢٠١	المبحث الأول: الخدمات الإغاثية ودورها الإصلاحية في حياة كولن
٢٠٩	المبحث الثاني: تحديد الأولويات وتوجيه الطاقات في حركة الخدمة
٢٢٠	المبحث الثالث: الرحلات الخارجية ودورها التربوي الإصلاحية في مدارس كولن.
٢٢٥	المبحث الرابع : سمات المنهج الحركي في حياة الشيخ كولن
٢٦٨-٢٣٦	الفصل الخامس معوقات الاصلاح عند كولن وكيفية تغلبه عليها
٢٣٧	توطئة

٢٤٠	المبحث الأول : الجهل وغياب الثقافة
٢٤٦	المبحث الثاني : التعصب ، والأنانية ، والرغبة في التسلط .
٢٥٥	المبحث الثالث : الكسل ، والخمول ، وحب الظهور
٢٦١	المبحث الرابع : توجيه النقد للأشخاص وليس للأعمال
٢٦٩	الفصل السادس تفنيد الشبهات المثارة حول الشيخ كولن وحركة الخدمة
٢٧٠	منهج الباحث في عرض الشبهات
٢٧٢	المبحث الأول : إقامة الشيخ فتح الله كولن في أمريكا
٢٧٦	المبحث الثاني : موقف الشيخ فتح الله كولن وحركة الخدمة من قضايا العصر
٢٨٢	المبحث الثالث : الشيخ فتح الله كولن ماله وما عليه
٢٩٨-٢٩٠	خاتمة
٢٩٤	التوصيات : التي اقترحتها من خلال الاستفادة من محتوى هذه الدراسة .
297-299	الملخص باللغة الإنجليزية
٣١٢-٣٠٠	المراجع والفهارس
٣١٦-٣١٣	فهرس الموضوعات